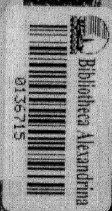


خَزَائِنُ الْمَسَاجِدِ

الكتاب الأول
التاريخ • الميثولوجيا • اللاهوت • الطقوس



أكاديمية

متون سومر

المكتبة الأولى

التاريخ • الميثولوجيا • اللاهوت • الطب • الفلك

خَزَنَةُ الْمَاجِدِي

مَتُونُ سَوْمَر

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ

التَّارِيخُ ♦ المِيشُولُوجِيَا ♦ اللّاهُوتُ ♦ الطَّقُوسُ

الْكَاتِبَةُ



الأهلية للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد

خلف مطعم القلنس ، ص . ب ٧٧٧٢

هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ - فاكس ٤٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعام ١٩٩٨

خزعل الماجدي / متون سومر

الطبعة العربية الأولى

حقوق النشر محفوظة للنشر ©

تصميم الغلاف مستكم ميديا ©

التنفيذ : مؤسسة باقوت للخدمات المطبعية

طبع في لبنان

على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه أو نقله بأي شكل من الأشكال ، أو تصويره ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without the prior permission of the publisher.

إلى
عليّ
ولدي

دموزي الذي يحمل الخصب والجمال
عساه يسمع صوت سومر نابضاً في قلبه الغضّ

مقدمة

تزداد ، مع تقادم الزمن ، قناعة الباحثين والمؤرخين بأن كل ما ورثناه من نواميس حضارية وثقافية وفنية وروحية يعود في أصوله الى البذور السومرية التي هي أقدم بذور حضارة الإنسان وثقافته في مطلع ما يسمى بـ (العصور التاريخية) .

كانت المتون الأولى للإنسان في حقول الدين والشرائع والملاحم والآداب والفنون والأساطير والرياضيات والطب والفلك والكيمياء ، متوناً سومرية ، ولا خلاف على ذلك اليوم بين مؤرخي الحضارات القديمة .

لقد امتلك كل حقل من هذه الحقول ، مع ظهور سومر ، جهازاً معرفياً واصطلاحياً وحفل بنصوص غزيرة كانت الأساس الذي بنيت عليه منطلقات هذه الحقول عند الامم الوارثة أو المجاورة لسومر .

وكانت حضارات وعقائد ما قبل التاريخ إرهابات أولى من أجل تكوين ثقافة شديدة التماسك والوضوح وذات نظام حضاري وروحي وثقافي وديني دقيق ومفصل . . . وكانت سومر المهد الذي تشكلت فيه ملامح هذه الثقافة .

لقد حاولنا في هذا الكتاب دراسة أربعة حقول أو متون أساسية من متون الثقافة السومرية هي (التاريخ ، المثلوجيا ، اللاهوت ، الطقوس) ، وسعينا لكشف أعماق هذه المتون فلم نكتف بالسرد التقليدي للنصوص التي تقع في هذه المتون بل عمدنا إلى التحليل والمقارنة سعياً للوصول الى نتائج جديدة .

حاولنا في البداية وصف الحضارة السومرية وأهميتها ، ثم وقفنا أمام التاريخ السومري في محاولة جدية لتقسيمه إلى حقب وأزمان متجانسة على أساس الطبيعة السياسية والاجتماعية لكل فترة مرّ بها هذا التاريخ .

سيتعرف القراء من خلال هذا الكتاب على المثلوجيا السومرية من منطلق بحثي جديد ومن طريقة جديدة في التصنيف والسرد والمعالجة ، فقد حاولنا ترتيب شجرة أنساب دقيقة للآلهة السومرية ودخلنا منها لمعالجة اساطير ورموز وقصص الأدب الديني

السومري . . . ولذلك بدأ الأمر متسلسلاً مفصلاً واضحاً وتجنبنا ما تطرحه الكتب التي تبحث في هذا الأمر من فوضى وتداخلات لا نهاية لها .

وكانت لنا وقفة جديدة مع اللاهوت والعقائد الدينية السومرية فقد عرضنا لأهم هذه المعتقدات الروحية والفكرية والتي شكلت نقاط انطلاق في نسج العقيدة الدينية السومرية ، فعرضنا لماهية الآلهة عندهم وفكرة الألوهية وعلاقة الآلهة ببعضها وبالإنسان والطبيعة ، ثم عرضنا بعض أوجه الفقه السومري والقوانين والعادات الدينية التي تنظم الحياة الاجتماعية عندهم ثم تفصلنا في دراسة المؤسسة الدينية السومرية وأنظمتها الكهنوتية والمعبدة . وبعد ذلك وصفنا بعض أوجه العقيدة الدينية من خلال الحكماء السبعة والقوة الإلهية وعقائد الموت وأفكار الجنة والنار والحساب والعقاب والثواب . وأفكار الأرواحية والتشبيهية وفكرة العود الأبدي . . . وتتبعنا جذور الغنوصية والهرمسية إلى الأصل السومري لها .

أما الطقوس والشعائر السومرية فقد عالجنها بالتفصيل وقد أعاننا تبويبها إلى طقوس (يومية، مناسبات، دورية، سرية) لظهور طريقة عرض جديدة جعلتنا نطرح أغلب ما عرف عن هذه الطقوس ونجمع ما يشترك فيها قرب بعضه .

وإذا كان كتابنا هذا قد عرض هذه المتون الحضارية الأربعة لسومر ، فإن كتابنا القادم سيعرض لأربعة متون أخرى وهي (اللغة، الآداب، الفنون، العلوم) وبذلك نكون قد أتينا على وصف وتحليل معظم جوانب الحضارة السومرية . ورغم أن الكتابين يكملان بعضهما لكن هذا لا يمنع من استقلالية كل كتاب بمادته .

وأخيراً . . . نود أن نعتذر سلفاً عن ما سهونا أو عبرنا عليه أو لخصناه بعجالة ، فبحار سومر عميقة وغزيرة ونتمنى أن نكون قد قدمنا منها ما يروي بعض العطش الروحي للقارئ الباحث عن الينابيع الأولى لحضارة الإنسان على وجه هذه الأرض .

خزعل الماجدي

دكتوراه تاريخ قديم

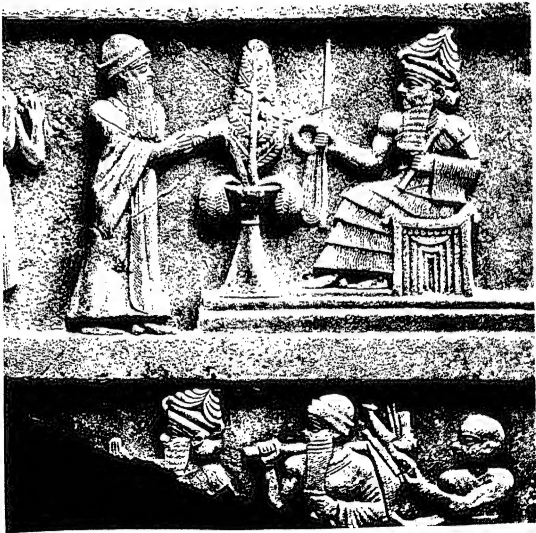
التراث الفكري والعلمي

١٩٩٧/٧/٨

الفصل الأول

المعجزة السومرية

(مدخل إلى الحضارة السومرية والتاريخ السومري)



القسم الأول

الحضارة السومرية

أرى أن التاريخ البشري ، على مستوى الإنجاز الحضاري المادي والثقافي ، قد أمدنا بثلاث معجزات نوعية كبرى ، كانت كل معجزة منها الأساس الراسخ لحقبة بشرية طويلة ظهرت فيها حضارات عديدة .

المعجزة الأولى هي المعجزة السومرية ، وأستطع أن أسميها معجزة التأسيس أو معجزة الأصول ، فقد وضعت الحضارة السومرية الأسس الأولى الراسخة والنوعية والمتينة المادية والثقافية والروحية التي سارت عليها البشرية بعدها . . مثل الكتابة والتشريع والدين والعلوم والآداب والصناعات والحرف والفنون والقيم الأخلاقية والطب والعمارة والري والفكر وغيرها وقد أطلق السومريون أنفسهم على نواميس الحضارة هذه مصطلح ال (مي) الذي أحصى منها الباحثون أكثر من مائة ناموس حضاري .

ولم تكن نواميس الحضارة وأصولها موجودة قبل السومريون إلا بالشكل البدائي لبعضها ، والذي لم يكن قد تبلور أو وصل إلى حد الإنجاز النوعي المؤثر .

مع السومريين انعطفت التاريخ وظهرت العصور التاريخية التي ضجعت فيما بعد بالحضارات والمدنيات المختلفة للجنس البشري الذي يعيش على وجه الأرض . ونرى أن جميع ما ظهر في هذه الحضارات التي تلت السومرية حتى الحضارة اليونانية ماهر إلا

تنوعات وإعدادات وصياغات قومية جديدة حصلت هنا وهناك كان جوهرها المنجز السومري مع تطويره وانضاج بذوره التي بذرها في منطقة الأصول .

أما المعجزة الثانية فهي المعجزة اليونانية التي هي معجزة الإكتشاف وبناء التفاصيل، وإعادة النظر نوعياً بكل مفردات التأسيس السومري مباشرة أو عبر ما وصلها من حضارات متطورة أخرى، واكتشاف وتوسيع حقول المعرفة البشرية القديمة والجديدة، فهي معجزة نوعية بالقياس إلى ما قبلها من حضارات ومنجزات .

أما المعجزة الثالثة فهي المعجزة الغربية التي بدأت عملياً مع عصر النهضة الأوروبية وما زالت إلى اليوم تتصاعد ذروتها في أوروبا وأميركا . . . ويمكننا أن نطلق عليها معجزة الاختراع، فقد طغت عليها الجوانب التقنية، ووضعت الأساس العلمي لكل حقول الحياة وجعلت إمكانيات درسها وثمرها وتطويرها مفتوحة الآفاق . . . وهي بذلك تكون قد حررت العقل البشري من قيود كثيرة ووضعت بالمقابل ضوابط قياسية للبحث في حقول المعرفة البشرية وتطوير آفاقها .

هذه المعجزات البشرية الثلاث لا تنفصل عن بعضها ولا يفرد قومٌ معيّنون بالمجازها كاملةً، بل نرى أن كل الجنس البشري وأعراقه وقومياته ساهمت بطريقة أو بأخرى بتكوينها وهيئة مادتها الأساسية، لكن لحظة الإنعطاف النوعي كانت بلا شك من نصيب قومٍ معينين .

لقد كانت المعجزة السومرية لحظة نوعية لكل منجزات الإنسان منذ العصور الحجرية، وخصوصاً ذلك التسارع الحضاري الذي بدأ باكتشاف الزراعة في الألف التاسع أو الثامن قبل الميلاد . . . ثم انفجر نوعياً في سومر عند اكتشاف الكتابة في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وأنفتحت معه آفاق عظيمة كانت أساس كل الحضارات بعد سومر . لقد ساهم قبل سومر في إنضاج هذه المعجزة أقوام كثيرون فجعل اسماءهم الحقيقية ولكنهم كانوا يعملون بدأب في منطقة أطلق عليها أرنولد توينبي اسم (الأويكومين) وتساءل في أكثر من مكان في كتابه تاريخ البشرية: «أين اخترعت الزراعة وتربية الماشية والتعدين . في الايكومين، للمرة الأولى؟» ولكنه توصل إلى جواب واضح بعد مناقشة طويلة إلى أن هذه المنطقة كانت بالدرجة الأساس في الجزيرة الفراتية (ميزوبوتاميا) وسورية ولبنان وفلسطين

وجزاء أعلى الأقل من جنوب آسيا الصغرى وغرب إيران وتركمانستان (تويني ١٩٨١ : ٥٦).

كانت هذه الأقوام في شمال العراق وما حوله بؤرة الأويكومين الزراعي الذي ساهمت فيه شعوب متجاورة وهيأت بمنجزاتها الزراعية الأجواء لظهور حضارات أو ثقافات عديدة وصلت آخرها إلى سومر .

أما المعجزة اليونانية فلم يكن بالإمكان تحقيقها لولا ظهور من حضارات بشرية بعد سومر كالحضارات المصرية والبابلية والآشورية والعيلامية والفارسية والهندية والصينية والكريتية والحرورية والحيتية والكنعانية والفينيقيّة والآرامية والحضارات اليمينية وغيرها . . حتى أنفجرت لحظة يونانية أعطت شيئاً جديداً أو صياغة جديدة للمنجزات التي سبقتها وأضافت لها روحاً نوعياً .

أما المعجزة الغربية التي بدأت تتبلور بدايتها في عصر النهضة الأوروبي فقد قامت على هضم منجزات الحضارات الشرقية التي استمرت كالهندية والصينية والفارسية وعلى ما ورثته الحضارة الرومانية من اليونانية ، وعلى هذبه وصقله الدين المسيحي للأقوام الأوربية الأولى البربرية ، وقبل كل هذا على المنجز النوعي والكبير للحضارة العربية الإسلامية التي كانت جسراً عظيماً بين المعجزتين اليونانية والغربية .

إن وجهة النظر الحداثية التي أقدمها هنا لمشهد المنجزات البشرية تأخذ بنظر الاعتبار المنجزات المادية والروحية بشكل خلاق ومبدع ولا تنكح على منجز روحي أو ديني لوحده أو على منجز مادي لوحده ، بل تأخذ الثقافي والمادي والروحي والعقلي والعلمي والديني في جهاز أو نسق (SYSTEM) حضاري يعمل بانسجام وتناغم وإيقاع وتساوق في كل قطاعاته ، وتبدو نبضاته الحضارية وكأنها تحصيل حاصل كل هذا الانسجام والإتساق في قطاعاته .

كان الشعب السومري شعب الكتابة والمدن والمعايير والشرائع والطب والديمقراطية (مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، مثل مجالس الآلهة) ، ورغم أن بيئة كانت قاسية مدمرة يعج بها المناخ الحار والجاف والتربة التي تتصاعد فيها الملوحة بسرعة ، والأرض الخالية من المعادن والأشجار والأحجار ، لكن (يد الله عليها) كما يقول صموئيل نوح كريم .

كان الإنسان هو العامل الحاسم ، كانت عبقريته في صبره ودأبه على تفحص هذا



شكل (١)
 الراية السومرية
 (راية أور)
 راية الحرب والسلام
 في زمن أور الثالثة

الكون بثبات وبصيرة ودون يأس، حتى فتح له باب التاريخ فدخل كأول شعب مكلل بالغار إلى حلبة التاريخ المضاء التي كانت تراقبها الآلهة وتطلق على هذا الشعب (ذوي الرؤوس السود) لا لأنه الوحيد الذي كان شعر رؤوس افراده أسود، بل لأن السواد هنا كان يعني التمييز والخصوبة والعبقرية، مثل الأرض التي كانت يعيش عليها (أرض السواد).

كان الشعب السومري، أكثر من غيره، اختلافاً عن ما حوله من شعوب كانت، رغم دأبها تعيش منهج الاستهلاك والاسترخاء بعيون مغمضة أمام الكون . . ولذلك بعد أن فجرت الأيدي الأرض وبنت بهندسة خلّاقة نظام الري، تفجر العقل وتوقد وتوتر الروح الإنساني واضاء ظلام الأرض وأحرّاشها .

إن من ينظر إلى خارطة سومر والمدن السومرية الأولى التي تمتد من جنوب غربي بغداد حيث (سبار) إلى أقصى جنوب الناصرية حيث (أريدو) ويرى بدقة كيف أن حدود الفرات (القديمة والجديدة) من خاصرة غرب بغداد حتى منطقة الفهود، وحدود دجلة من مروره ببغداد حتى الكوت (كوثا) حيث يمتد منها نهر الغراف باتجاه المدن السومرية (أوما) و(لکش) وبتجاه الفهود أيضاً تاركاً (أي الغراف) إلى الشرق منه، بينه وبين دجلة، أهوراً كبرى تتصل بالخليج العربي .

إن هذه الحدود المائية التي تشبه الشكل المعين الضيق تحصر بينها سهلاً رسوبياً خصيباً يحتاج إلى تنظيم إروائي لكي يعطي كل ثماره .

من هذا الشق المعين، الذي يبدو وكأنه فرج الأرض أورحهما، ولدت أول الحضارة بشرية وظهرت على جوانب هذا المكان وداخله المدن السومرية المتلاحقة التي حيّرت الأكارين في كنوزها المادية وفي ما تركته من كنوز معرفية مكتوبة على ألواح الطين .

كانت روح المغامرة التي سيطرت على هذا الشعب هائلة، فأنكبّ السومريون على الأرض التي بين أيديهم وحوكوها من أرض غفل إلى جنة عدن . . وبقيت هذه الجنة في أذهان مدوني التوراة على أنها الجنة السماوية .

أول شرارات الخلق هي السيطرة على الماء واكتشاف الري، لم يكن هناك مطر فاخترعوا الري . . ولم يكن هناك خشب فاستعلموا البردي والقصب . . ولم يكن هناك

معادن فصنعوا من الطين المحروق القدور الأواني والجرار والطابوق . . وألواح الكتابة .
قالب الآجر ، دولا ب الفخار ، عجلة العربة ، المحراث ، السفينة الشراعية ،
القوس ، صب النحاس والبرونز ، والبرشمة والطلاء بالنحاس والمحام ، ونحت الحجر
والنقش بالحفر والترصيع والرسم وكتابة الشعر والغناء وترتيل الملاحم . . . كل هذه كانت
مشاغلهم اليومية .



شكل (٢)

نموذج برونزي لعربة سومرية
تعود إلى ٢٦٠٠ ق.م. عثر عليها في تل احرب

لم يكن شعباً خرافياً، ولم يخلط الواقع بالخوف لينتج الخرافة، كان واقعياً متزن العقل ويبدأ بصيراً ينطق بالحكمة البسيطة (المدينة التي لا يكون لها كلاب يحرسها الثعلب)، (ليس القلب هو الذي يقود الى العداوة ، وإنما هو اللسان)، (تدخل الذبابة في الفم المفتوح)، (اذا بنيت بيتاً كزعيم تعيش كعبد، وإذا بنيت كعبد تعيش كزعيم)، (يبد مع يد بيني البيت، بمعدة مع معدة ، يأتي خرابه) .

لم يوهم هذا الشعب نفسه أو أفرادها بالخلود . . جسدُ الانسان غير خالد ولا خلود الأبالعمل والذكر الطيب . . ليست الآلهة كائنات بل قوى خلف ستار المرئي (كريم: ب.ت).

شعبٌ يقول كل ألواح بالطموح والنجاح والشرف، كانت قيمه الاخلاقية مثل القوانين والأعراف يلتزم بها الجميع بصمت وهدوء وكان أغلب كهنته وملوكه مثلاً أعلى لهذه القيم . . إن من يقرأ سيرة الملك الامير (كوديا) حاكم لكش يذهل من تقواه وعدالته وحبه للبناء (كوديا معناها النبي) فهل كان نبياً بالفعل؟ .

كان (كوديا) يحب الحمار لأنه يعمل وهو صامت دون كلل وكان يتشبه به . . وكان أوركاينا أول مصلح اجتماعي كبير في هذه الأرض .

كانت الاخلاق جزءاً من العبادة أو فلنقل جزءاً من شروط وجود الانسان على الأرض حياً ومتوازناً .

كانت أرضه أهوراً موحشة تطفو عليها مستوطنات متفرقة ويائسة تمتلأ بالأحراش . . لكن عرق السومريين هو الذي ارتفع بها للنجوم بنى السومريون ما يقرب من ستة عشر مدينة كبيرة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق، سوروها فيما بعد، وفي وسط كل مدينة بنوا معبداً مصطبة عالية . . تطورت إلى برج مدرج ضخم اسمه الزقورة . . وكان هذا أهم اسهام في العمارة الدينية التي تلتها الاهرامات ثم الكنائس ثم المساجد ثم الملوية (زقورة المسلمين الفريدة) .

والمدارس . . التي يختلف المؤرخون على قدمها وكثرتها في الحضارات المختلفة لأنها مؤشر تمدن أساسي ظهرت أول ما ظهرت في أوروك السومرية حوالي ٣٠٠٠ ق.م، ونفاجاً أن عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنة الكتابة كان يبلغ الألوف، وأن أولئك

الكتابة على أصناف ودرجات منهم الكتابة الصغار المبتدؤون، والكتابة المتقدمون، والكتابة الملكيون، وكتابة المعابد، وكتابة من ذوي التخصص العالي في بعض نواح خاصة بالشؤون الإدارية. وكتابة أصبحوا من كبار موظفي الحكومة. وفي حقيقة الأمر هناك من الأسباب المعقولة ما يحمل المرء على الاعتقاد بأن عدداً من المدارس الكبيرة ذات الأهمية التي كانت تعد الكتابة، كانت مزدهرة في جميع أرجاء البلاد، (كروير ١٩٥٧: ٤٤).

كان برلمانهم مكوناً من مجلس أعلى من الكبار (مجلس الشيوخ)، ومجلس عموم من الرجال هو (مجلس النواب)، وكان الحاكم (الانسي) يخضع لقراراتهم، وبظهور الحروب أصبح وجود الملك بدلاً عن (الانسي) ضرورياً وكان الملك ينتخب، لكنه فيما بعد أصبح يرث الملكية. . . ومع ذلك ففي كل رأس سنة يرتحف قلب الملك هلعاً من عدم رضا الآلهة والكهنة والشعب عن أعماله. . . وقد لا تتجدد ملوكيته بل يخلع ويوضع غيره.



شكل (٣)

حلي سومرية من الذهب عثر عليها في اور

كان المجتمع السومري مكوناً من المزارعين وأصحاب الماشية والملاحين وصيادي الأسماك والتجار والكتّاب والأطباء والمهندسين والبنائين والتجار والحدايين والصاغة والفخارين ورجال الدين والمغنين وأصحاب الحانات وصانعي الخمر . . فكيف تسنى لمجتمع في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد أن يتنوع بهذه الطريقة؟

لقد ظهرت كلمة (حرية) لأول مرة في تاريخ البشرية عند السومريين وتحديداً مع إصلاحات أوركاكينا وكان اسمها (أمارجي) التي تعني العودة إلى الأم أو الرحم . . فما أحلى هذا الفهم الشعري للحرية . . على أنها في الواقع وعلى الأرض أشد صلابة من تسميتها ، فالشرائع والقوانين منذ أوكاجينا ومروراً بأورنمو وبيلا لاما ولبت عشتار بذرة الشرائع البابلية واليونانية والرومانية ، وأول ما يتبادر إلى الذهن لدى درسها وتمحيصها إنها تختلف كلياً عن شريعة الشار ، شريعة - العين بالعين والسن بالسن - التي سنّها حمورابي واقتبسها عنه العبرانيون . ففي قوانين أورنمو نزعة أنسانية غايتها الإصلاح لا الانتقام . لذلك حلت فيها الغرامة النقدية محل العقوبات الجسدية» (حتي ب. ت: ٩٨).



شكل (٤)

تمثال نصفى لملكة أو أميرة سومرية

وكانت بداية علم الفلك مع (إنانا) التي وصفت بأنها نجمة العشاء والصباح (الزهرة) ومع (نانا) إله القمر ومع (أوتو) إله الشمس . . ثم جاءت الألواح من سومر لتصف لنا أكثر من (٢٥) نجمة . . وكان الآلهة يسكنون الكواكب والنجوم وتسمى على اسمائهم . . وربط (كوديا) الأحلام بالنجوم . أما الزمن فانقسم عندهم إلى أيام وأسابيع وأشهر قمرية وسنوات عادية وكييسة . . وكان (الसार) دورة فلكية كبرى تتغير معها المصائر ، وكان الزمن يقاس بساعة مائة (كليسدرا) وهي على هيئة إسطوانة أو منشور ، وربما كانت ساعة الظل أو ساعة العصا (المزولة) ، ساعة شعبية يعرفها الرعاة .

اخترعوا النظام الرياضي الستيني الذي كان يتضمن النظام العشري ، وبعد أن ساد الأخير في الحساب والجبر أصبح النظام الستيني وما زال أساس الهندسة والمثلثات والدوائر . . ثم أساس علم الفلك .

أول دساتير الصيدلة (الأقرباذين) ، أول الأطباء ، أطباء النفس والعيون والفم ، والجراحون والممرضون والأطباء البيطرون ، والنحاتون ، ومصمموا الأزياء . . التنورات ذات الأهداب ، ملابس الرجال ، ملابس الملوك والمحاربين ، التيجان ، الشالات التي تغطي كتفاً وترك الآخر عارياً (ما يذكر بملابس اليونان والرومان) ، أغطية الرؤوس الخرزية ، آلات الموسيقى الإيقاعية والوترية والهوائية . . وقد لا يصدق إذا قلنا السلم الموسيقي السومري (ألواح النوتات) .

كانت الاختتام المسطحة والاسطوانية مثل برقيات الحضارة إلى الأمم المجاورة والبعيدة ، وكانت في سومر مثل البريد السريع التنقل والذي يحمل الفن والكتابة والرموز وغيرها . . بعضها تحول إلى وثائق عامة وخاصة بل وتعاويد حامية من الأشرار .

كانت مصانعهم تستعمل النحاس والبرونز والأخشاب والسكاكين والمناشير والأسلحة والقنودر والسامير والدبابيس والحلقات والمرايا والجلود وإطارات العجلات والمقاليب والأحذية والصنادل ، استعملوا مسحوق الذهب لزخرفة بعض المصنوعات واستعملوا الذهب لأغلى تماثيلهم رفعةً ، صنعوا السلال وكانت آلاف الأطنان منها تسج سنوياً في أور فقط ، وكانت احتفالات جزّ الصوف تبدو مثل ورشة عمل للبدع بالغزل والنسيج وصناعة الملابس ، الأنوال العمودية والأفقية والقصارون الذين يزيلون الألوان بمحاليل قلوية وملابس الكتان . .

العربات ذات العجلتين والسفن الكبيرة والمراكب والمشاحيف والقفف والسفن
الشراعية . أما الري ونظام القنوات والحواجز والسدود والخزانات فلم يكن لها نظير ، وكان
هناك ما يرافقها من آلات التسوية وقضبان المقاييس والرسم وإعداد الخرائط .



شكل (٥)

كبش أمام شجرة مزهرة (من الذهب واللازورد) من أور

وضعت تقاويم المزارع في كتيبات طينية اسمها (في الأزمان القديمة أرشد فلاح
إبنه) ، وكانت أنواع المحارث والمبازر وأدوات الحصاد والسقي تتكاثر .
وضعوا مقاييس الطول (أصبح ، ذراع ، قصبة ، حبل ، فرسخ) .
وضعوا مقاييس المساحة (سار ، إيكو ، بور ، بستان ، حقل) .
وضعوا مقاييس المكيال (كن ، سلا ، كور ، كورلوكال)
وضعوا مقاييس الوزن (قمحة ، شيقل ، من ، تلنت) .
أما النقود فكانت فضي بوزن قياسي معين هو دينارهم وهناك ما هو أعلى منه أو أقل
منه وزناً .

وضعوا شعراً في الغزل سيبقى ، بعد آلاف السنين ، من أعظم ما أنتجه الروح
الانساني ، ووضعوا شعراً مذهلاً من المراثي والمدائح والصلوات والتراتيل والأمثال
والحكم . . وصنعوا أساطيراً هي بذرة كل أساطير العالم . . أما ملاحهم التي ضاع أغلبها
فقد بقي منها ما يدل على عصر البطولة الإنساني بأكمله .

هذا الشعب الذي شغل التاريخ لأكثر من (١٥٠٠) سنة وقدم نواويس الحضارة لمن
حوله ومعه من الشعوب ، طعنته شعوب معه وحوله كانت تتطلع إلى منجزاته بذهول
وعجز ، وتكررت الطعنات حتى سقط في بداية الألف الثاني قبل الميلاد وبدأ صوته
بالخفوت ، كان اسمه (شعب أحراش القصب - كي . إن ، جي - كينجي) ثم اسموا
الساميون (سومر) .

هذا الشعب طوى اسمه النسيان منذ ذلك الوقت ولما يقرب من أربعة آلاف سنة . .
لكن رهبان المعرفة من الحفارين والآثاريين بعد منتصف القرن التاسع عشر جلوا عن ذهبه
الصدأ والغبار وهالهم ما رأوه :

لقد رأوا شعباً من ذوي الرؤوس السود المليئة بالحكمة والمعرفة يسد ثغرة مطلع
التاريخ ، وهو يعمل بمعاوله ، ويرمي بالوواح كتابته إلى أطراف الأرض . . وبذلك فسر لنا
ذلك كيف جرى التاريخ وكيف تكون في أدق وأخرج مراحل .



شكل (٦)

راس الثور الذهبي الذي يزين القيثارة السومرية

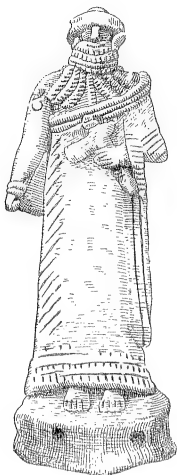
لم يكن اكتشافهم لهذا الشعب مقصوداً بل كان صدفةً ، حيث ظهرت لغة غريبة على الآثاريين ليست بابلية أو آشورية أو آرامية أو فارسيّة ، ولا علاقة لها باللغات القديمة أو الجديدة .

ويوم توصل (أوبرت) عام ١٨٦٩ إلى اكتشافه الخطير بأن هذه اللغة هي لغة قوم هم (السومريين) وأنها تشير إلى الحضارة التي أسست مفتح التاريخ وعلى أساسها قامت حضارات وادي الرافدين . . صرخ بوجهه اليهودي (جوزيف هاليفي) مرعوباً بأن لا شعب غير الشعب السامي قد بنى حضارات العراق ، وأن اللغة السومرية هذه كانت مجرد اختراع مصطنع قام به الساميون أنفسهم لأغراض سرّية وكنهوتية .

ولكن سبيل الاكتشافات الذي بدأ من كرسو (تلّو) ثم نقر ثم بقية المدن السومرية كان مهولاً . . وكان مدعاة للتفكير بجديّة بوجود حضارة سومرية كبرى تأسس بها التاريخ .

كانت سومر قد اختفت من التاريخ منذ حوالي (٢٠٠٠ ق م) وتوارى اسمها مثل مدنها تحت تراب وأبنية الغزاة والساميين ومن بعدهم . . حتى أن اسمهم (سومر) لم يذكر مطلقاً في التاريخ ، وساد اسم بابل على جنوب العراق ، وحتى كتبة التوراة تلاعبوا عن قصد أو ذوت ذاكرة حيلهم فسموا أرض سومر بسهل (شنعار) .

وما كادت أربعة آلاف من سنوات النسيان تكتمل حتى عاد هذا الاسم برأقاً قوياً وكشفت خارطة شعبه وخطوط مؤثراته ، ثم عُرف بعده بشيء من الدهشة ، أن كل ما أتت به الحضارات كان فيه خيط من سومر .



شكل (٧)
محارب سومري



شكل (٨)

مناظر أسطورية وجدت مرسومة على آلة موسيقية
من أور الثالثة توضح طرب ورقص الحيوانات

القسم الثاني

التاريخ السومري

لا تستوي معرفتنا بالتراث السومري أو بأي مظهر من مظاهر الحضارة السومرية دون معرفة دقيقة بالتاريخ السومري، هذا التاريخ الذي ما زال قابلاً لإعادة النظر فيه والذي ما زال يثير جدلاً عريضاً بين المؤرخين .

لقد اعتاد المؤرخون الغربيون والعرب على تقسيم التاريخ السومري إلى مرحلتين هما القديمة قبل مجيء الأكديين والحديثة وهي مرحلة سلالة أور الثالثة .

ولكننا وجدنا أن هذا التقسيم لا يعطي للقارئ صورة دقيقة عن تاريخ سومر، ولذلك اتبعنا منهمجاً جديداً في تقسيم التاريخ السومري إلى خمس مراحل على أساس التطور الحضاري ثم السياسي للشعب السومري وحضارته وهذه المراحل هي :

١ . مرحلة الأصول : وتبدأ من زمن غير معروف على وجه الدقة ولكنها تنتهي إلى ٣٥٠٠ ق . م وستناقش فيها نظريات أصل السومريين .

٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق . م حيث بناء نوااميس الحضارة السومرية وبدء الإشعاع الحضاري لسومر .

٣ . مرحلة دول مدن السومرية (فجر السلالات السومرية) (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠) ق .
م حيث ظهور النظام السياسي ممثلاً بدول المدن السومرية وكثافة انتشار المنجزات
الحضارية السومرية إلى الاصقاع القريبة والبعيدة ، وتنتهي هذه المرحلة بمحاولة
لوكال زاكيزي تكوين دولة سومرية واحدة .

٤ . مرحلة الدولة السومرية (مرحلة لوكال زاكيزي) (٢٤٠٠ - ٢٣٧١ ق .م) . التي
استمرت في حدود ربيع قرن أو أكثر بقليل (٢٩ سنة) ثم قضى عليها سرجون
الأكدي وكون الدولة ثم الامبراطورية الأكديّة وأتى بعده الغزاة الكوتيون
لوايدي الرافدين .

٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (سلالة أور الثالثة) (٢١١٢ - ٢٠٠٤) ق .م
التي استمرت أكثر من قرن بقليل ثم سقطت على يد العيلاميين والاموريين .

١ . مرحلة الأصول (٩ - ٣٥٠٠) ق .م

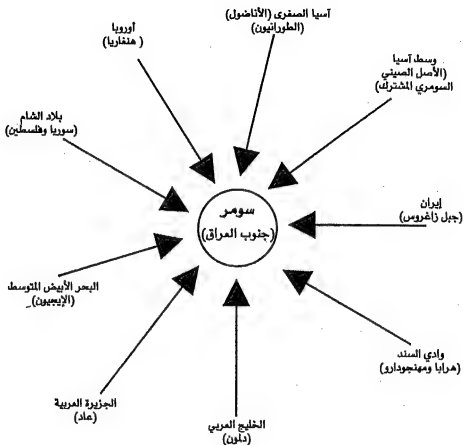
لا أحد يعرف من هم الأجداد القدامى للسومريين ، ولا أحد يعرف على وجه الدقة
أصل السومريين ، رغم أنه لا أحد يعرف أيضاً أصل الكثير من الأقوام المزمّنة للسومريين
أو التي ظهرت قبلها بقرون أو بالآلاف السنوات ، إلا أنه بسبب الأهمية الحضارية للسومريين
وحصول انعطاف التاريخ على أيديهم من مراحل ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية . .
ولأسباب أخرى معروفة وضعت نظريات عديدة نرى أنه من الضروري المرور على
أغلبها ، ولو بعجالة ، للتعرف على وجهات نظر العلماء في هذا المجال .

هنالك ما يقرب من العشر نظريات أو افتراضات تبحث في أصل السومريين وهي
مرتبة حسب الجهات التي تشير لأصل السومريين ابتداءً من الشمال إلى الشرق فالجنوب
والغرب (ما عدا النظرية الأخيرة المحلية أو العراقية) (انظر المخطط ١) .

١ - الأصل الأناضولي (آسيا الصغرى) :

إعتماداً على نوع اللغة السومرية المصققة والمتكونة من مقاطع غير قابلة للتصريف
مثل اللغات الآرية أو السامية ، ولها جذور لا تتغير ووحدها القواعدية الأساسية هي

المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة ، وقد قام بعض الباحثين بمقارنتها بالكثير من اللغات الملصقة الأخرى مثل التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقازية وخصوصاً اللغة الطورانية القديمة ، حيث قام رولنسن في وقت مبكر باثارة مثل هذا الرأي ثم تبعه أوبرت



مخطط (١)

نظريات أصل السومريين من خارج وادي الرافدين

وكان أمر اكتشاف اللغة السومرية ما زال في بدايته ، وقد تحدث صموئيل نوح كيرير عن احتمال كون اللغة السومرية تنتمي إلى غط الطورانية ، إلا أن طه باقر الذي لمح إلى ذلك أيضاً في مقدمته حسم هذا الموضوع برأي علمي عندما قال « ومع أن اسلوب الإلصاق مستعمل في جملة لغات بشرية ملصقة قديمة وحديثة مثل اللغة العيلامية ولغات عائلة (الاورال - الطاي) كالمغولية والتركية والمجرية ولغات أخرى مثل البولينية والباسكية وبعض اللغات القوقازية مثل الجورجية . بيد أنه يمكن القول أن اللغة السومرية لا تمت بصلة قريبي إلى أي من هذه اللغات الملصقة ، ولعل أقرب فرضية لتعليل تفرد اللغة السومرية أنها من عائلة لغوية انقرضت في أزمان بعيدة عن عصور ما قبل التاريخ ولم يبق منها سوى اللغة السومرية التي تكلم بها السومريون في حضارة وادي الرافدين ، وكانت أقدم اللغات المدونة في هذه الحضارة (باقر ١٩٧٣ : ٦٠) .

٢. الأصل الوسط آسيوي (الأصل الصيني السومري المشترك) :

يرى بعض الباحثين أن السومريين قدموا من هضاب ومرتفعات أواسط آسيا ، وأنهم سلكوا طريقاً باتجاه إيران جنوباً حتى استقروا في جنوب العراق . ودليلهم على المسلك الايراني هذا تشابه فخار العبيد الملون في العراق وايران (وهذا بالطبع لا يدل علي ما ذهبوا اليه بل يدل على انتشار فخار العبيد باتجاه ايران) .

وقد ذهب الباحثان (بالي ولت) إلى مذهب أبعد فقد استدلا من خلال بحثهما الدقيق في الكتابتين المسمارية الصينية والسومرية في كتابهما (الصينيون والسومريون) إلى أن هناك تشابهاً صارخاً بين المراحل الصورية الأولى من الكتابة الصورية المسمارية (التي اخترعها السومريون) والمراحل الأولى من الكتابة الصينية القديمة (الكو . ون) ووضعاً معجماً صينياً سومرياً مقارناً للكثير من الكلمات المشتركة في معانيها وأصواتها ، واستنتجوا أن اسلاف الصينيين والسومريين جاءوا من اصول جبلية في وسط آسيا منحدرين باتجاهين ، أحدهما ذهب إلى الصين والآخر اخترق إيران واستقر في جنوب العراق . وكان كل منهما يحتفظ باصول الكتابة المشتركة البدائية لأسلافهما مع تصويتاتها المشتركة (انظر (Bali, Litt 1913: introduction) .

٣ . الأصل الايراني وجبال زاغروس :

لاحظ بعض الباحثين أن السومريين يستعملون في كتابتهم ولغتهم رمزاً واحداً للدلولين هما الجبل والوطن (البلد) . . وهو كور (Kur) . ورأوا أن في ذلك ما يدل على أنهم يعنون بأن وطنهم هو الجبل ، ووضعوا احتمالاً لأقرب الجبال المحاذية لجنوب وادي الرافدين وهي جبال زاغروس ، وقد عزز هذا الرأي أن السومريين لم يبنوا معابدهم على أرض مستوية مثل البيوت والقصور بل على أرض مرتفعة ووضعوا مصطبات بنيت عليها هذه المعابد ، ثم بنوا المعابد على شكل زقوات تشبه في شكلها الجبال العالية ، وجعلهم هذا يربطون بين المعبد كمكان مقدس وبين الوطن كمكان قمندس قدموا منه وأن هذا المكان هو الجبال الايرانية شرق سومر .

وازداد تعزير هذا الرأي ما وجد في الأختام السومرية الاسطوانية من رسوم الأشجار وحيوانات جبلية مثل (السرو والارز والوعل والماعز الجبليين من ذوي القرون الطويلة) .

ثم ازداد هذا الرأي رسوخاً مع اكتشاف التشابه بين فخار العبيد في سومر مع فخار سوسة ، ولكن ظهور فخار أريدو السابق عليهما والذي شكل مصدرهما خفف من هذه الحجة ، ثم أن الزقورات كانت تنفيذاً لتصوير مثولوجي لاهوتي عن جبل الكون الاول الذي ظهرت الآلهة على قمته حسب اللاهوت السومري ، وانه لا يمكن الاعتماد على مفردة أو مفردتين للدلالة على أصل شعب له عشرات الآلاف من المفردات في لغته وكتابته .

٤ . الأصل السندي (هارابا ومهنجودارو) :

بعد أن اعطت الاكتشافات المثيرة في حوض نهر السند (مناطق هارابا Harappa وموهنجودارو Mohenjo - Daro) صورةً جديدة لاصول الحضارات القديمة في الهند ، وجد بعض العلماء أن هناك تشابهاً كبيراً بين الآثار السومرية والهندية الثقافية والمادية والأختام التي تعود إلى حوالي (٣٠٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م) وبما زاد في ذلك العثور على مدن سومرية مثل (أور ، كيش وتل أسمر) على أختام تحمل صفات الأختام المعروفة في وادي السند من حيث الشكل والاسلوب وصور المنحوتات المحفورة عليها كالثور ذي السنام فوق الرقبة والفيل والكركون والتمساح (انظر علي ١٩٨٩ : ٢٧) .

والنظرية التي تقول بوجود علاقة عرقية حقيقية بين السومريين وبين أقوام هارابا ذات جاذبية خاصة لأولئك الذين يحاولون أن يجدوا صلة لغوية بين اللغة السومرية واللغة الدرافيدية، وهناك دلائل قوية على شكل طرز فنية وأشياء مادية خاصة بحضارة وجدت في المواقع الأخرى ولعلاقات تجارية في الألف الثالث بين السومريين وأقوام وادي الهند أو بلوخستان (انظر ساكر ١٩٧٩ : ٥٣).

٥ . الأصل الخليجي (دلون)

من أساطير الكاهن البابلي اليوناني (برعوشا) ومن قائمة ملوك ومدن ما قبل الطوفان هناك ما يشير إلى أن الرجل السمكة أوانيس Oannes الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة . وهذا يتفق مع الأفكار السومرية حول إله الحكمة إنكي (إيا) والذي شكل الإله المحلي لمدينة أريدو وهي أقدم مريثة كانت تقع على ضفاف الخليج العربي ثم استوطنت المدن الأربعة الأخرى بنزوح من البحر من الجنوب الشرقي فصاعداً حتى الخليج العربي (انظر ساكر ١٩٧٩ : ٥٢).

أما النظرية التي تحمّس لها جيوفري بيبى على أساس أن ما عثر عليه في دلون (البحرين) من آثار سومرية ومن آلاف القبور تشير بوضوح إلى أن دلون كانت الموطن الذي نزح منه السومريون عبر الخليج العربي مرواً بجزيرة فيلكا ثم إلى جنوب وادي الرافدين، ويعتمد في ذلك أيضاً على أن السومريين كانوا يذكرون دلون في أساطيرهم على أنها الجنة الخالدة وعلى أن الخالدين من البشر يسكنون فيها (زيوسدرا أو أوتونايشتم في ملحمة كلكامش) وأنها تذكر بالعصر الذهبي الذي عاشوا فيه (انظر بيبى ١٩٨٥).

ويتوسع مناصرو هذه النظرية أكثر من ذلك عندما يقررون أن حضارة ما جان (مگان) في عُمان وحضارة التاروت في الجزيرة العربية وحضارات أم النار والباربار في دول الامارات وقطر تشكل الخلفية الخليجية لحضارة دلون وأن هذه الحضارات مجتمعة كانت أصل السومريين وموطنهم الأول قبل أن يظهروا في وادي الرافدين.

٦ . الأصل الجزيري (عاد)

تعتبر نظرية الأصل الجزيري التي جاء بها الدكتور بهاء الدين الوردى (الوردى ١٩٨٣) من أكثر النظريات إثارة دهشة، ففي كتابه (حول رموز القرآن الكريم) يذهب الوردى إلى

أن قوم عاد هم السومريون ، وقد سعى بإجتهد واضح لاثبات ذلك ولكيفية نزوحهم من الجزيرة العربية معتمداً على تحليل اللغة والكتابة السومرية ، وقد اعتبر الوردى (الذي تأثر إلى حد كبير بالمستشرق رينو أستاذة) أن (عاد) هم موجة سامية كاملة خرجت من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد وتفرقت في الشمال العربي كله ، ففي العراق صار العاديون سومريين ، وفي الشام صاروا الحيثيين وفي مصر صاروا الفراعنة وهكذا ، ولا تعتمد هذه النظرية على أدلة أثرية كافية بل تحاول من خلال احتمالات تاويلية للغة والكتابة بسومرية وربطها بالعربية الوصول إلى حل مشكلات كثيرة ، ولذلك يبقى التخفظ عليها قائماً وإساسياً (الماجيدي ١٩٩٢ : ٥٢) و (الماجيدي ١٩٩٢ ب) .

٧ . الأصل المتوسطي (الايجيون) :

ضعفت كثيراً نظرية احتمال كون السومريين من أقوام البحر الأبيض المتوسط والتي اعتمدت بالدرجة الأساس على تحديد صنف الجماجم التي عثر عليها في المقابر السومرية من أنها تمثل جنس البحر المتوسط الناتئ الفك الغليظ العظام والكبير الأسنان نوعاً ما . (انظر كون ١٩٤٩ : ٩٣) . وذهب البعض إلى أن أغلب مؤخرة الجماجم السومرية مستقيمة ، وهو ما يمثله جنس البحر المتوسط بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية المشتركة المبكرة لبعض الجزر الايجية .

ولكن هذه النظرية لا تصمد أمام حقائق بايولوجية أو آثارية أخرى ، أهمها تزايد اكتشاف جماجم سومرية كثيرة مكورة المؤخرة وغيرها .

٨ . الأصل الشامى (سوريا وفلسطين) :

يتخذ مناصرو هذه النظرية من فخار الوركاء السومري دليلاً على أن له ما يشبهه في شكله والوانه الحمراء والرمادية والتي عثر عليها في شمال سورية وفلسطين ، فرسموا طريقاً متحدراً من تلك المناطق اختطه أجداد السومريين ثم استوطنوا منطقة سومر . وتضعف هذه الحجة أمام الأصل العبيدي والوركائي للفخاريات الشامية وليس العكس .

٩. الأصل الاوربي (الهنكاري) :

قام الدكتور بندنك من جامعة بوينس ايرس باصدار كتاب (الاعجوبة السومرية The sumerian wonder) عام ١٩٧٤ ، حاول أن يثبت من خلاله أن السومريين جاءوا من هنكاري أوأغرب ما في هذا الكتاب قائمة تحتوي على عشرات من المفردات السومرية التي أوجد لها المؤلف بطريقة أو بأخرى ، ما يوازيها في الهنغارية معناً ولفظاً ، وقد خلص المؤلف في نهاية الأمر إلى رسم خريطة توضيحية لهجرة السومريين من الأراضي الهنغارية- الرومانية إلى بلاد الأناضول وصولاً إلى مناطق الفرات العليا ، ومن ثم النزول باتجاه جنوب وادي الرافدين نحو ما يعرف ببلاد سومر ، (على ١٩٨٩ : ٢٧).

ويبدو تهافت هذه النظرية واضحاً حيث عكس الدكتور بندنك الأمر ، فبدلاً من الإشارة إلى انتشار الحضارة والكتابة واللغة السومرية إلى أصقاع بعيدة في أوربا ودخول مفردتها إلى اللغات الاوربية القديمة ، عكس الأمر دون مراعاة البعد التاريخي للموضوع .

١٠. الأصل العراقي (الرافديني المحلي) :

أرجأنا الحديث عن هذه النظرية إلى آخر هذا العرض ، وذلك لنبين ، أولاً ، أن الباحثين لم يتركوا جهة من جهات الأرض إلا وجعلوها أصلاً للسومريين ، وثانياً ، لنبين أن كل نظرية من النظريات التسع السابقة إتمدت على عامل واحد أو عاملين كأساس لها مثل اللغة أو الثقافة أو البابولوجيا دون الأخذ بالاعتبار القضية السومرية بأكملها ، وكقضية شاملة متصلة بماض قبلها ومستقبل بعدها .

ونحن نرى أن نظرية الأصل العراقي للسومريين تحل الكثير من المشكلات التي طرحتها النظريات الأخرى ، رغم أن بعضها ما زال عالقاً .

السؤال الذي نطرحه أولاً هو : أي الاماكن او البلدان كان اكثر تطوراً من بلاد الرافدين في الأرض كلها قبل ظهور السومريين في جنوب وادي الرافدين حتى نقول بأن السومريين قدموا من خارجه وجلبوا معهم نواويس الحضارة ومنها الكتابة ؟

والجواب الحتمي هو لم يكن هناك اكثر تطوراً من وادي الرافدين على الاطلاق ، لأن العراق ومنذ عصر الميزوليت ثم النيوليت ثم الكالكوليت كان يتطور بطريقة متصاعدة متسارعة ويجعل جميع الاماكن التي حوله تلهث وراء تطوره . . ولذلك جاء تطور

السومريين متمماً للتطورات التي سبقتها . فقد تطور وادي الرافدين في التعدين والزراعة والري وإنشاء المدن والمعابر وظهور الحرف . . فما الذي يمنع أن تنمو هذه النوااميس الحضارية وتتطور ويكون ذلك على أيدي اناس أطلق عليهم بعد ذلك إسم : السومريين . يقول المؤرخ (جورج رو) بأن الأدب السومري يقدم لنا صورة لشعب مُجد مثقف ، وجد متدين ، غير أنه لا يعطينا معلومات عن أصله . وتدور حوادث القصص والأساطير السومرية في وسط غني بالأنهار والبحيرات وبالبردي والنخيل - وهذه خلفية نموذجية لمنطقة جنوب العراق - وتعطي انطباعاً قوياً بأن السومريين قد عاشوا دائماً في ربوع هذه المنطقة . وليس هناك ما يؤكد وجود أي موطن سالف للسومريين يختلف عن وادي الرافدين ، ، (رو ١٩٨٤ : ١٢١) .

بعد الثورة النيوليتية الهائلة في شمال وادي الرافدين وعلى سفوح جباله وظهور القرى والعبادات المنتظمة وسبل التحضر ، وصلت كانت هذه الثورة إلى ذروتها في حضارة أو ثقافة سامراء في الألف الخامس قبل الميلاد . وقد هذه الحضارة تعتمد في اقتصادها على الزراعة . . والزراعة بدورها تعتمد على الأطار المتذبذبة السقوط . ولم يكن هناك سبيل امام السامرائين إلا الاعتماد على الأنهار وتنظيم ريعها . . وكان لا بد أن يوافق ذلك انحذارهم إلى الجنوب مع مسيرة دجلة فبدأوا بالنزوح تدريجياً .

كان الإسم القديم لمنطقة سامراء في الألف الأول قبل الميلاد (سمراته) وذكر أيضاً (سيمراوم) و (سيمراء) . . اما الرأي الذي يقول أنه في العصر العباسي اشتق من عبارة (سُر من رأى) فهو خرافة ولا شك . ويدل على أن هذه المنطقة وما حولها كان لها علاقة باسم (سومر) بدليل ذكر (سور سومر) عند احد المؤرخين الرومان ووجود منطقة (سومار) إلى الشرق من سامراء باتجاه إيران .

إن هذا كله يشير إلى أن سامراء النيوليتية كانت الموطن الاصلي للسومريين وقد حاول الدكتور فوزي رشيد اثبات ذلك في أكثر من مناسبة .

ولا نستبعد مطلقاً أن انتشار السامرائين النيوليثيين كانوا في الأرض المحصورة بين (سامراء) على دجلة و (حديثة) على الفرات . وأن انحذارهما ، كل على نهره ، بدأ في منتصف الألف الخامس قبل الميلاد مع بدء الثورة الكالكوتيتية واستخدام المعادن . وقد تكون جبال حميرين مصدراً أساسياً في هذه الهجرة .

ويبدو مع الزمن ، في حدود الألف الخامس قبل الميلاد ، ظهر في المناطق التي حول نهر دجلة في اراضي جنوب وادي الرافدين الخصبة اقوام اطلق عليهم اسم (الدجلويون الاوائل) وهم ابناء حضارة سامراء . أما الذين تتبعوا نهر الفرات في اراضي جنوب وادي الرافدين الخصيبة فاطلق عليهم اسم (الفراتيون الاوائل) . وكان لكل من هؤلاء لغة تختلف إلى حد ما عن الأخرى وياندامجهما في مدن السهل الرسوبي ظهر ما نسميهم بـ (العبيدون) الذين يمكن أن نطلق عليهم السومريون الاوائل حيث شكلوا الأجداد المباشرين للسومريين . ويمكن تتبع ما أسلفناه في (المخطط رقم (٢))

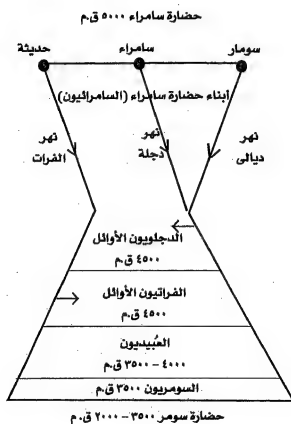
وبذلك نرى أن القسم الجنوبي من وادي الرافدين كانت تسكنه ثلاثة أنواع من الأقوام المتجانسة (بين الألف السادس والخامس) ق. م. وهي :

١ - الدجلويون الاوائل (proto - Tigridians) وهم الأقوام الذين سكنوا حول النصف الجنوبي من نهر دجلة واستقروا في النصف الأعلى من السهل الرسوبي ، وقد بحث الباحثون في ما تبقى من اسمائهم لغتهم فوجدوا ان هناك أسماء بعض الآلهة مثل «داكان وزابابا ورب الشمس أمبا AMBA وعشتار وأداد ، وبأن المنطقة قد سكنت من قبل العناصر المتكلمة باللغات السامية باقوام تختلف عن الفراتين الاوائل ، اطلقوا عليهم اسم سكان دجلة الاوائل » (الأحمد ١٩٧٨ : ٢٣١) .

٢ . الفراتيون الاوائل Proto - Euphratic : وهم النازحون الشماليون الذين اسسوا مدنهم على نهر الفرات وشكلوا اغلب سكان النصف السفلي من جنوب العراق . وقد قام لاندز بيركر بدراسة بعض مفرداتهم التي شملت أسماء مدن معروفة وأسماء حرف وصناعات ضرورية وأساسية للمجتمع الزراعي السومري فيما بعد . وقد أطلق هو هذه التسمية على هؤلاء الأقوام ، وشخص ما يقرب من (٣٥) مفردة لهم ، ثم أضاف لها (غلب) (٢٣) مفردة أخرى .

٣ . العبيدون : وهم في رأينا الخليط الحضاري من الدجلويين والفراتيين الاوائل وجميع الفلاحين والحرفيين الذين نزحوا من شمال وادي الرافدين واستوطنوا سهله الجنوبي الرسوبي وابدعوا في مجالات زراعة الري وصناعة الفخار الخاص بهم واستعمال المعادن وبناء المدن . ونرى أن من أوائل المناطق التي ظهر فيها العبيدون كاصحاب حضارة جديلة هي منطقة أريدو ثم تل العبيد ثم الوركاء . . الخ . وكان زمن ظهورهم ينحصر بين

(٤٠٠٠ - ٣٥٠٠) ق.م. وهم في رأينا (السومريون الأوائل) أو أجداد السومريين القريبون. وقد نشر العبيدون ثقافتهم وحضارتهم إلى شمال العراق والناضول وسوريا والمتوسط وبلاد عيلام والجزيرة العربية والخليج وكانت إنجازات نوعية هامة على جميع المستويات، وهكذا فعل مثلهم أسلافهم السومريون الذين أكملوا نشر الحضارة الرافدية وكل ما في الأمر، أن بدء ظهور الكتابة جاء بعد أفول العبيدين بقليل. ومع بزوغ السومريين، (بسبب الكتابة)، أدار هؤلاء القوم التاريخ من مراحل ما قبل التاريخ إلى أول المراحل التاريخية وهنا تكمن أهميتهم وفراحتهم .




مخطط (٢)

مخطط مقترح للأصل الرافديني الشمالي (العراقي) ولكيفية تشكل أجداد السومريين في الجنوب الرافديني

٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م)

مع ظهور ثقافة أو حضارة اوروك (الوركاء) (والتي تقع على بعد ٣٠ كم جنوب شرقي السماوة) بدأ ظهور السومريين يتضح في العراق ، ومع هذا العصر بدأت الحضارة في جنوب العراق تنعطف نوعياً خصوصاً وأن حضارة العبيد كانت قد انحلت تماماً ، فقد بدأ الفخار بأنواعه الثلاثة (الأحمر والرماذي والعادي) بالظهور أولاً كدلالة على تغيير مزاج وذوق الناس الذين يستعملون هذه الأدوات الفخارية في حياتهم . وبدأت معابد المصطببات بالظهور والإنتشار . وفي حدود ٣٢٠٠ ق.م ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد أوروك وسميت مرحلة الكتابة هذه بالمرحل الصورية (pictographic) حيث أصبح بالإمكان التعبير عن كلمة بعلامة واحدة ، فمثلاً العلامة :

(GU) (كو) 

تمثل صورة رأس الثور وتعني كلمة ثور (انظر رشيد ١٩٧٢ : ٢٠٠) .

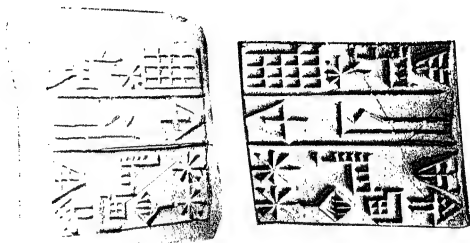
وكانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة . وانتشر فن النحت ، ونقشت الألواح من الحجر ، وصنعت الأختام الإسطوانية وكان فن العمارة راقياً جداً فقد زينت واجهات المعابد بنقوش مصنوعة . . منها معبد (آن) في اوروك ، ومعبد العقير . او زيت بالفسيفساء المتكون من مسامير ملونة من الفخار أو الحجر .

وبعد ثقافة أوروك السومرية الأولى بدأت ثقافة جمدت نصر السومرية الثانية التي تصاعدت فيها الانجازات السومرية ، وتقدمت فنون الحضارة السومرية وتأسست أغلب نواميسها ، ويذكر أنه قد عثر فيها على مسلة صيد الاسود والاعناء النذري ورأس القنطرة الرخامي وتمثال امرأة عارية ومجموعة من الأختام المسطحة والإسطوانية والأسلحة والفسيفساء وتطورت الصناعات المعدنية كثيراً .

أما الكتابة فقد انتقلت من طورها الصوري الى الطور الرمزي (Ideographic) حيث أصبح يمكن التعبير عن الاشياء والأفكار المتعلقة بها أو التي يمكن أن توحي بها ، فصور المحرثات يمكن أن تعبر عن الفلاح ايضاً ، وصورة الفم ومعها صورة الماء تعبير عن الفعل (شرب) فاذا كان معه قطعة خبز تعبر عن الفعل (أكل) . . وهكذا .

وتطورت الكتابة المسمارية بعد ذلك إلى الطور الصوتي (Phonetic) حيث أصبح

الاهتمام بالعلامات المسمارية، دون معانيها التي تعبر عنها الصورة في الأصل، لتكتب بواسطة الأصوات فمثلاً كلمة (السهم) ترسم بعلامة معينة تلفظ بـ (تي)، ولكن لفظ (تي) يعني في نفس الوقت كلمة (حياة) . . لذلك أصبحت كلمة حياة وسهم تكتبان بنفس العلامة دون أن يكون بينهما علاقة .



شكل (٩)

كتابة سومرية مسمارية

أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة أو الكتابة المقطعية (Agglutinate) التي مهدت لها المرحلة السابقة، حيث أصبح الاعتماد كلياً على الألفاظ الصوتية دون المعاني . فبدأ دمج العلامات ليبدل على كلمات مادية ومعنوية جديدة، وأصبح مع هذه المرحلة كتابة الاسماء سهلاً، فمثلاً إذا كان اسم الشخص (كي تي) (ki- ti) فيتم رسم علامة ki التي تدل على المكان أو الأرض، ثم بعدها علامة Ti التي تدل على السهم أو الحياة دون أن يعني

بالضرورة معنى اسم الشخص (مكان أو أرض الحياة) مثلاً . . وهكذا ، وقد انتشر الخط المسماري في مرحلته الصورية في جميع بلاد سومر ، بل ويظن أنه قد أنتشر إلى خارج سومر باتجاه الشرق نحو الصين ، ومن الشكل الصوري للكتابة المسمارية السومرية ظهرت الكتابة الصينية القديمة المسماة (كو-رون) (انظر 1913, litt, Bali).

وكذلك نرى أنه من انتشار الحضارة السومرية والسومريين وكتابتهم في المرحلة الصورية غرباً باتجاه البحر المتوسط ومصر نشأت الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة وانتشرت معها نوااميس حضارية سومرية كثيرة (انظر 1930 waddell).

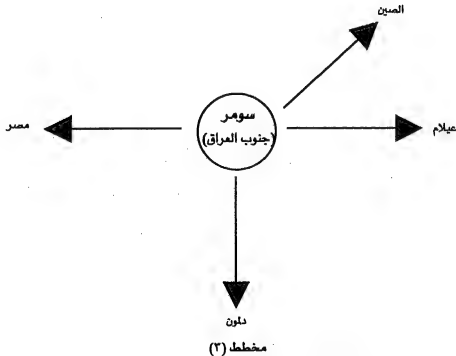


شكل (١٠)

الأعلى: مخلوقات خرافية سومرية الوسط والاسفل: قبضة السكين التي عثر عليها في تل الأراك في مصر (قبل ٣٠٠٠ ق.م) وهي تشير إلى تأثيرات سومرية واضحة (المخلوقات الخرافية: الزوارق ، الحيوانات المتصارعة، الشخصوص .. الخ).

وانتشر الخط المسماري السومري ومعه اللغة السومرية إلى منطقة (عيلام) جنوب إيران . . وبدت منطقة عيلام وكأنها امتداد لأرض سومر ، لا يفصل بينهما سوى مياه الأهوار (انظر 1972 Hinz) . حيث ظهرت أواخر العصر الشببي بالتاريخي حوالي ٣٠٠٠ ق.م الكتابة العيلامية الاولى (Proto - Elamit) وفي مثل هذه المرحلة بدأت الحضارة والكتابة السومرية بالانتشار باتجاه الخليج العربي ووصلت إلى دلمون (البحرين) وقد عثر على آثار تشير إلى ذلك (بيبي ١٩٨٥).

أي أن الاشعاع السومري في فترة الظهور قبل بداية الألف الرابع قبل الميلاد إتجه أربع اتجاهات مهمة وأثر فيها ومهد لقيام حضارات فيها (انظر المخطط رقم (٣)) وسيساهم تقديرنا لهذا الامر ، على ضوء الموجودات الأثرية بحل مشكلة الأصول التي ناقشناها في الفقرة السابقة حيث أن الأمر حصل معكوسا ، وقد بدأ بهذا الانتشار في هذه الإتجاهات الأربعة .



يوضح انتشار الثقافة والكتابة السومرية خارج وادي الرافدين ما بين ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م

إن الانتشار الواسع والكبير للكتابة المسمارية حصل مع ظهور الاكديين واستعمالهم الكتابة المسمارية لتدوين لغتهم التي حملوها معهم مكتوبة بالمسماري الى اطراف الامبراطورية الاكدية ، وبذلك صار استعمال الخط المسماري عالمياً منذ ذلك الوقت .

شهدت مرحلة الظهور السومري تأسيس المدن السومرية الكبرى ، وظهرت في هذه المدن حكومات وأنظمة سياسية ودينية ومتطورة . وتخبرنا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان ، الذي يخمن الباحثون انه حدث في حدود (٣٠٠٠ ق.م) وربما قبل ذلك بكثير ، أن ثمانية ملوك حكموا في فترة ما قبل الطوفان التي قد تقع ضمن فترة الظهور السومري ، حيث نزلت الملوكية من السماء الى المدينة السومرية (أريدو) التي كانت تسمى (نون كي) ثم توالى انتقال الملوكية إلى المدن السومرية الخمس حكم فيها ثمانية ملوك لمدة ربع مليون سنة (في مقاييس ذلك الوقت من السنين) ثم حدث الطوفان ، وهذه المدن وملوكها كما يلي :

١- أريدو : حكم فيها ألولم ، الكار .

٢- بادتيبيرا : حكم فيها أنمنلو أنا ، أنمنكال أنا ، دموزي الراعي .

٣- لاراك : حكم فيها أنسيبازي .

٤- سبار : حكم فيها أنميندر أنا .

٥- شروباك : حكم فيها أوبار توتو .

وقد ارتبطت بهؤلاء والملوك أحداث وأفكار اسطورية ونسبت لبعضهم المعجزات والخوارق .

٣ مرحلة دول المدن السومرية (عصر السلالات السومرية)

٣٠٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م

إذا اتبعنا ثبت الملوك السومريين بعد الطوفان ، وما أظهرته الحفريات الأثرية لهذه المرحلة نستطيع أن نقدر أن التاريخ المعروف لبدء مرحلة دول المدن والسلالات السومرية تقريباً ٣٠٠٠ ق . م ، ويحدد بعض العلماء بدء هذه المرحلة في ٢٨٠٠ ق . م أو ٢٩٠٠ ق . م (انظر باقر ١٩٧٣ : ٢٥٢) أي أن هذه المرحلة استمرت ما بين خمسة أو أربعة قرون فهي تقترب من زمن المرحلة السابقة (مرحلة الظهور) ، ولكنها تمتاز عنها سياسياً وحضارياً وثقافياً في تقدمها الهائل وانتشارها الكبير ، وكان سومر تحولت في هذه المرحلة إلى مصباح مضيء أثار الأرض كلها بعلومه وفنونه وأدابه وأديانه ونواميسه الحضارية المتعددة التي انتشرت إلى المناطق المجاورة لها في كل الاتجاهات ، ليس عن طريق الحروب أو الغزوات بل عن طريق التجارة والهجرات السلمية الحضارية . . حيث امتازت سومر ، وهي بلد الحضارة الأولى ، أنها في نفس الوقت بلد السلام والأمن ، حيث لم تكن الحروب الجماعية معروفة في عصرها إلا بعد أن فاجأتها أقوام أخرى غير متحضرة بلغة الحرب والموت ، أما سومر فكانت أم نواميس الحضارة البشرية التي انطلقت من جنوب العراق إلى الدنيا بأسرها .

امتاز النظام السياسي السومري في هذه المرحلة بما يسمى بدولة المدينة (city state) حيث تحتفظ كل مدينة باستقلالها السياسي وبحاكمها ومعابدها وألهتها ، رغم أن هذه المدن جميعها تسودها معتقدات دينية عامة وعلاقات سياسية واجتماعية وحضارية عامة . وقد ظهرت في هذه المرحلة حضارة المدن السومرية العظيمة التي كان لها الفضل في تصعيد المنجزات الحضارية السومرية بأكملها . وسنذكر أهم سلالات المدن السومرية وأهم حكامها :

١ . سلالات كيش الأربعة : الأولى عدد ملوكها (٢٣) ملك وآخر ملوكها (أكا) الذي حاربه كلكامش خامس ملوك أوروك ، والثانية عدد ملوكها (٨) ملوك منهم (داداسك) و (ماما كال) . والثالثة حكمتها ملكة واحدة هي (كوبابا) ، أما الرابعة فقد حكمها (٧) ملوك أولهم (بوزرسين) .

٢ . سلالات أوروك الثلاثة : الأولى عدد ملوكها (١٢) ملكاً ، وقد ظهر منهم ابطال سومر الذين ذكرتهم ملاحمها المعروفة وهم (أنركار) و (لوكال بندا) و (كلكامش) . أما الثانية فعدد ملوكها (٣) ، أما الثالثة فقد حكمها ملك واحد قوي وطموح هو (لوكا زاكيري) الذي حاول أن ينشيء دولة سومرية موحدة لكل المدن السومرية ولكن سرجون الأكدي قضى عليه ، ونفذ مشروعه بل وأنشأ امبراطورية أكديّة تعدت وادي الرافدين .

٣ . سلالات أور : كانت المقبرة الملكية في أور تشير إلى سلالة ملكية مبكرة في أور ، ولكن أور حكمت في هذه المرحلة من قبل سلالتين الأولى حكم فيها (٥) ملوك أولهم مسانييدا وآخرهم بالولو .

٤ . سلالة لكش : ظهرت في لكش سلالتان الأولى في هذه المرحلة وقد انصرفت للعميران والبناء وأهم ملوكها (أورنانشة) و (أنتمينا) والمصلح العظيم (أوركاجينا) الذي كان آخر ملوكها أما السلالة الثانية فستحدث عنها بعد الغزو الكوتي لوادي الرافدين .

٥ . سلالة أوما : حكم فيها (٦) ملوك أولهم أيابورز .

٦ . سلالة أكشاك : حكم فيها (٥) ملوك أولهم أونزي .

٧ . سلالة أوان : حكم فيها (٣) ملوك .

٨ . سلالة أدب : حكم فيها ملك واحد هو لوكال أني مندو .

٩ . سلالة ماري : حكم فيها (٦) ملوك منهم لوكال تارزي .

١٠ . سلالة حمازي : حكم فيها ملك واحد هو (هادانيش) أو (انيش) .

كانت هذه هي المدن السومرية الأساسية التي حكم فيها ملوك سومريون ، لكن هناك مدناً أخرى في سومر تخصى بنفس أهمية هذه المدن مثل نيبور (نقر) وهي أكبر مدينة دينية سومرية وتكاد تكون العاصمة الدينية المقدسة لبلاد سومر كلها ، حيث عبد فيها أكبر آلهة سومر (أنليل) ، ومدينة أريدو على ساحل الخليج ، ومدينة سبار (أبو حبة) التي عبد فيها إله الشمس اوتو ، ومدينة أشنونا (تل اسمر) ومدينة خفاجي (تل اجرب) ومدينة ايسن ، ومدينة نينا (سرغل) ومدن أخرى . كل هذه المدن لم يظهر فيها ملوك

وسلالات ملكية ولكنها كانت لا تقل أهمية عن مدن السلالات الحاكمة . وتمتاز هذه المرحلة حضارياً بابتكار نظام دولة المدنية السياسي بعد أن ظهرت المدن في وادي الرافدين منذ الألف الخامس قبل الميلاد ، وهو نظام يدل على التمدن والعمران الحضري وأول شكل من أشكال الحكم المتمدن في تاريخ العالم والذي ظل أفضل حكم سياسي لعصور طويلة ، حيث ظلت بلاد الشام مثلاً طيلة تاريخها القديم تحت ظل هذا النظام ولم تظهر دولة مركزية في الشام ، ولكن هذا لم يمنع ظهور حضارات متنوعة ومتجددة في المدن الشامية في سوريا ولبنان وفلسطين والاردن .



شكل (١١)
إناتم الأول ملك لكش (٢٥٥٠ ق. م)

وقد أقام الاغريق بعد أكثر من ٢٥٠٠ سنة على ظهور هذا النظام السومري نظاماً شبيهاً به كان الأساس في حضارة الاغريق .

واننا نرى على العكس من ذلك (كما سنرى في سومر) ان تحطيم هذا النظام والاتجاه الى نظام الدولة المركزية الواحدة ثم الامبراطورية الشاسعة قد بدد الكثير من امكانية ظهور منجزات متنوعة جديدة ، فقد قضت هذه المركزية على التنوع الذي كانت تزخر به دويلات المدن .

لقد انحسر النظام القبلي والعشائري في سومر تماماً وحل محله في المدينة السومرية النظام البرلماني حيث يقول كيرمر «إن أول برلمان سياسي معروف في تاريخ الإنسان المدون قد التأم في جلسة خطيرة في حدود ٣٠٠٠ ق . م . وقد كان مثل برلماننا مؤلفاً من مجلسين : مجلس الأعيان أي مجلس الشيوخ ، ومن مجلس العموم (النواب) المؤلف من المواطنين المذكور القادرين على حمل السلاح ، وكان « برلمان حرب » ، دعي للإنعقاد ليتخذ قراراً في أمر خطير يخص الحرب والسلام » (كيرمر ١٩٥٧ : ٨١) .

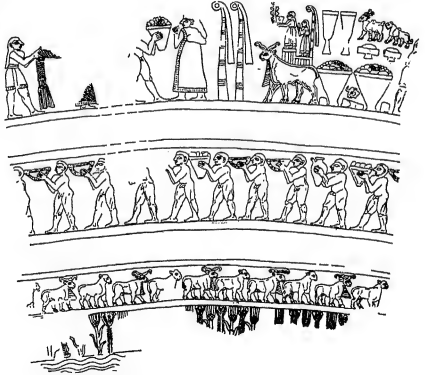
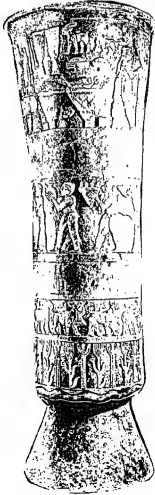
كانت دولة المدينة مكونة من العاصمة وهي المدينة المركزية التي تتبعها مدن صغيرة وقرى وأرياف وأراض زراعية ، وكان جنوب وادي الرافدين يزدحم بهذه المدن ومرفقاتها عمراناً وعمارة وحياة نوعية متخصصة ، وكان لمعظم المدن السومرية أسوار تحيط بها .

أما الحياة الدينية لهذه المدن ولمجمل سومر فسنناولها بالتفصيل في الفصول القادمة ، ولكننا نود القول أن الدين السومري كان أول نظام ديني عميق ابتدأت به العصور التاريخية للإنسان ، فقد كانت أديان ما قبل التاريخ تفتقر إلى الشبكة النظامية الدقيقة التكوين والموحدة الإيقاع في العقيدة والطقوس والمثولوجيا ، وكان ظهور الدين السومري ثورة روحية عميقة في عصره لأنه كان نظاماً دينياً شاملاً ، ثم أنه احتوى ضمناً أغلب بدور وجذور الأديان التي ظهرت بعده في المراحل التاريخية للإنسان .

وظهرت في سومر تقسيمات الأرض الزراعية التي كانت عملياً كلها ملك الإله ، ولكنها مقسمة إلى ثلاثة أنواع الأولى تابعة للمعبد والثانية تابعة لعمال المعبد والثالثة توجر للفلاحين . أما المجتمع فقد ظهرت فيه انقسامات طبقية واضحة تقع الطبقة الحاكمة على

رأسها ومعهم الارستقراطيون والكهنة وشيوخ المدينة ، أما الطبقة الثانية فقد كانت من عامة الناس من (الأحرار) وهم الطبقة الوسطى كالفلاحين والصناع والأجراء ، والطبقة الثالثة تتكون الأتباع الذين يعملون في أرض المعبد والصناعات المختلفة والذين يتبعون للأرستقراطية السومرية . والطبقة الرابعة هم العبيد الأرقاء التابعين للمعبد أو القصر وأغلبهم من العاجزين عن دفع ديونهم أو الأسرى أو المشترون .

ولا نريد ان نستطرد أكثر في مجال الانجازات الحضارية فنقول أن أول المدارس النظامية وفكرة المعلم والتلميذ والواحد المدرسة ظهرت في هذه المرحلة ، وأن أول الشرائع والقوانين ظهرت . وأن علوم الطب والكيمياء والرياضيات والفلك ظهرت ، وأن أول تصورات الإنسان عن الكون وفلسفة الخلق والوجود وأول الملاحم والاساطير المدونة وقصائد الحب وقصص البطولة قد دونت .

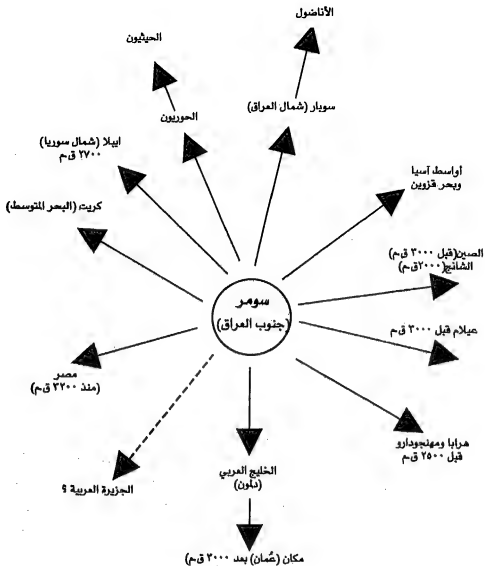


شكل (١٢)

الكأس النذري السومري من أوروك

وكان لابد لهذا الكثر الحضاري السومري المدوّن ان ينتشر الى أصقاع الأرض المحيطة به أولاً ثم البعيدة عنه . ويبدو ان فكرة انتشار المنجزات الحضارية قبل هذه المرحلة ، وفي هذه المرحلة من خلال الكتابة وغيرها هي التي أوحى لمخترعي نظريات الاصول السومرية بالبحث عن أصل السومريين خارج أرض الرافدين . . لكن الحقيقة هي أن الأمر معكوس تماماً فلماذا عكسنا رأس الأسهم في المخطط رقم (١) الذي هو عن نظريات أصول السومريين من خارج وادي النهرين فإننا سنحصل على المخطط الحقيقي لانتشار الثقافة السومرية إلى هذه «الأصول المزعومة ٩» وإذا زدنا المخطط الجديد بالسنين والوثائق فستتكشف الحقيقة كاملة (انظر المخطط ٤) وسنرى أن ذلك الانتشار الحضاري السومري كان ضرورياً للسومريين أيضاً ، فالنمو العظيم للحضارة السومرية كان يحتاج من أماكن خارج وادي الرافدين إلى أمور كثيرة ، فالذهب من ميلوخيا ووادي الهند واللازورد من برخشان Badkhsan والاحجار الجيدة لصناعة الأواني من الجبال الايرانية في الشرق والفضة من «جبل الفضة» ، ربما طوروس والنحاس من ماجان Magan ومن ساحل البحر العربي . والاشخاب من سلسلة الجبال الشرقية . . وكانت بلاد سومر مرتبطة في ذلك الوقت بخطوط تجارية مع معظم العالم المعروف آنئذ ، (يونيو ١٩٨٦ : ٥٨) .

أما التأثير الأكبر الذي مارسته الحضارة السومرية ففي وادي الرافدين نفسه وخصوصاً على الأقوام السامية التي بدأت تدخل العراق خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد والتي كانت علاقتها ودية مع السومريين واعتبرت جزءاً من سكان وادي الرافدين لا غريبة عليه . . حتى اذا ما استوعبت هذا التراث السومري وهضمته وكان عدد هذه الاقوام يتزايد قياسياً للسومريين ، قفزت الى مرحلة الحكم السياسي للعراق القديم وهو ما فعله الاكديون (الساميون) كما سنرى .



مخطط (٤)

انتشار الحضارة السومرية ومنجزاتها خارج وادي الرافدين
قبل وبعد ٣٠٠٠ ق.م. (مرحلة الظهور ودول المدن السومرية)

٤ . مرحلة الدولة السومرية (مرحلة لوكال زاكيري)

(٢٤٠٠ - ٢٣٧١) ق.م.

كان عصر دول المدن السومرية عصر حضارة وبناء وسلام سياسي ، لكن الجزء الاخير منه شهد توتراً سياسياً بدأ بين سلالتين متنافستين في لكش وأوما . بدأ أولاً بينهما حول مياه الري والأراضي الزراعية وتحديد الحدود ، وختم بينهما بظهور ملك (أوما) القوي لوكال زاكيري الذي قضى على سلالة لكش في زمن آخر ملوكها اوروكاجينا (الذي يقرأ اسمه الآن اورو أنيمكيننا) وهو مصلح اجتماعي كبير ونحن نعتبره أول مشرع في سومر ، ولكن العنت السياسي للوكال زاكيري جعله يندفع باتجاه المدن السومرية الأخرى فحكم أوروك ثم سقطت المدن السومرية بيده واحدة بعد الأخرى ، حتى لقب نفسه (ملك سومر) وتأسست بذلك مملكة أو دولة سومرية واحدة هي الأولى من نوعها في التاريخ .

وإذا أردنا التوقف قليلاً عند هذا الحدث الخطير فإننا بروح الموضوعية نقول أن ظهور دولة سومرية واحدة كان مقدمة لزوال سومر كلها . . لأن سومر ابتكرت نظاماً سياسياً عظيماً هو (دويلات المدن) وكان الحكم فيها يعتمد على اللامركزية السياسي وهو نوع من الكونفدرالية الذي كان يلائم حياة ذلك الوقت . . ولم يعق ذلك النظام ان يكون هناك كيان سومري وحضارة سومرية عظيمة ، لكن استخدام القوة والسيطرة المركزية كانا من السوابق التي ستكرر بطريقة سيشهد فيها التاريخ زوال سومر نفسها ، فقد دام حكم دولة زاكيزي السومرية الموحدة بين (٢٥ - ٢٩) سنة . . وهناك ما يقال عن زاكيزي هذا بأنه توسع في دولته وحولها الى امبراطورية تعدت حدود وادي الرافدين وشملت سوريا ، وهذا ما نراه مدوناً في سنديانة حجرية مكراسة لإنليل في نفر تدور حول فتوحات لوكال زاكيري :

« عندما وهبه إنليل ، ملك كل البلدان ذات السيادة ، الملكية على الوطن (سومر) ، ووجه أنظار الأمة اليه ، وجعل كل البلدان تنتظره ، وجعل كل فرد ، من حيثما تشرق الشمس إلى حيثما تغرب الشمس ، يستسلم له . بعد هذا ، ضُِمَّ اليه أقدام كل شخص من البحر الأسفل (الخليج العربي) ، وعلى امتداد دجلة والفرات ، وحتى البحر الأعلى (البحر الأبيض المتوسط) ، لم

يُبق له انليل أي منافس من حيثما تشرق الشمس إلى حيثما تغرب،
فخضعت له كل البلدان ذات السيادة لسيطرته (كالأبقار) في المراعى،
وكانت الأمة تروي (حقولها) بحبور في ظل حكمه، وانحنى له كل حكام
سومر التابعين وكل امراء البلدان المستقلة أمام مكتبة التحكيم في
أوروك، (رو: ١٩٨٤: ١٩٨).

ورغم وجود ما يشير الى ظهور المؤثرات السومرية الثقافية في هذه الأصقاع منذ
المرحلة السابقة الا أننا لا نستطيع أن نجزم سياسياً بظهور امبراطورية سومرية في عصر
لوگال زاگيزي، رغم أننا نستطيع أن نؤكد تماماً ظهور دولة أو مملكة سومرية موحدة في
عصره شملت جنوب وشمال وادي الرافدين ودامت أكثر من ربع قرن بقليل .

ويبدو أن هذه الفترة من ظهور الدولة السومرية المترامية الاطراف أثارت شهوة رجل
غير سومري الاصل كان يعيش في دولة سومر هذه، وهو من اصل سامي، كان يعمل
(حامل كاس) أو نادل ملك كيش (أور - زبابا) السومري . فبدأ يخطط ليكون توتاليتارياً
سياسية عراقية كالتى فعلها لوگال زاگيزي وأكثر، وقد كان بما يسانده تماماً زيادة العنصر
السامي على حساب السومري والوجود الكثيف لهم في المدن السومرية ذلك الرجل هو
(سرجون الأكدي) الذي أطاح بلوگال زاگيزي وأسس الدولة ثم الامبراطورية الاكديّة (٢٧٣١ - ٢١٥٤) وعاصمتها أكد، أي أنها دامت بحدود قرن ونصف وتوسعت خلالها
وشملت الاقطار المجاور فصارت أول امبراطورية في التاريخ، ولقد نوهنا ان هاجس
التوسع والسيطرة الذي بدأ به زاگيزي أدى إلى هذه النتيجة التي نرى أنها حطمت التنوع
وامكانيات نمو حضارات محلية مهمة وأنعشت هاجس التوسع وفتح البلدان والقسوة
عليها، وعلى شعوبها وربما تدميرها . . وهو ما سيتصف به تاريخ الشرق الأدنى القديم
بأكمله . . وما ستره اليونان مع الاسكندر وروما . . الخ .

لقد كان انتقال السلطة من السومريين إلى الأكديين سلبياً بسبب العلاقة التاريخية
التي تربط الشعبين وبسبب احتضان سومر لهما لقرون طويلة وتهذيب امكانيات التلاحن
بينهما « ومن الامور الحضارية التي يجدر التنويه بها موضوع انتقال السلطة السياسية الى
الاكديين الساميين انتفاء الصراع القومي الذي كان يفترضه الباحثون القدماء ما بين
الساميين وبين السومريين على أن منشأ أسباب قومية . اذ الواقع من الامر ان الملوك

الأكديين إذا كانوا قد اتخذوا القسوة إزاء بعض المدن السومرية فإن سبب ذلك لأنها أعلنت الثورة وليس لأن أهلها من السومريين وأنهم ساروا على السياسة نفهسا تجاه بعض المدن الأكديّة إذا أظهرت العصيان (باقر ١٨٧٣ : ٣٥٥) أما الثقافة السومرية فلم تنقوض أو تذوب خلال القرنين الأكديين بل اكتسبت عناصر جديدة منشطة من الأكديين مثلما منحت هي الأرض الخام التي بنت الحضارة والثقافة الأكديّة نفسها عليها . . وحتى على المستوى السياسي بقي بعض حكام المدن السومرية الذين من أصل سومري يحكمون مدنهم ، ولولا هذا الأمر لما استطاع السومريون بعد أن اسقط الكوتيون الامبراطورية الأكديّة طرد الكوتيين واستعادة وادي الرافدين بأكمله .

حكم الدولة الأكديّة عشرة ملوك اشتهر منهم الخمسة الأوائل ، ثم استطاع الكوتيون وهم من اقوام جبال زاغروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع إيران القضاء على الدولة الأكديّة وورثوا أغلب مدنها خصوصاً الشماليّة منها وحكموا (١٢٥) عاماً لم تقدم خلالها أي ثقافة أو حضارة للعراق بل خربت مدنه ودمرت بعض جوانب حضارته ، أول ملوكهم (شارلكاب) وما لبثت قليلاً في جنوب العراق حتى انسحبت إلى الشمال واتخذت مدينة (أرابخا) أي كركوك مركزاً لهم بحيث مهد مثل هذا الجو العودة لدول المدن السومرية للتطور والانتعاش ، فظهرت سلالة حاكمة في الوركاء حكمها خمسة ملوك . وظهرت سلالة لكش الثانية التي بعثت الحياة في الروح السومري من جديد خصوصاً في عصر ملوكها (كوديا) . وقد حكم فيها (١٣) ملكاً سومرياً ، ثم ظهر في اوروك مؤسس السلالة الخامسة لها وهو (اتو حيكال) الذي كان قوياً فقام بطرد الكوتيين من وادي الرافدين كله واعاد السيادة السومرية على البلاد ، ويبدو أنه قام بمحاولة تسوية من مدينتي لكش وأور التابعتين له ، لكن حاكم مدينة أور واسمه (أورنمو) انفصل عنه ، ثم تغلب عليه واسس سلالة سومرية جديدة هي سلالة أور الثالثة التي قدر لها أن تعيد للمجد السومري وتجعل في سومر إمبراطورية جديدة .



شکل (۱۴)
اورنانشہ امیر لکش



شکل (۱۳)
کودیا امیر لکش

٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (سلالة أور الثالثة)

(٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م)

دام حكم سلالة أور الثالثة زهاء القرن الواحد لم تكتف فيه بتوحيد المدن السومرية بل واستطاعت مد نفوذ سومر الى خارج وادي الرافدين مقلدة ما فعلته الامبراطورية الاكدية ، فقد شملت فتوحاتها أغلب الشرق الأدنى فبالاضافة إلى شمال الرافدين وصلت فتوحاتها الى عيلام وسوريا ووادي الخاور والبالخ والاجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ومناطق الخليج العربي .

وحكم في سلالة أور الثالثة خمسة ملوك هم (اور - تمو ، شولكي ، أمارسين ، شوسين ، أبي - سين) .

وخلال هذا القرن السومري الأخير أنجز السومريون أعظم إنجازاتهم في جميع المجالات وثبتوا أركان حضارة كبيرة ستكون أساس ما بعدها ، فقد انتعشت الثقافة السومرية القديمة بالمصل الاكدي الذي أضاف لها الكثير وبذلك نشأت ثقافة سومرية جديدة أصبحت أكثر قدرة على منح العالم القديم (الذي بدأ ينهض ويؤسس دوله وحضاراته) رؤية عالمية نشطة وقوية .

لقد كان الملك السومري أورتمو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) هو أكثر ملوك سلالة أور شهرة وعظمة ، فقد كان مهتماً بالبناء والعمران في كل سومر ، وتعتبر زقوة أور التي بُنيت لإله القمر (نانا) من أشهر وأروع المجازاته العمرانية . كذلك يعتبر من أقدم المشرعين في التاريخ فقد وصلت شريعته المدونة باللغة السومرية ، والتي تعكس إحساسه الإنساني بالعدل وستة لقوانين الغرامات المالية بدلاً من القصاص الجسدي (العين بالعين) وهو ما سنته لاحقاً شريعة حمورابي .

ويعتقد أن السبب العميق لسقوط الامبراطورية السومرية هو سبب اقتصادي ، فقد أصبح من العسير على بلد بدأت الملوحة تصعد في أرضه الخصبة ويقل إنتاجه الزراعي ، ان يقوم بمد الغذاء والحياة الهائلة لأصقاعه البعيدة . . وان يلتفت لادراتها بصورة صحيحة .

أما الأسباب السياسية والعسكرية فقد كانت مباشرة وعنيفة ، قد كان من الواضح ان قلب سومر في جنوب العراق أصبح بين فكين شرسين الأول أتى من الشرق حيث هجم

العيلاميون على المدن السومرية وخربوها . والثاني أتى من الغرب حيث هجم الأموريون (وهم ساميون جدد) على سومر وأمسكو الحكم في مدنتهم ثم استطاعوا طرد العلاميين من وادي الرافدين واصبحوا هم ملوك السلالات والممالك الجديدة ثم وحدث العراق احدى السلالات الآمورية وهي سلالة بابل الأولى .



شكل (١٥)

الملك أورنمو أمام الإلهة ننگال زوجته الإلهة القمر هي أور ، متحف فيلادلفيا

هكذا زال الكيان السياسي للسومريين الى الأبد، ولكن حضورهم الثقافي كان الأساس الذي بنيت عليه حضارات العراق القديم كلها، كما أن اللغة السومرية ظلت تستخدم كلغة دين وعلم لفترات لاحقة.

كانت الامبراطورية السومرية في أواخر حكم اباطرتها قد بدأت بالتفكك فقد انفصلت عنها عيلام، ثم انفصلت المدن السورية، أما مدن وادي الرافدين فقد تشكلت مثل رقع موزايقية من الممالك الكبيرة والصغيرة، ففي جنوب وادي الرافدين ظهر صراع حاد بين مملكتي ليسن ولارسا لاحتلال مركز اور وحكم بلاد سنومر واكد. اما في الشمال وادي الرافدين فقد ظهر صراع حاد بين مملكتي أشنونا وآشور للسيطرة على الطرق التجارية الكبيرة وعاد العراق بالتدرج مفككاً الى دول مدن جديدة سامية هذه المرة حتى ظهرت سلالة بابل الاولى التي اعادت الوحدة له تحت حكم سامي قوي.

إن التاريخ السومري يظهر لنا متدرج التطور، فمن الأصول الزراعية البعيدة لفلاحي الشمال العراقي الى الظهور الواضح والزعامات والكهانات في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد الى ظهور دول المدن السومرية الى ظهور دولة سومرية واحدة الى ظهور الامبراطورية السومرية، وهو تاريخ يستحق التأمل وإعادة الفحص دائماً بسبب من كونه أول تاريخ مكتوب في العالم لأول حضارة تدرجت سياسياً من حكومة المجلس إلى المدينة إلى الدولة إلى الامبراطورية.

الفصل الثاني

المثولوجيا السومرية

(دراسة في الأساطير والآلهة السومرية)



يتكون كل دين ظهر على وجه الأرض من مكونات رئيسية كبرى وإمن مكونات ثانوية ملحقة بها ، والمكونات الأساسية لكل دين هي (المعتقد ، الأسطورة ، الطقس) . أما المكونات الثانوية فتتضمن (الأخلاق والشرائع) (انظر السواح ١٩٩٤ : ٤٧) .

ونري أن أهمية كل عنصر من هذه العناصر الأساسية أو الثانوية تتغير طبقاً إلى نوع الدين وطبيعته فالأديان البدائية تضع الطقس في أولوياتها ، والأديان الجوهريّة (أديان الشرق الأقصى) تضع المعتقد ثم الطقس في أولوياتها ، والأديان الإلهية (أديان الشرق الأدنى وحوض المتوسط) تصنع الأسطورة في أولوياتها مصدراً للمعتقد والطقس (انظر الماجدي ١٩٩٦ : ٧٨) .

وتلعب الأساطير السومرية دوراً أساسياً في الدين السومري فهي منهل عقائده وطقوسه ولذلك أترنا تفصيل الحديث عنها أولاً ، ثم أن هذه الأساطير بنظامها الكوزمولوجي واللاهوتي المحكم وشجرة ألقتها الوارفة كانت جوهر كل مشولوجيات الأديان التي جاءت بعدها .

سنحاول أن نجعل من هذا الفصل درساً روحياً وفكرياً لا سرداً أسطورياً تقليدياً ، لذلك سنرسم كوزمولوجيا أسطورية سومرية من خلال هذه المشولوجيا لتكون قاعدة أساسية لفهم الأساطير وحركة الآلهة ، كذلك سننظم (لأول مرة كما نعتقد) شجرة أنساب مفصلة للآلهة السومرية ونفصل في شرح الباثيون (مجمع الآلهة) السومري وننظر في تصنيفات الآلهة وتبويبهم ، وسيتم خلال ذلك سرد الأساطير السومرية بطريقة تلائم هذا التصنيف وتقع ضمنه .

المثولوجيا ، قبل كل شيء ، هي علم دراسة الأساطير ، والأسطورة هي حكاية مقدسة أو هي بتعريف أوسع ، حكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد ، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى ، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة ، لا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي ، (الملاجلي ١٩٩٧ : ٢٨) .

ويرى مرسيا الياد « أن الاسطورة تروي تاريخاً مقدساً ، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي ، الزمن الخيالي ، هو زمن (البدايات) ، بعبارة أخرى تحكي لنا الاسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود ، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا ، لا فرق بين ان تكون هذه الحقيقة كلية كالكون Cosmos مثلاً ، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعاً من نبات أو مسلكاً يسلكه الانسان أو مؤسسة ، إذن هي دائماً سردٌ لحكاية «خلق» : تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء ، كيف بدأ وجوده ولا تتحدث الاسطورة إلا عما قد حدث فعلاً ، عما قد ظهر في كل امتلأته . أما أشخاص الأساطير فـ«كائنات عليا» (الياد ١٩٩١ : ١٠) .

تصنيف الأساطير السومرية

رغم وفرة عدد لا بأس به من المصادر والكتب الاجنبية والعربية التي تتحدث عن الأساطير السومرية ، إلا أن عدداً قليلاً منها يتخصص بها كلياً ، وأغلبها يقع في التعميم فيخلطها مع الأساطير البابلية والآشورية .

لقد وجدنا انه من الضروري ، بل ومن العملي بمكان ، فصل وعزل هذه الاساطير لوحدها والحديث عنها بالكثير من الدقة والتروي والعمق .

ما زال كتاب صموئيل نوح كريم (الاساطير السومرية) هو المرجع الأساس في هذا الموضوع ، إلا أن هذا الكتاب ، رغم أهميته ، صدر منذ زمن بعيد وظهرت بعده نصوص مسمارية كثيرة تعنى بالاسطورة السومرية ، ثم أن علم الاساطير (المثولوجيا) تطور تطوراً كبيراً ومنحنا آليات عمل وتحليل لم تكن واردة في زمن صدور ذلك الكتاب .

رغم ذلك نعود الى كريم الذي قال قبل حوالي ثلاثين سنة «انه بات متوفراً لدينا الآن حوالي عشرين اسطورة وتسع وقصص ملحمية وما يزيد على مائة ترتيلة وصلاة

ونحو عشرين قصيدة غنائية وحوالي عشرين قصيدة أخرى من نوع المراثي - تزيد في مجموعها على عشرين ألف بيت من الشعر السومري» (كريب: ١٩٨٦: ٥٥).

وبرغم الكثير من الطرق التي عرضت فيها الأساطير السومرية إلا أننا وضعنا تصنيفاً يتناسب مع ما هو متوفر منها ويأخذ بنظر الاعتبار الطريقة العلمية في تصنيف الأساطير وهي كما يلي :

١ . أساطير الخليقة (التكوين) Myth of Gensis

أ - الأساطير النشكونية (الكوزموغونيا Cosmogony)

ب - أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا Thoeogony)

ج - أساطير نشوء الإنسان (الانثروبوغونيا Anthropogony) .

٢ . أساطير تنظيم الكون Myths of Organization

أ - الأساطير المرتبطة بالإله أنليل

١ . أسطورة خلق الناس

٢ . رحلة (نانا) إلى نقر

٣ . إيميش وانتين

٤ . لاهار وإشنان

ب - الأساطير المرتبطة بالإله إنكي

١ . إنكي وتنظيم سومر

٢ . إنكي وأريدو والرحلة إلى نقر

٣ . أساطير تدمير الكون Myths of Destruction

أ - الطوفان (أسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى)

ب - التنين (أسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

١ . التنين كور والآلهة (إنكي ونورتا وأنانا)

٢ . التنين أساج والاله تنورتا

٤ . أساطير إنانا Myths of Inanna

١ . إنانا والآلهة (آن ، انليل ، انكي)

٢ . إنانا ودموزي

٣ . إنانا وملوك سومر (كلكامش ، شولجي ، شوسين ، ايدن داجان ، ايشمي داجان)

٤ . إنانا والانسان (شوكالتيو دا ، بيلولو)

٥ . إنانا والعالم الآخر

أ . إنانا وجبل إيبخ

ب . إنانا وكور

ج . هبوط إنانا إلى العالم الأسفل

تتماز الأساطير السومرية بقدمها وعراقتها وأصالتها قياساً إلى كل مثولوجيات الأمم الأخرى، فقد كانت ولا شك في بدايتها قبل ٣٠٠٠ ق.م شفاهية وغير مدونة، ثم بدأ السومريين تدوينها، ويرى كيرمر أن أقدم الأساطير السومرية المدونة وصل إلينا مكتوباً باللغة السومرية على إسطوانة من الطين مقسمة إلى عشرين حقلاً وتعود إلى حدود ٢٤٠٠ ق.م وهي اسطورة تتعلق بالاله انليل والآلهة ننخرساج (انظر Kramer 1963: 168)

ولم يكن الشاعر السومري الذي كتب الاساطير (أو القصائد الشعرية) عارفاً بالوزن والقافية (كما في العصر الأكدي ثم البابلي الآشوري) لذلك جاءت قصائد، وأساطيره أشبه ما نسميه اليوم بـ (قصيدة النثر) ولكنها كانت مشروطة بتقنيات تعوض عن الوزن والقافية وهذه التقنيات هي (التكرار والمقابلة والوصف والتشبيه).

ويرى كيرمر أن السومريين استخدموا التشبيه على نطاق واسع ويبدو أنه كان التقنية الشعرية الرئيسية، وقد أعدت دراسة لأكثر من عشرين نموذجاً تمثل جميع الأجناس الأدبية ورغم ظهور المقارنات التي كانوا يفضلونها والتي لم تكن بالخيالية ولا بالعميقة، إلا أنها

تعكس درجة من رهافة الحس ذات صلة بالعالم الطبيعي والحيواني كصلتها بعالم الانسان ومصنوعاته (انظر كيرير ١٩٦٨ : ٦٥).

وتخفل الاساطير السومرية بمبدأ التشبيه الانساني (Athropormohpism) حيث تشبه الآلهة بالبشر تماماً في كل سلوكها وشكلها وولادتها واحياناً موتها (وهو نادر لأن الآلهة تتصف بالخلود) واحياناً لا نشعر مطلقاً أننا امام إله أو آلهة بل أمام إنسان عادي أو ملك أو حكيم .

ونختلف تماماً عن الاستاذ صموئيل نوح كيرير الذي يرى أن معظم الاساطير السومرية اساطير سببية Etiological Myths اي أنها تحاول أن تفسر الاحداث الكونية وتخلق لها قصصاً مناسبة ونرى أنها أساطير متنوعة فيها التأمل والسببية وهي صدى لعصرها وللطبيعة التي نشأت فيها ، وفيها ما هو رمزي وفيها كيفية تنظيم الكون وتطوره وليس أسباب وجوده فقط .

ولم تكن الأساطير السومرية شعائر مقروءة في الممارسات الدينية ، وليس هناك ما يشير الى أن هذه الأساطير كتبت لتمثل أو لتكون جزءاً من الدراما الطقوسية بل كانت أشبه بالنصوص المقدسة يرى فيها السومري إراثاً لما رآوه الاجداد وعرفوه عن بدايات الأشياء أو عن تاريخها المقدس كما يقول مرسيا الياد ، ولذلك ايضاً لم تكن تعامل كنصوص أدبية فيها قوة وغنى التعبير . بل كنصوص حقيقية لا خيال ولا شطح فيها .

وأنه لما يثير الانتباه حقاً ما لاحظته كيرير من أن الاساطير السومرية كانت على صلة بالمدارس ودور العلم السومرية (اي دُبّا E- dubba) او بيوت اللوح أكثر من صلتها بالمعابد . وكانت مادة للتعليم والاستنساخ ولم تكن مادة للموعظ والكهانة فقط ، فقد عثر في مدينة نَفر (وهي العاصمة الدينية المقدسة لسومر) على الأساطير والتراثيل والمرثيات في التل المعروف بـ (حي الكتاب Seribal quarter) ولم يعثر عليها في معابد نفر الشهيرة .

القسم الأول

أساطير الخليفة والنشوء (التكوين) السومرية

Myths of Gensis (creation)

لا شك أن جوهر الاسطورة ويؤثرها الحقيقية تكمن في أساطير الخليفة والنشوء، لأنها تشير إلى الأول دائماً (الكون والعالم الأول)، الآلهة الأولى، الانسان الأول . ولذلك توجج هذه الأساطير الشوق إلى معرفة الأصول، وهو شوق أصيل في الروح الإنساني ونزعة من نزعاته القوية . ول نجد في مثل هذه الأساطير ما يمس أعماقنا القصية أو المستوى الضمني Emplicate Order الذي تحدث عنه (ديفيد بوم) سواء كان في الكون المحكي عنه في الاسطورة أو الكون العميق الذي في داخلنا كمتلقين للإسطورة .

سيطر البحث عن أصول اللغة والمجتمع والفن والأجناس والدين وغيرها على علماء الإنسانيات في القرن التاسع عشر، مثلما سيطر على علماء الطبيعة لمعرفة أصل الأرض والفلك، ولمعرفة أصل الكون والبايولوجيا ولمعرفة أصل الحياة (انظر الياد ١٩٩٤ : ٢٧).

إن أساطير نشوء الكون وظهور سلسلة الآلهة من أقدمها واكبرها إلى أصغرها واحداثها أو كيفية خلق الإنسان . . لم تكن تسير وفق أقاصيص اعتباطية وروى وأخيلة كيفية، برغم أنه كان يخضع لتداول أجيال متعاقبة، إنها مشيد ببنية محكمة خفية تحمل

أبعاداً فيزيائية وبايولوجية صحيحة . . وهذا يدل على أن الإنسان لم يكن يرّمز قصدياً للظواهر والموجودات برموز الهية، بل لم يكن الشيء ينفصل عن رمزه مطلقاً «ويرجع هذا إلى إحساسه بوحدة الحياة وقديسيتها . . أما شعوره بوحدة الحياة فيرجع إلى تصوّره أن حياته الزمنية تعكس تماماً نظام الكون، أو هي ونظام الكون شيء واحد يدور في فلك من الصراع بين القوى الإيجابية والقوى السلبية وقد ترتب على هذا شعوره بقديسية الحياة ابتداءً من أدنى مظاهرها إلى أعلى مظاهرها، (إبراهيم ١٩٧٩ : ٧٧) .

وقد سبق لنا أن صنفنا أساطير التكوين إلى ثلاثة أنواع، الأولى يخص الكون والطبيعة خلقاً، والثانية تخص الآلهة وكيف توالدت عن بعضها وسنمر بما نراه مناسباً من صفات وأساطير كل إله، والثالثة تخص الإنسان الذي تعددت طرق خلقه من قبل الآلهة السومرية كما سنرى .

١. الأساطير النشكونية (نشوء الكون : الكوزموغونيا)

Cosmogony

لم يعثر إلى الآن على أسطورة كوزموغونية سومرية خاصة (مثل أسطورة الخليفة البابلية) ، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها، فربما ستجود بها أرض سومر ذات يوم، وكذلك لا يعني عدم وجود تصورات ميثوية حول هذا الموضوع، فهناك العديد من مقدمات بعض القصص والأساطير والأغاني والأناشيد والتراويل التي تعطينا تصوراً نشكونياً واضحاً عند السومريين ومنها قصة (كلكامش وإنكيدو) ومقدمة أسطورة (الماشية والخنطة) وأسطورة (خلق الفأس) وبعض التراويل والإشارات هنا وهناك .

تسمى الأساطير السومرية أول أيام الخليفة (أوريا Uria) ففي ذلك اليوم بدأ الانتقال من مرحلة العماء (Chaos) إلى مرحلة الكون (Cosmos) وقد تمّ ذلك من خلال الانثى الكونية المائتة الأولى نّمو Nammu وهي إلهة هيوالية تحركت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن - كي) ويعني (السماء - الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه نّمو، وبذلك تكون أيضاً (المكان الأول) .

إن نّمو كانت غمرأ من المياه وهي أم الوجود كله، البحر الذي لا حدّ لقدمه والذي

يشتمل على كل الانظمة والحكمة والالوهية الصافية، أنه الجامع للغمر وللألهة . ويذكر هذا بفاتحة التكوين العبري- وكان الله يرف على وجه الغمر - ولذلك تعتبر غو هي أم جميع الاشياء والنواميس وتسمى (أما - تو - آن - كي) أي الأم التي ولدت السماء والارض، وتسمى أيضاً (أما - باليل - و - تو - دنكر) أي الأم الاولى التي ولدت الألهة (انظر الحوراني ١٩٧٨ : ١٣٣) .

إن الزمن الأول (أوريا) والمكان الأول (آن - كي) يشكلان في ذهن كل شعب من الشعوب نقطتين عميقتين في الوجدان، وتسبغ عليهما صفة القدسية الكاملة، ويتحولان إلى جذر للزمان المقدس، وجذر للمكان المقدس .

إن الزمان المقدس «هو زمان ميطيقي ، بدئي ، لا يتواجد مع ماض تاريخي، زمان أصلي بمعنى أنه انبثق «فجأة» لم يكن مسبقاً بزمان آخر، لأنه ما من زمان يمكن أن يوجد قبل ظهور الحقيقة التي ترونها الاسطورة» (إلياد ١٩٨٧ : ٧٠) .

إن الزمان الأول الذي انبثق عن الكوزموغونيا السومرية أصبح الزمان المثالي لكل الازمنة الأخرى، وأحيط بالقداسة بل أصبح هو جزءاً من (المقدس)، وبذلك كانت تتم استعادته سنوياً مع اعياد رأس السنة السومرية، فأيام الاعياد هذه ايام مقدسة تقطع مسرى الأيام الدنيوية العادية لبقية العام .

بعبارة أخرى « يكون في العيد إسترجاع لأول ظهور من الزمان المقدس كما حصل في الأصل، «في ذلك الزمان» . ذلك لأن الزمان المقدس الذي يجري فيه العيد لم يكن له وجود قبل «البوادر» الالهية التي يجري إحياء ، ذكرها في العيد ، (إلياد ١٩٨٧ : ٦٨) .

أما المكان الأول (آن - كي) فكان يضم الأرض والسماء في حالة اندماج واتصال وتصف الأدبيات الرافدينية هذا الجبل بأن نهايته في السماء وقاعدته المحيطة به هي الأرض، وأن الألهة تجتمع على قمته .

ويتحول المكان الأول في الأساطير وفي الوجدان الجمعي إلى (مركز العالم) أو (سرة العالم) ولذلك يولد العالم من هذا المركز، ويتبع عن ذلك أن هذا المكان المثالي المقدس يصبح النموذج الاصلي أو البدئي لكل ما سيفعله الانسان على مستوى المكان (السكن أو البناء أو التطويب لمكان) . «إن الاقامة في أرض تكرر فعل نشوء الكون . بعد أن

يَبْنِئُ ما للمركز من قيمة كوسموغونية، صار بوسعنا الآن أن نفهم بصورة أفضل لماذا يكرر كلُّ بناء يشيده الإنسان خلق العالم إنطلاقاً من نقطة مركزية (السَّرة) على صورة العالم الذي ينمو ابتداءً من مركز ويمتد نحو الجهات الاصلية الأربع» (الباد ١٩٨٧ : ٤٥).

وتحدثنا الكثير من ثقافات العالم عن جبال اسطورية أو واقعية تقع في مركز العالم مثل جبل ميرو في الهند، وهرابر زاييتي في إيران، وجبل جريزيم في فلسطين، و(جبل البلاد) في وادي الرافدين وهو جبل اسطوري يفسر لنا لماذا كان السومريون يرسمون بنفس العلامة الكتابية الجبل والبلاد باعتباره الجبل الكوني وليس لأن اصولهم جبلية!

كان (دوكو) يعني بالسومرية (الجبل المقدس) والمقصود بذلك مكان تجمع الآلهة في المنطقة الجبلية الشرقية لبلاد وادي الرافدين (ترد في اسطورة لاهار واشنان). وكان يقصد بالإسم (دوكو) في نصوص العصر البابلي الحديث المكان الذي كان يقيم فيه الإله مردوخ في معبده الرئيس في بابل ليقدر من هناك مصائد البشر (انظر اذوارد ١٩٨٧ : ٩٥).

وسيصبح المعبد لاحقاً تقليداً لشكل هذا الجبل الكوني، حتى أن اسم المعبد في الكثير من المدن السومرية كان يسمى (دور- أن - كي) أي (صلة ما بين السماء والارض) أو إرباط السماء والارض)، فكلمة (دور) السومرية تبدو وكأنها إعادة دورية للجبل الكوني (أن - كي) في هيئة المعبد وكذلك الزقورة.

١. المرحلة الكوزموغونية الأولى :

وإذا ذهبنا أعمق في التحليل المثلولوجي لحادثة الخليقة السومرية فلا بد لنا أن نحلل شخصية الإلهة السومرية الأم الأولى (غو أو نامو) تحليلاً يتناسب مع قدسية (التكوين) الذي هو في رأينا جوهر أي مثلوجيا .

أنحدرت الطبيعة الانثوية للالهة (غو) من عصور بعيدة ربما تعود إلى العصر الحجري الحديث (النيوليت) عندما سادت الالهة الام ذلك العصر كله طيلة أكثر من ثلاثة آلاف سنة شمال وادي الرافدين . وانحدرت الطبيعة الفيزيائية (المائية) لها من المحيط المائي الذي وجد السومريون أنفسهم فيه خصوصاً الأهوار ومياه الخليج العربي ومياه دجلة والفرات وفروعهما .

وهي اذ تقابل الآلهة الام البابلية (تيامت) فإنها تختلف عنها اختلافاً جلياً لأن

تيامت تمثل المياه المالحة ويقابلها أبسو زوجها الذي يمثل المياه العذبة، لكننا لا نرى مثل هذا التمايز في (نمو) فهي اذن تمثل المياه بصورتها المطلقة أو بصورتها المزدوجة (المالحة والعذبة) أي مياه البحار والانهار . ورغم أن الآلهة (نمو) لا تذكر كثيراً في الأساطير ولا تعرف لها اسطورة خاصة بها، إلا أن دورها كان عظيماً فقد ظهرت منها كل الآلهة والسومرية، ولما جاء دور خلق الانسان ظهرت الآلهة (نمو) كمساهمة في خلق الإنسان فهي اذن خلفت الآلهة والانسان معاً.

نمو، اذن الاصل الحي الذي ظهر منه الوجود كله (العالم، الآلهة، الانسان) وكانت (نمو) تدل على الإكتمال المطلق وعلى كل مادة الكون، فهي غنية بنفسها ولا تعنيها للمخلوقات، لقد كانت الشعوب ترمز لاكتمال الأنثى المائية الاولى بالاوروبوس « وكانت عذراء لأنها ابتدأت الكون، فيما بعد، من خصبها الذاتي دون معونة من مبدأ ذكري مشارك لها في أزلهها، فتولدت عنها الموجودات كما يتولد النور من مصدر الاحتراق، وإليها تعود الموجودات في نهاية الأزمان لتعنى فيها وتبقى وحدها لتلتف على نفسها، كما كانت، دائرة مكتملة، بعد أن يهدأ صخب الوجود وتسكن حركة السالب والموجب وتتصالح المتناقضات) (السواح ١٩٩٣: ١٥٨).

إننا نرى أن جدل السمكون والحركة هو الذي جعل (نمو) تلد جبل الكون ولم يحصل ذلك بالفعل الجنسي الذي يراه طومسون حول هذا الموضوع عندما يرى أن الثنائية البدائية ليست هي ثنائية عنصرين اثنين مفردين بل هي ثنائية مكونة من نصفي قبيلة واحدة هما شخصية جنسية ذكرية واثوية، ذلك لأن رجال النصف الأول من القبيلة تزوجوا مع نساء نصفها الثاني (انظر 1961: 69 Thomson).



شكل (١٦)

الاوروبوس (الافعى التي قمها هي ذيلها)
الام الكونية الأولى

ويمكننا من منطلق جديد، مناقشة مبدأ الخلق الكوني (الكوزموغوني) في المثلولوجيا السومرية عن طريق الكلمة (أو ما تسمى في اليونانية والمسيحية باللوغوس)، ففي اللغة السومرية هناك كلمة (نم) التي تعني خواص الشيء وفعله وقدرته وقدره .. وقد ترجم الأكديون هذه الكلمة إلى (شمتو) أي السمة والأسم والطبيعة الكامنة فيه، ويبدو أن هذه اللفظة ما زالت حية في اللغة العربية حيث (نم) تعني جوهر الانسان وطبعه وكل ما ينم عنه . وسنناقش ذلك تفصيلاً في الفصل الثالث .

لكن الغريب أن كلمة (نم) قريبة جداً من (نمو) وهذا يعني أن معنى (نم) كامن (نمو) أي أن (نمو) تعني سمة واسم والطبيعة الكامنة لهذه الالهة التي يفعل اسمها وكلمتها الكامنة فيها تحرك الخلق وبدأ ، خصوصاً أننا اذا تعاملنا بالقاموس العربي مع كلمة (نمو) فإننا نجد أن فيها معنى (نام) ومعني (نمى ، نمو) وهذا يعني أن هذه الالهة التي كانت نائمة تحركت خواصها أو (نمها) وبدأت (تنمو) وكان من هذا النمو أو الحركة أن ظهر جبل الكون (أن-كي).

إذا أخذنا بنموذج (المسكون والحركة) أو (الأوربوس وهي الأفق الكونية المائية التي ذيلها في فمها وتكون دائرة مغلقة) أو (الكلمة) فأنا نرى في جميع الأحوال أن (نمو) تحركت على محورها وتنتج عن حركتها انفتاح الذيل عن الرأس ، والسالب والموجب ، وتكوّنت كتلة جديدة بقطبين هي (الجبل الكوني) وبذلك تكون المرحلة الكوزموغونية الأولى قد انتهت وكانت حركة الأوربوس ، وحركة (نمو) على محورها قد تمت برغبة محضه من الالهة السومرية الام الأولى (نمو) دون استجابة لشيء . فهو خلق ذاتي انبثق من داخل الكلمة نفسها وليس بأمر منها .

٢. المرحلة الكوزموغونية الثانية

بعد أن تكون جبل الكون (يفعل انفتاح أوربوسي) عاد أوربوس (أن-كي) وانغلق ثانية واصبحنا أمام أوربوس كوني (غير هيلولي أو عمائي) ونرى أنه يفعل اطلاق الاسم (النم) أو الكلمة تحرك هذا المخلوق الجديد وحركته هذه خلقت هذه المرة عنصراً الذكور والانوثة، وهنا في هذه المرحلة يمكننا (وفق النصوص السامرية) الحديث عن الخلق الجنسي الذي أمرت به (نمو) بكلمتها (نم) لأن يسمّى الأعلى من جبل الكون السماء

ويكون ذكراً، ويُسمى الاسفل من جبل الكون والأرض وتكون انثى .



شكل (١٧)

جبل أسطوري سومري

إن حركة الأوربوس الثاني لم تكن ذاتية (كما في الأول) بل بدأت بالكلمة ونفذت بالجنس، لأن بعض الاشارات السومرية تصف السماء والأرض قبل خلقتهما بأنهما لم يكن لهما اسم، وعندما أصبح لهما إسمين كانا ملتصقين وبدءا بممارسة الجنس، وكان ان ولدا الاله (انليل) الذي وضع بينهما، ولكنه كلما كان يكبر كان يبعد الأب عن الام، كان الهواء أو الفضاء الذي يثله (انليل) يبعد (آن) عن (كي) فينفصلان، ومطلع اسطورة (خلق الفأس) توضح لنا ذلك :

«الرب الذي يملك حقاً، هو الذي أظهر للعيان

الرب الذي لا تبدل في احكامه

(انليل) الذي يجلب البذور إلى الأرض لزراعتها

تولى برعايته فصل السماء عن الأرض

من أجل أن تنمو الكائنات التي خلقت»

(كريم ١٩٧١ : ١٨١).

ونرى في قصيدة أخرى كيف أن السماء أصبحت ملك (آن) وأن الأرض ملك

(انليل) :

بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض

بعد أن انفصلت الأرض عن السماء

بعد أن عين اسم الانسان

بعد أن أصبحت السماء بحوزة (آن)

بعد أن أصبحت الأرض بحوزة (انليل).

(كريم ١٩٧١ : ٦٣).

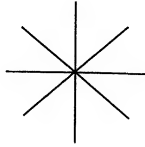
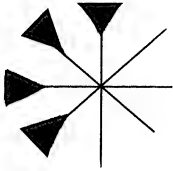
وهكذا أعطتنا هذه المرحلة الكوزموغونية الثانية ثلوثاً الهياً مهماً مكوناً من آلهة (السماء، الهواء، الأرض) وهم (آن، انليل، كي).

٣. المرحلة الكوزموغونية الثالثة

هناك ما يشير إلى أن الإله (انليل) اله الهواء الذي أصبحت أمه الأرض الالهة (كي) بحوزته ، قد اتصل بها جنسياً حيث أنه في حقيقة الأمر أبعد الأب (آن) عنها ، أما هو فقد بقي ملتجئاً بالأرض متصلاً بها وعلى هذا الأساس تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق الانسان وتأسست الحضارة (انظر كريم ١٩٧١ : ٦٦).

أن هذا الأمر غير الموثق عندنا بنصّ سومري واضح ، يوحي لنا أن الابن أبعد إياه وتزوج أمه (وهو ما يذكر بعقدة أوديب الفرويدية) وقد نجد الصدى الواسع لهذه الاسطورة في التراث الرافديني في اسطورة بابلية صغيرة هي اسطورة (دُئو) حيث الأرض تضاجع ابنها (أماكندو) فيقتل أباه ويتزوج الهة البحر ، ثم يأتي ابنه لخار ليقتل أباه ويتزوج أمه وهكذا . (انظر Grayson 1969: 517).

وهذا يشبه أيضاً إلى حد ما مسلسل قتل الآلهة في اسطورة الخليفة البابلية . إن ما يدعونا إلى التأمل الحذر في الحادثة السابقة هو محل الآله (إنكي) . فهل ظهر الإله (إنكي) من تزواج (انليل) مع (كي) ؟ وهو ما نشك به ونستبعده تماماً ، لأن الإله إنكي هو ابن إله السماء (آن) والذي حبلى به وودلته الأرض (كي) وهو الذي بنى نواميس الحضارة على الأرض ، أما الإله (انليل) فكان يرعى سلطات أبيه في السماء وأشرف على تنظيم الكون (وليس الأرض) كما سنرى ، ولكي نعزز قولنا هذا بنص سومري لا بد من ذكر نص البصيدة التي تذكر ولادة مظاهر الحياة المرتبطة بالاله إنكي وهي كما يلي :



شكل (١٨)

رموز الإله آن

١- الجهات الثمانية (رمز الألوهية) الألف الخامس ق م

٢- العلامة الكتابية دنكر (الإله، الإلهية، الألف الرابع ق م)



شكل (١٩)

رموز الإله إنليل

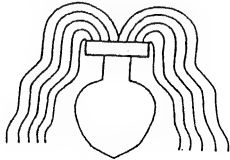
١- المثلثان المتقابلان (الألف الخامس ق م)

٢- الفأس المزدوج (الألف الخامس ق م)

شكل (٢٠)

الكاس (الاناء) الفؤار

رمز الإله إنكي (الألف الثالث ق م)



«الأرض الفسيحة المسطحة لبست تألقها ،

جملت ببهجة جسدها

الأرض العريضة ، بالمعدن الثمين واللازورد

زينت جسدها

تبرجت بالينع والعقيق الأحمر البراق ،

زينت السماء رأسها بأوراث الشجر

وظهرت كأنها الأميرة

الأرض المقدسة العذراء تبرجت

من أجل السماء المقدسة

السماء ، الاله الرائع الجمال ، غرس

في الأرض العريضة ركبتيه

وسكب في رحمها ، بذرة الأبطال

الاشجار والمقاصب

الأرض الطرية ، البقرة الخصيبة تشعبت

بمجنّي السماء الغنيّ ،

وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة

ويفزارة حملت الارض هذا التاج الرائع

وجعلت الخمر والعسل يسيلان ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ٢١)

هذه الصورة لمضاجعة السماء للأرض واضحة جداً ، فقد حصلت بعد أن انفصل كلاهما عن بعضهما ، أي بعد أن ولد (إنليل) ولذلك نعني أن الولادة الثانية حصلت بعد الانفصال وانتجت الإله (إنكي) وهو سيد الأرض الذي تولى بعنايته الأرض كما سنرى .

نحن الآن أمام رابع إلهي هو (السماء، الهواء، الأرض، الماء) وهم آلهة المصائر الكبرى الذين سيطروا على الكون بأكمله .

٤. المرحلة الكوزموغونية الرابعة

لو نظرنا إلى شجرة أنساب الآلهة السومرية ضمن القسم الثاني من هذا الفصل وتأملنا ها ملياً لوجدنا أن الخليقة الآن من الناحية العملية أصبحت خاضعة الآن لنوعين من الكوزموغونيا كل واحدة يديرها إله وهما :

(أ) كوزموغونيا إنليل : الذي امتلك سلطان أن وأصبح بديلاً عنه تقريباً وتضمّ خلق عوالم الظلام والعالم الأسفل والكواكب والأنواء الجوية من رعد ومطر وبرق وعواصف ، وتحيط هذه الكوزموغونيا الأرض وتغلفها وتمدها ببعض مظاهر الحياة إلا أن الموت والجماد يسيطران عليها . فهي تنتج الكواكب الثلاثة المهمة (القمر ، الشمس ، الزهرة) وآلهتها وتنتج الظلام والعالم الأسفل وآلهة الأنواء الجوية . وكل هذه الآلهة آلهة سلطات وتدل في انحدارها السلالي على أنها تميل إلى القوة وربما إلى الموت .

(ب) كوزموغونيا إنكي الذي يمثل الأرض والماء معاً ، وبلا أدنى شك فإنه يمثل الحياة والإخصاب والتناسل ، وإذا لاحظنا شجرته الإلهية فسنلاحظ أنها تضم (النباتات والحيوانات والإنسان) ثم ادوات العمران والحضارة . إن عالم إنكي يضم كل ما هو حي ويدعو إلى الحياة والبقاء والتناسل وهو عالم أرضي محض يرى أن الأرض هي الحياة ، ولا يوجد خارجها ما يشير إلى الحياة برغم وجود الآلهة الخالدة .

ومن الآن فصاعداً (على المستوى الكوزموغوني) سنرى العلاقة الإيجابية والسلبية بين العالمين (عالم إنليل) و(عالم إنكي) وسنرى أن أغلب زوجات ذكور عالم إنليل هنّ من عالم إنكي وهذا يمثل الوجه الإيجابي للعلاقة ، أما الوجه السلبي فسيكون في الصراع بين بعض الآلهة في العالمين وقد يكون أشهر الصراعات وأكثرها وضوحاً ذلك الصراع بين الإله الإنكوي (دموزي) والإلهة الإنليلية (إنانا) كما سنفصل ذلك فيما بعد .

الكوزمولوجيا السومرية (علم الكون السومري)

بعد ان ترصدنا كيفية نشوء الكون والعالم عند السومريين من خلال الآلهة وأجيالها، يمكننا الآن أن نرى طبيعة هذا الكون وم يتكون وشكله وأقسامه .

يظهر لنا الكون السومري كله طافياً أو سابحاً فوق بحر هيو ليّ من تالماء تمثله الآلهة السومرية الام (نّو) التي تحيط به من كل الجهات والذي لا نهاية له ، أعني ماء نّو (شكل ٢١)

أما الكون فهو عبارة عن كرة عملاقة تتكون من الأقسام التالية :

١- العالم الأعلى (العُلَى) وهو الفضاء الذي فوق السماء حيث تسكن الآلهة السماوية فيه .

٢- السماء (آن) وهي سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها .
«أما ماذا كان يعتقد أن تكون هذه الكتلة السماوية بالضبط فإنه أمر ما زال غير مؤكد، ومن المحتمل أنها كانت قصديراً وذلك استنتاجاً من حقيقة أن التعبير السومري من القصدير هو «معدن السماء» ، (كريم ب.ت: ١٤٩) .

ويعتقد أن في قمة السماء أو على السماء السابعة هناك الـ(أنونا) وهو اسم يعني بالسومرية (بذرة الحياة الأميرية) ويشير الى مجموع الآلهة في السماء والأرض ثم اصبح يشير الى أي مجموعة من الآلهة حتى المحلية منها .

٣. الفضاء (ليل ليل) : وهو الفراغ الموجود بين السماء والأرض وكانت كلمة ليل التي تدل على الظلمة تعني أيضاً الريح، الهواء، والنفس، الجو، الروح وتمتاز بقدرتها على الحركة والامتداد .

وكان السومريون يعتقدون أن الكواكب والنجوم مكونة من نفس مادة (ليل) أو (الجو) مع امتيازها عليها بالإضاءة والاشراق . والكواكب، في حقيقة الأمر ظهرت من الظلام فهي بناته (وهذا ما يقول به الصائبة أيضاً) وهي من الناحية الشنلية بنات الاله إنليل سيد الفضاء أو الهواء .

ويبدو أن السومريين حددوا ، في زمنهم، ثلاث طرق أو مسارات في هذا الفضاء هي (طريق آن ، طريق انليل ، طريق إنكي) وتتنوع الكواكب الثلاثة فيها (الزهرة ، القمر ، الشمس) .

٤ . الأرض (كي KI) : وهي قرص مدور منبسط يطفو علي محيط مائي حوله ونحته ، أي يمكن تصنيف هذا المحيط المائي إلى ثلاثة :

١ . البحر الأعلى وكان المقصود به البحر الأبيض المتوسط .

٢ . البحر الأسفل وكان المقصود به الخليج العربي .

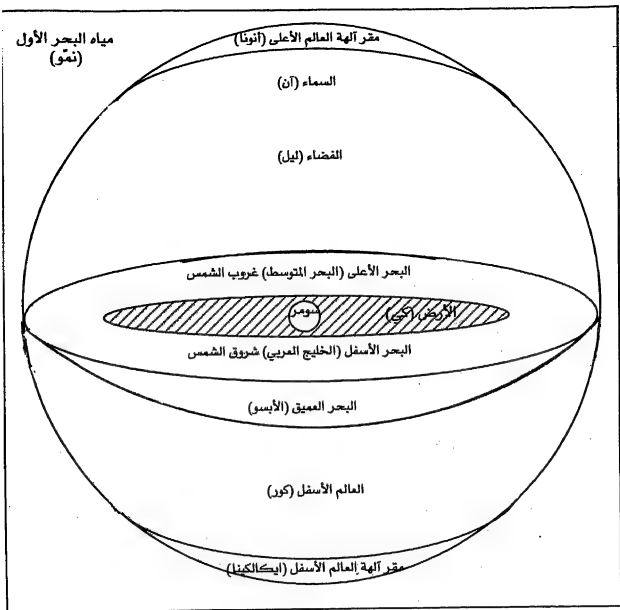
٣ . البحر العميق الذي تحت الأرض وهو (أبسو) أي مياه الأعماق التي فيها مسكن الإله (إنكي) . وهي مقر الإلهة (غو) وهذا يعني أن الأرض تحيطها المياه من كل الجهات ما عدا الفضاء الأعلى الذي كان يفصلها عن السماء ، وتعيش على الأرض النباتات والحيوانات والإنسان . وكان مركز الأرض في نظر السومريين هو سومر ، أما مركز سومر فكان نيبور (نقر) لأنها أقدس مدينة دينية سومرية كونها مدينة أنليل ، وكان مركز نقر منطقة اسمها (أوزموا) وهي التي تشبه بكرة الأرض حيث هي آخر منطقة كانت السماء متصلة فيها مع الأرض .

أما سومر فمحاطة من جهاتها الأربع بمدن ودول أخرى فمن الشمال (سوبار) وهي في شمال وادي الرافدين (منطقة آشور لاحقاً) ، ومن الجنوب دلمون وهي البحرين ، ومن الشرق عيلام جنوب إيران وهي الاحواز أو عربستان ومن الغرب أمورو أو أمارتو وهي الصحراء العراقية السورية الغربية (غرب الفرات) .

٥ . العالم الأسفل (كور أو كيكال) وهو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والأبسو ، وتعيش فيه آلهة العالم السفلي ، ويسمى هذا العالم بأسماء عديدة منها (أرض اللا عودة ، الأرض البعيدة ، أرض الموتى ، أرض الأحزان ، القفرء . . . الخ) وهو عالم مظلم تسيطر عليه عائلة إلهية مكونة من نركال وأريشكيكال وأبنائهما وأحفادهما من الآلهة ، وتسكن أيضاً الشياطين وهي كائنات سلبية مفزعة ، وتسكنه أرواح الموتى من البشر .

وهناك للعالم الأسفل مدخل رئيسي مكون من سبعة أبواب تنتهي بنهر العالم الأسفل الذي اسمه (خبر) والذي يؤدي فيما بعد إلى أماكن الموتى ويتوسط قاع العالم الأسفل قصر كبير للالهين نركال وارشيكيكال ، وأحياناً يجتمع فيه الانوناكي (الذين يسمون هنا قضاة العالم الأسفل) .

إن هذا التصور المثلوجي للكون يضع الأرض في المركز ويتصورها مثل قرص



شكل (٢١)
الكوزمولوجيا السومرية
صورة الكون عند السومريين

مسطح (فيه استدارة) يطفو على المياه ، والسماء فعالم مضاء (الشمس نهراً ، والقمر والكواكب ليلاً) . والعالم السفلي فهو مسكن الشياطين والموتى رغم أن آلهة تسيطر عليه . أما الأرض التي يسكنها البشر فتعد فاصلاً بين عالمين متناقضين الأول علوي إلهي مضاء والثاني سفلي مظلم شيطاني ، وهي على هذا الأساس تحول دون اختلاطهما . ثم ان العالم الأرضي يحتوي أساساً على كائن إلهي شيطاني مزدوج هو الإنسان ، جسده سفلي خلق من طين عميق صلصالي ودم شيطاني ، وروحه إلهية جاءت من نفخة أو كلمة الإله الخالق (إنكي) .

وحقيقة الأمر أن هذا التصور المثلولوجي للكون كان هو المصدر الأول لكل التصورات الكوزموغونية التي تلت ، بل ان التصورات العلمية الأولى التي بدأت في بابل واليونان حول الفلك والكون كانت لا تبتعد إلا ببعض التفاصيل عن هذا النموذج السومري للكوزمولوجيا . وسرى في المبحث القادم كيف ان هذا النموذج بشكله هذا كان يحمل في أعماقه إيقاعاً فيزيائياً وبيولوجياً عميقاً اذا ما درسنا جيداً أنساب الآلهة وشجرتها الكبيرة .

ب. أساطير نشوء الآلهة (التيوغونيا)

THEOGONY

كان اليونان محظوظين عندما تهيأ لهم كاتب عظيم مثل (هسيود) استطاع أن ينظم بدقة في ذلك العصر شجرة أنساب الآلهة اليونانية ، إعتماً على ما التقطه من التراث اليوناني ومن أفواه الناس حول أصول وأنساب هذه الآلهة .

إن مثل هذه الشجرة تلقي الضوء على تنظيم واضح ودقيق لتدرج وتسلسل الآلهة وظهورها في أجيال متلاحقة مطردة ، وفي هذا ما يخدم اللاهوت والمثلوجيا معاً .

أن الصعوبات التي تقف أمام تنظيم شجرة نسب إلهة سومرية ضخمة تضم جميع الآلهة السومرية كثيرة ، لعل أهمها العدد الهائل للآلهة السومرية والذي قد يصل إلى (٤٠٠٠ - ٥٠٠٠) إله ، والألقاب الكثيرة لهم والتي تختلط بأسمائهم أو تكون بديلاً عنها أما الصعوبة الثالثة فهي وجود نصوص سماوية كثيرة في هذا المجال وفي غيره تصل إلى

حد التناقض أحياناً فتجعل بعض الآلهة أبناءً أو آباءً أو إخواناً لبعضهم أو تنسبهم إلى نسب بعيد ومختلف عما هو معروف .

الصعوبة الرابعة تكمن في استحالة حصر الآلهة الثانوية والشخصية والهة المدن والقرى الصغيرة في جداول أو أغصان أنساب دقيقة ، وأخيراً الاختلاط بين أسماء الآلهة السومرية والآكدية سواء في اللغة أو في الواقع وهذا ما أشاعه ، للأسف ، أولئك الذين يكتبون ، عادة ، عن الدين السومري بعجالة وسطحية .

ولكننا هنا سنحاول أن نضع شجرة أنساب إلهية سومرية مقتنعة حسب ما توفره الأساطير والنصوص السومرية من علاقات وأنساب بين الآلهة .

إن شجرة أنساب الآلهة السومرية هي السبيل الوحيد لنا لدراسة أساطير نشوء الآلهة (الشيوغوتيا) وهي التي ستد لنا على أساطير الآلهة واحدة بعد الأخرى حسب نشوئها وارتقائها .

أما الطرق التي صُنِّت بها الآلهة السومرية فمتعددة ، وسنعمل على عرض بعضها ، وجميعها أكد على أكبر وأهم الآلهة السومرية وأهم الآلهة الصغيرة والمندثرة .

تصنيف الآلهة السومرية

يصعب الزكون الى تصنيف واحد للآلهة السومرية واعتباره مقتناً وشاملاً ولذلك ستقدم عرضاً لأهم التصنيفات التي عرضتها المراجع الأساسية للمثولوجيا السومرية .

١ . **التصنيف السومري الشائع** الذي كان يأخذ به السومريون أنفسهم والذي يعتمد على عظمة وقوة ورفعة وتأثير الآلهة السومرية ووضعها في مجاميع أو مقامات متدرجة ، حيث ينقسم بانثيون (مجمع) الآلهة السومرية الى ثلاث طبقات هي :

أ) آلهة المصائر الكبرى : وهي الآلهة الكونية صاحبة الأقدار والمقددرات على الكون والإنسان ، والتي لها صلاحيات مطلقة ونفوذ شامل وهذه الآلهة هي التي تهب الملوكة وتخلعها وهي مصدر السلطة بالمعنيين الديني والسياسي .

وكان مجلس آلهة المصائر الكبرى هذا مجلساً سماوياً مكانه الأعلى العظيم أو (العلی) وكانت قراراته أو كلماته نافذة لا يوقف سريانها شيء ، وكان هذا المجلس يتكون من نوعين من الآلهة هي :

١ . الآلهة الخالقة : وهي أربعة (آن ، كي (ننخرساج) ، إنكي ، إنليل) وهي تمثل عناصر الكون الأربعة الكبرى (السماء ، الأرض ، الماء ، الهواء) .

٢ . آلهة الكواكب الثلاثة الكبرى وهم ن نار أو نانا (القمر) ، أوتو (الشمس) ، إنانا (الزهرة) .

ويرأس مجلس آلهة المصائر هذه الآله (آن) إله السماء ويتصرف إله أن كانه ملك الآلهة هذه ورئيسها .

ب) مجمع الآلهة العظام (الخمسون) : ويرأس مجلسهم الإله (إنليل) وهم مسؤولون عن الأرض والماء والأرض السفلى ، وكان مجمعهم في البداية يسمى (الأنونا) ثم سمي (الأنوناكي) لارتباط وظائفهم بالأرض أكثر من أي شيء آخر ، وفي العصور اللاحقة أصبح اسم الأنوناكي يدل أيضاً على الآلهة السبعة القضاة على العالم السفلي .

ويدل عددهم على العدد الرمزي للاله إنليل ، وهم أكثر الآلهة شهرة بعد آلهة المصائر ، وهم عماد الشجرة السومرية الإلهية .

ج) مجمع الآلهة الثانويين وهم ما تبقى من الآلهة ذات الشؤون الصغير والبيسة والذين لا يعرف عددهم بالضبط وهم غالباً ما ينتشرون في السماء وقد عرفوا باسم (الاييجي) أو (الايكيكي) (Igi) وقد أثبتت خلافاً واختلافات كثيرة بين مصطلحي (الأنوناكي) و(الاييجي) ويظن أن هذا الخلط أتى بعد السومريين ، حيث أن إله أنو اتصل بالآلهة إننو (وهما إلهان ساميان) وانتجا الإييجي ككائنات سماوية أو ملائكة سماوية ، والآنوناكي ككائنات أو آلهة أو ملائكة أرضية .

٢ . تصنيف جاكوبسن الذي يعتمد على توزيع الآلهة السومرية على الجغرافيا

الطبيعية لأرض سومر (انظر 1970:21-34 Jacobsen) ويمكن تلخيصه على الشكل التالي :

١) **آلهة الأهوار** : وهي الأهوار الجنوبية الشرقية التي تفصل الأرض المأهولة لسومر عن الخليج العربي والتي تبدأ من الخط الممتد جنوب شرق أريدو (أبو شهرين) حتى نينا (سرغول) في القسم الجنوبي لمنطقة لكش، وتبدو هذه الآلهة كما لو أنها عائلة مائية واحدة يرعاها الإله إنكي بمزروعاتها وأسماكها وطيورها وحيواناتها وهذه الآلهة هي :

١. إنكي Enki إله مدينة أريدو وهو إله الماء الجاري والأنهار والبحيرات والأهوار، وقد عرف بحكمته العظيمة، وبطاقاته الكامنة في الماء وقدراته السحرية والطبية.

٢. أسلّوحي Asalluhe : وهو الأصل السومري للإله البابلي مردوخ إله مدينة وهو ابن إنكي ومساعدته في أعمال السحر . . ويسمى أيضاً (مبيل الناس) ويسميه الرعاة (إشكور) والفلاحون (ننورتا) .

٣. دموزي - أبسو Dumuzi - abzu أي الإبن الأصل للمياه الأعماق .

٤. نانشة (نازي) Nanshe

٥. نينمار Ninmar

ب) **آلهة البساتين** : وهي البساتين الجنوبية المحاذية لأسفل طريق الفرات القديم من (أريش حتى أور)، وهناك ثلاث مناطق اقتصادية تأتي سوية مع آلهتها، الأولى مدن أرض هوار وعائلتها الإلهية المنحدرة من الإله إنكي والتي يمكن متابعتها من أريدو وكوار في هذه المنطقة باتجاه نينا في الشرق، والثانية مدن عائلة آلهة الرعاة المنحدرة من نانا في أور متصلة بمركز الأرض المعشبة، والثالثة المدن المنحدرة من ننازو وتتصف هذه المدن بصلتها بالعالم الآخر وبعضهم يتصل بالأشجار والخضرة، وتمتاز عموم آلهة بساتين النخيل بأن آلهتهما أما من العالم الأسفل أو من عالم النبات وهم :

١. ننازو Ninazu من آلهة العالم الأسفل، ابن إرشيكال ونركال وهو إله

الطب .

٢ . ننگشزیدا Ningishzida : من آلهة العالم الأسفل ، ابن ننازو ويسمى حامل العرش وهو اله الطب ورمزه ثعبانان ملتفان على عصا .

٣ . دامو Damu من آلهة العالم الأسفل ، ابن ننگشزیدا وهو اله الشفاء ، وكانت اسطورته تختلط باسطورة دموزي . وهؤلاء الآلهة الثلاثة من الأب إلى الحفيد كلهم من العالم الأسفل ، ولكن لهم علاقة بالطب من جهة وبالأشجار من جهة أخرى ، ويقف وراءهم الهان معروفان هما الآلهة (إنانا) في اوروك باعتبارها الهه المخازن والآله دموزي - أما شوم غالانا Dumuzi-Amashumgalana (طاقة نمو الحياة الجديدة للنخيل) وكلاهما يقف وراء أساطير بانثيون مربي الفاكهة .

ج) آلهة الرعاة : وهي آلهة مجموعة مدن الفرات الأسفل مثل أور ، كايش ، كيايبرج ، لارسا ، كولاب . وتنحدر آلهة هذه المدن من اله القمر (نانا) ، أما المدن الأخرى شمالاً قليلاً فهي في وسط سومر وهي اوروك ، بادتبرا ، اوما ، زبالم ، بتكركارا التي تنحدر "آلهتها من انانا (الزهرة) وزوجها دموزي (الراعي) ونانا (القمر) واوتو (الشمس) وآن (السماء) وهم على صنفين .

الأول : آلهة الرعاة الجنوبية وهي :

١ . نانا Nanna اله القمر زوج ننگال

٢ . ننهار Ninhar اله الرعد والأمطار في الربيع وهو ابن نانا وننگال وزوج ننگارا (سيدة الزبد والقمر) والهة الألبان .

٣ . اوتو Utu اله الشمس زوج إيا (آي) وشنيراد

٤ . ننسון Ninsun وهي أم دموزي

٥ . آن An اله السماء .

الثاني : آلهة رعاة الحمير الشمالية وتشمل عائلة الإلهة نخرساج (بيليتيلي) Nin hursag (Belitili) هي إلهة أدب وكيش ، وتمثل الهة الأرض الصخرية ، ومعها زوجها

الاله شولبي وأبناءؤها مولوليل واششرجي وابنتها اكيم (أغيم) .

د. آلهة الحقول الزراعية : وهي آلهة المدن الواقعة شمال الأرض المعشبة حتى أكد وإلى الشرق من الأقسام الشمالية من لكش ومعظم هذه المدن تهتم بتوفير الحبوب الزراعية على شكل حقول، وتعود آلهة هذه المدن إلى عائلة الهية واحدة هي عائلة إنليل في نفر وتشكل البانثيون الفلاحي (الزراعي) :

١ . إنليل : اله الهواء، أو اله العاصفة وهو اله المدينة السومرية المقدسة نيبور (نفر)

٢ . ننليل : زوجة إنليل، إلهة مدينة تومال قرب نفر

٣ . نصابا : الهة الحبوب والكتابة وكاتبة إلهة مدنية إيريك Brech القرية من إيريش في زمن الفراتين الأوائل .

٤ . ننورتا : اله مدينة كرسو (تلو) في لكش ويسمى (ننكرسو) وهو إله العاصفة المطرية .

٥ . باو : إله منطقة اوروكو في لكش وأصبحت ملكة ايسن تت اسم ننسينا .

٦ . مسلامتاي (نرغال) : اله كوئا ابن إنليل واله العالم الاسفل .

وإذا كان جاكوبسن قد وفق في تصنيف جغرافي لآلهة سومر، فإنه من ناحية أخرى لم يعطنا الصورة المتدرجة المتسلسلة لانساب الآلهة السومرية ككل والتي عبادت طيلة تاريخ سومر والذي يأخذ بنظر الاعتبار أهميتها واجيالها المتلاحقة وتشكيلاتها العائلية المتجانسة، وهو ما نظن أننا سنوفره في التصنيف القائم على شجرة انساب الالهة السومرية الذي وضعناه .

شجرة أنساب الآلهة السومرية

وهو التصنيف الذي سنشرحه وفق سلسلة الانساب آخذين جهد الامكان بما هو شائع وصحيح بين الأجداد والآباء والأبناء، ومعهم الأخوان والأخوات والزوجات والأزواج ، وسنرى بأنه يجمعهم في مجاميع متجانسة الى حد ما من حيث طبيعتهم ووظائفهم (انظر شجرة أنساب الآلهة السومرية)

ويمكننا من أجل الدرس والتفصيل تقسيم شجرة الآلهة هذه إلى مجاميع متدرجة في قدمها وأهميتها وهي كما يلي :

(أ) آلهة الهيبولي والخليفة الأولى

(آلهة الجنود)

وهي الآلهة البدئية التي تشكل منها الكون، وهي قديمة وأزلية في الوقت نفسه لأن أجسادها تشكل مادة الكون والعالم وقد ناقشناها بالتفصيل في المبحث السابق (الكوزموغونيا السومرية) وهذه الآلهة هي :

١ . الإلهة نغو (نامو) وهي الآلهة السومرية الأم الأولى وتمثل البحر الأول الهيبولي الذي خرج منه كل شيء (الآلهة والعالم).

٢ . أن - كي (An - Ki) وهو جبل الكون الأول الذي يتضمن السماء والأرض والذي خرج من البحر الأول

(ب) آلهة العناصر الأربعة

وهي الآلهة التي تكونت الكون والعالم ثم تكونت الحياة وهي آلهة المصائر الكبرى في التصنيف السومري وهي (أن ، كي ، إنليل ، إنكي) وتقابل (السماء ، الأرض ، الهواء ، الماء).

١ . أن أن : وهو اله السماء والحاكم الأعلى في الباشيون الالهة السومري والذي يقف على قمة هرمه ، ورغم أن الاله القومي الأعظم للسومريين كان هو الاله إنليل الذي يليه في المرتبة ، ولكن الاله أن كان يبدو عالمياً فهو اله الكون

الأعظم، وهو على ما يبدو يمثل (الله) لأن المقابل الاكدي (السامي) لعلامة آن (دنكر) كانت تلفظ (إيلو) أو (ايل) وهو الله .

ويدو أن الإله آن احتل المرتبة الاولى عند العبيديين ثم السومريين لكن تفوق الإله إنليل عليه بسلطاته جعله منزوياً بعيداً في أقاصي السماء، ورغم ذلك فقد كان له معبد كبير في مدينة اوروك واسمه (إي - أنا E-anna) الذي يعني بالسومرية (معبد السماء) أما زوجته فهي الإلهة آن ايضاً أو (كي) التي تعني الأرض، وله عشيقات عديدات من الالهات وهن (نن زالي) و (نن اوسلا) وكانت الالهة إنانا من عشيقاته ايضاً وأحياناً توصف كإبنة له .

ومن زواج الإله (آن) مع الإلهة (كي) ظهر الهان عظيمان الاول هو إنليل وهو (إله الهواء) والثاني هو (إنكي) إله الماء . وللإله آن ابن ناري هو الاله نسكو (إله النار) الذي صار وزيراً لأخيه الإله (إنليل) .

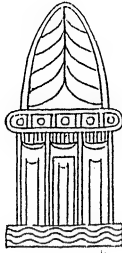
وللإله (آن) منيع بنات مسؤولات عن الزراعة والشفاء هن (باو)، نسينا، كولا، ننكارك، جتومدو (مزب)، ناناي، نتي نوجا) .

إن السماء والأرض انتجت لنا العناصر الأربعة التي تكون منها الكون ثم تكونت منها الحياة (النار، الهواء، التراب، الماء) وفي هذه التركيبة الخلقية السومرية المبكرة يظهر الاسطقس الرباعي الذي عرفه اليونان بعد آلاف السنين وهو (التراب والنار والهواء والماء) والذي أقاموا عليه نظريات الابراج ثم نظريات النفس وامزجتها (الدموية والسوداوية والصفراوية و) (البلغمية) وهي النظرية العلمية التي سيطرت على علوم اليونان ثم العرب وأوروبا في القرون الوسطى .

ويظهر (آن) هنا وكأنه الأب الذكري المتفوق الخالق لهذه العناصر الأربعة . وهو هنا يعادل (الكلمة) الخالقة السماوية .

كان الاله آن يكتب بالعلامة المسمارية التي تشير الى النجمة الثمانية الرؤوس التي تسمى بالسومرية دنكر، ويرى الدكتور فوزي رشيد أن هذه العلامة قد تطورت في الأساس عن الخطوط المقاطعة التي تشير إلى الجهات الثمانية * وهي جهات العالم أو الكون وأن يعبر عنها ، وقد سادت هذه العلامة في المرحلة الصورية (٣٢٠٠ ق.م) ثم تحولت بعد ٣٠٠٠ ق.م الى شكل يشبه النجمة * بسبب الكتابة المسمارية (رشيد

(١٩٨٥ : ٥٠) .



شكل (٢٢)

رمز الإله آن

١. أواخر الألف الثالث قبل الميلاد

٢. نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

رسم : علي محمد آل تاجر

وأصبحت علامة آن تمثل أيّ إله ، فبمجرد أن توضع أمام أي اسم حتى ولو كان إنساناً فإن ذلك يعني بأن هذا الاسم اسم إله ، أي أن آن سبب الألوهية ، ثم أصبح مانح الملوكة التي نزلت من السماء (أي من آن) . ولذلك أصبح رمزه في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد عبارة عن تاج الألوهية المقرن الموضوع على دكة معبد (شكل ٢٢) .

وهناك ملاحظة في غاية الأهمية وهي أن الإله (آن) باتصاله المستمر مع الإلهة (كي) أنجب آلهة أرض جديدة ورثت (كي) وأطلق عليها بصورة عامة نخرساج ذات الأسماء الاثنى عشر ومن ضمنها (كي) والتي سنأتي عليها وبذلك تكون نخرساج ابنة آن واختاً لأنليل وإنكي وكانت الإلهة (كي) تسمى قديماً بالآلهة (اوراش) .

ومعنى آن بالسومرية (السماء ، حيث اللعان ، الشروق) ويبدو أن الآلهة اكتسبت من صفاته هذه فكرة أنها كائنات مضيئة او مشرقة أو لامعة حيث كانت تجوب السماء .

ومن نسل الإله (آن) مباشرة تنحدر مجموعة مهمة من الإلهات اللاتي يعني أغلبهن بالطب وتتداخل أحيانا وظائف الشفاء عندهن مع بعضها وهن (انظر افزارد ١٩٨٧ : ٤٣ ، ٨٤)

١ . ننتي نوجّا : ويعني اسمها بالسومرية (السيدة التي تحمي الموتى) أو (حواء الموتى) وتذكرها نصوص فارا حوالى (٢٦١٠) ق م وتحتل مرتبة جولا وننسينا بعد العصر البابلي القديم ، ونرى أن هذه الإلهة هي مصدر إسم حواء لأن كلمة ننتي تعني (حواء) وتعني (الضلع) في الوقت نفسه . ومن هنا نسجت الأسطورة العبرية فكرة خلق حواء من ضلع آدم .

٢ . ناناي : وهي الهة لكش

٣ . ننسينا : الهة أيسن المختصة بالشفاء زوجها بابيل سائج وإبنهما دامو وتسمى طبيبة الرؤوس السود الكبيرة ، وأمها (اوراش) التي عبدت كاله في مدينة دلبات

٤ . باو (با أو) وهي الهة الطب والزراعة ويرمز لها بالأوزة ، الهة مدينة لكش .

٥ . گولا : ومعنى اسمها بالسومرية (الكبيرة) وعبرت عن الطب في العصور البابلية بشكل واضح وشعارها الكلب وهو نفس شعار ننسينا وننكازك .

٦ . ننكارك : معنى اسمها السومرية (سيدة المرفأ) وكانت تستدعى لتسبب الاوينة للأشرار من الناس .

٧ . جتو مدو : وهي الهة سومرية محلية لمدينة لكش ، ليس هناك ما يشير إلى علاقتها بالطب والشفاء ، وكان يطلق عليها في عهد كوديا (ام لكش) ، وظهر اسمها في مراثية أور تحت اسم (مزب) .



شكل (٢٢)

رمز السلطة (القرن ٢٢ ق م)
رسم : علي محمد آل تاجر

وينحدر من نسل الاله أن آلهة عظام (انوناكي) وآلهة ثانويون (اييجيجي) وفي نفس الوقت ينحدر من نسله عدد كبير من الجن والعفاريت الذين يسكنون العالم الاسفل ومن ضمنهم الآلهة الشريرة السبعة التي تدعو (سبيتو) ولا نعرف ما إذا كان هناك أصل سومري لهذه التسمية الأكديّة .

ولهذا السبب أصبح الإله أن مصدراً للخير والشر بالنسبة للإنسان والكون .

وإذا كان الاله (آن) قد فقد بعض أهميته مع بداية حكم السلالات السومرية فإنه استعادها بقوة في زمن كوديا أمير لكش (٢١٤٣ - ٢١٣ ق . م ثم انتشرت معابده في الوركاء واور ونفر ولكش وسبار ودير (مدينة آن) ثم في آشور .

وكان مسكن سماوي (في السماء السابعة أو الثالثة) يحرس بابه الإلهان دموزي وننكشيدا . وكان حيوانه الدال عليه هو (الثور السماوي) .

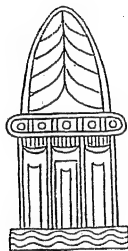
إن الرقم الرمزي أو السري للإله أن هو اكمل واعلى الأرقام السومرية (٦٠) الذي كان اساس النظام الستيني الرياضي والفلكي . ويعد (آن) النموذج الأول لعبادة التوحيد Monothsim بسبب من كونه لم يكن الهاً قومياً أو محلياً بل كان الهاً كونياً عالمياً وكان يسمى (أبو الآلهة والبشر) . وكذلك يعد مانح السلطة والحكم ورموزها (شكل ٢٣) التي استحوذ عليها لاحقاً إنليل .

وهناك أساطير أكديّة لاحقة ذكرت أن الإله أن من سلالة (٢١) إلهاً ومن أجداده الإله إنشار والإلهة كيشار والإله لخم والالهة لخممو . وكان له عدة عشيقات وزوجات غير زوجته أنتو وهن (نن زالي، نن اورسلا، وإنانا) .

٢. إنليل Enlil: كانت جذور الإله إنليل تمتد إلى الألف الخامس قبل الميلاد، ربما في سامراء ثم في حلف فقد عثر في سامراء على علامة الفأس المزدوج بأشكال مختلفة، وكان يدل على بداية ظهور الاله الذكر، ولكن الفأس المزدوج ظهر واضحاً في حضارة حلف ودل على إله ذكر يمثل الهواء والمطر، وبدأ ذلك يرافق بناء المدن وتذكر في هذا الصدد اسطورة خلق الفأس الذي قدمه إنليل هدية للبشر لبناء مدنهم .

ويشكل إنليل جذر كل الآلهة القوية في الحضارات اللاحقة مثل مردوخ البابلي وآشور الآشوري وبعل الكنعاني وزيوس اليوناني وجوبيتر الروماني بسبب من هيمنته على

الشؤون الدينية والدنيوية واستحواذه على وظائف الآلهة القريبين منه ، ويعد إنليل النموذج الأول لعبادة التفريد Henothsim وهي إعلان لشأن اله القومي على حساب بقية الآلهة . . ولذلك يمتاز الإله إنليل بكثرة ألقابه وأسمائه فهو «سيد جميع البلدان ، وأبو جميع الآلهة ، والجبل الكبير والاله الذي يقرر المصائر والاله الذي لا رجعة لقراراته ، وصاحب العينين البراققتين ، والاله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر . وعلاوة على ذلك فإن الملاحم الخاصة بخلق الكون أكدت على أن الإله إنليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس اداة العمل ، ، (رشيد ١٩٨٥ : ١٥٢) .



شكل (٢٤)
رمز الإله إنليل (نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)
رسم : علي محمد آل تاجر

ومن ألقابه الأخرى المنتقم والذي يراقب سير القوانين ويعاقب المذنبين والذي يمسخهم مثل الطيور في شبكته الكبيرة .

ومدينة إنليل هي المدينة السومرية الدينية المقدسة الأولى نقر (نيبور) التي تبعد مسافة ٧ كم عن ناحية عفك في محافظة القادسية واسم معبده (إي - كور) أي (بيت الجبل) .

والرقم السري او الرمزي له هو (٥٠) ولذلك هو رئيس مجمع الانوناكي (اي آلهة الأرض الخمسين) وسيأخذ صفاته الخمسين لاحقاً الإله مردوخ (مقابله الاكدي) في ملحمة الخليفة الأكدي وقد كان هذا الإجراء الأكدي استكمالاً لنزعة التفريد التي بدأت مع إنليل .

لقب الساميون الاله إنليل بالاله (بل) أو (بعل) الذي دمج مع شخصية مردوخ وأصبح فيما بعد أشهر الآلهة الشامية بشكل خاص ممتصاً في طريقه صفات الاله الشعبي دموزي أو تموز وصفاته الإخصابية .

إن (بل) يعني (سيد) ومؤنثه (بلت) ويقابلهما في سورية (بعل) و (بعلة) وهما من أسماء الآلهة التي تتركب مع اسماء أخرى ، وغالباً ما يرتبط اسمهما بأسماء المدن مثل (بل حران) و(بلت نفر) وهي زوجة الاله (ننورتا) وبلت ايلي سيدة الآلهة ويستخدم هذا الاسم في وصف الإلهة الام . ومنذ العصر الكشي المتأخر أصبح يطلق اسم (بل) غالباً على (مردوخ) وكان مردوخ نفسه معروفاً عن اليونانيين باسم (بلوس) ، ويعادل بل (إين اولوجال) في اللغة السومرية ويعني سيد أو ملك ومؤنثه (نين أو نن) (انظر اذوارد ١٩٨٧: ٧٥).

وينحدر الاله إنليل من (٤٢) جداً أي ضعف اجداد أن أشهرهم هو (اين مشرا - En-mesarra وهو إله العالم السفلي مع اولاده السبعة وابنته نارودو Narudu التي دعاها الآشوريون بالآلهة سبتي Sibitt).

إن الثيوغونيا الإنليلية تنتج أولاً أربع سلالات من الآلهة كلها لها علاقة بالجو والأنواء والظلام والنور الأولى يترأسها ننورتا اله العاصفة ، والثانية يترأسها ايميش واثنتين الها الصيف والشتاء . والثالثة يترأسها نركال (اله العالم السفلي) المظلم ، والرابعة يترأسها الاله نثار (اله القمر) أما الأساطير الخاصة بهذه الثيوغونيا فهما اثنتان الاولى توضح زواج الاله إنليل من الفتاة (سود) التي صار اسمها ننليل ، والثانية تخص إنليل وننليل وولاده إله القمر وآلهة العالم السفلي :

وقبل ان نذكر الاسطورتين نقول أن الإنليل معبد في لكش يسمى (معبد الأب) وله وزير خاص هو نسكو اله النار وهذا يدل على ارتباط النار بالهواء ثيوغونيا «وتيرأس مع أن

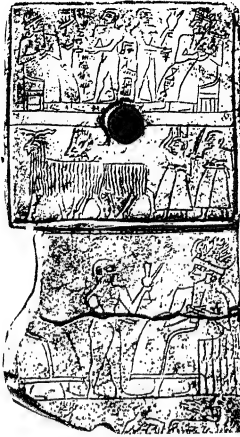
مجاميع الآلهة في بلاطه المسمى - اوبشواو كينا - ولكونه ملك كل البلدان فهو يمنح مع ابيه
أنو المناصب العليا كالمملك والإمارة، كلمته هي الريح التي تنفذ مقررات المجمع الالهي،
فاذا قررت الآلهة تدمير مدينة ما نفخت «كلمة» إنليل كالعاصفة ودمرتها، إن «كلمته» تهز
السماء وتزلزل الأرض» (بشور ١٩٨٩ : ٦٢).

وكان إنليل يستحوذ ، بالإضافة إلى رمز السلطة من آن، على رموز اخرى منها
الغاس ورمز آخر هو التشييد والبناء واستحوذ على رمز أبيه الخاص بالتاج المقرن ودكة
المعبد نهاية الألف الثاني ق. م (شكل ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٦).

ولعل من الأمور اللافتة للانتباه والسؤال هو ظهور رمز (الحمامة السماوية) شكل
(٢٧) الذي كان يشير إلى الإله إنليل أيضاً أو يرافقه وقد اعتبر السومريون هذه الحمامة
السماوية من رسل السماء وكانت تدعى عند السومريين (إياهو Iahu) ونرى أن هذا
الإسم هو الجذر السومري الذي ظهر منه اسم الإله (يهوه) العبري فيما بعد حيث أصبح
(يهوه) في السومرية دالاً على (الإله الخالق)، ويكاد هذا اللقب (أياهو) يكون أقدم اسم
يرد للدلالة على الحمامة السماوية والإله الخالق فيما بعد . . وبذلك نكون قد عثرنا على
الأصل السومري لإله اليهود والعبريين، وفعلاً فأن في كلمة (يهوه) ما يشير الى الهواء
وهو ما يشير أيضاً إلى الإله إنليل .

يتضح من ذلك أن الإله إنليل أختص بالغلاف الجوي الذي حول الأرض،
وبالأجسام والظواهر التي تظهر فيه كالكواكب والهواء والعواصف والرياح ولأن العالم
الأسفل يقع في فضاء تحت قرص الأرض لذلك أصبح من اختصاصه، حيث أنجب له ولداً
اسمه (نرغال) أصبح فيما بعد ملكاً . عليه ولذلك صار الزمن والتقويم والفلك والتنجيم
ضمناً من اختصاص إنليل أو أحد ابنائه لأنه يخص الفضاء الذي هو ملك له . وقد وجد
رمزاً للإله إنليل في مدينة نمر باعتباره إلهاً للطقس وكان الرمز يمثل ثوراً يقفز إلى الأمام
تحت قوس هو عبارة عن حريتين ضخمتين وكان الثور كان يمثل القوة التي تدور بها
الأفلاك، لأن الحربيتين كانتا تحملان رسوماً لثنتي عشرة كرة ترمز إلى شهور السنة الاثني
عشر (انظر Van Buren 1930: 593)

وكان الإله إنليل مرتبطاً بالقوة والبطش وصوّراً دائماً على أنه يميل إلى القسوة،
وكان صارماً مع الإنسان فإذا خالف الإنسان القوانين فإنه يعاقبه بقسوة، ولذلك فهو



شكل (٢٥)

تمثال الإله إنليل مطلي باللون الأحمر (النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد)



شكل (٢٧)

(إياهو) رمز الحمامة السماوية
والهواء (القرن ١٨ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٢٦)

رمز التشييد والبناء
رسم : علي محمد آل تاجر

يلاحق الخارجين على القانون ويصطادهم بشبكته الكبيرة . وكان هو والإله آنو سبباً في امسقاط الكثير من المدن وتدميرها فقد سميت جموع الكوتيين وهي تدمر الدولة الاكديّة بد (عواصف إنليل) ، ورغم أن الإله سين هو الذي دمر (أور) وأنهى السومريين إلا أن إنليل كان وراء ذلك وهو يعتبر ذلك سنةً طبيعية حيث لا بد من تدمير المدن بعد أن تزدهر فهو يقول لولده سين وهو يسأله عن دمار اور (لقد اعطيت الملكية . لأور ، لكن ليس مضمونه ، كملكية إلى الأبد ، فمنذ القدم ، عندما تأسست الأرض حتى (اليوم) وقد تكاثر الناس من رأى سلطة مملكة بقيت دائمة؟) (انظر الحوراني : ١٨٩) و (انظر 1969: 612 prithchard)

وتسمى نصوص ملك لكش (كوديا) في نهاية الألف الثالث ق . م بأنه (ملك الطوفان) (لو كال أمارو) . وأن الطين الذي كان يحمله الفيضان معه إلى مدينة لكش كان يسمى (طين إنليل) (انظر 1949: 27 Dhorme)

ومع ذلك كان يوصف الإله إنليل في بعض النصوص بعكس صفاته المدمرة هذه فهو الإله الرحيم وصاحب العمران وهو سبب الحياة والنبات والحيوان وبذلك يتلبس إنليل أو يمتص صفات الإله (انكي) ، الذي ستتحدث عنه ، وهذه قصيدة توضح بعض ما ذهبنا اليه وسنتخبط منها ما يوضح التناقضات في شخصية إنليل :

(«إنليل» من يصل أمره إلى أبعد مكان - ومن كلمته مقدسة

الرب الذي لا يبذل كلامه ، والذي يقدر المصائر إلى الأبد

الذي تبصر عينه النفاذة الأقطار كافةً

ومن يدخل إشعاعه الوهاج في قلب الأقطار كافة

«إنليل» من يترع على المنصة البيضاء ، على المنصة الرفيعة

والذي يهذب أحكام السلطة والسيادة والإمارة

آلهة الأرض تنحي خشية أمامه

وآلهة السماء تتدخل أمامه

المدينة (نقر) مظهرها يشير الخوف والرعب

الجائر، والظالم والشرير، والتعالم
والمتكبر، وناكث العهد
كل هؤلاء لا يجيز شرهم في المدينة
والشبكة العظيمة، أنه لا يدع الشرير والظالم يفلتان من شراكها

.....

لولا «إنليل» الجبل العظيم
لما شيدت مدن، ولما أقيمت مواطن
ولما شيدت زرائب، ولا أقيمت حظائر،
ولما رفع ملك، ولا ولد كاهن عظيم
ولما اختير كاهن (الماخ)، ولا كاهنة رفيعة القدر بفأل الشاة
ولما غدا للعمال موجه ولا مشرق
والأنهار . . ما جلبت مياه فيضاناتها الفيض
ولما وضع سمك البحر يفضه في أدغال القصب،
ولما بنت طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة
وفي السماء، لما جاءت الغيوم السائرة
ولولاه ما تمت النباتات والاعشاب، مفخرة السهل
ولما ازدهر القمح الوفير في حقول الراعي
ولما اثمرت الأشجار النابتة في غابة الجبل أثمارها . .
(كريم ب. ت: ١٦٠ - ١٦٢)

أسطورة إنليل وسود

ننليل Ninlil زوجة الإله إنليل ، وكانت تسمى قبل زواجهما (سود Sud) أي الطويلة ، وتوصف بأنها إلهة الحبوب لأن أمها هي ننبار شكونو (نصابا) إلهة الحبوب والكتابة وأبوها (هاي) إله الصوامع . واسطورتها الحالية تحكي قصة زواجها الشرعي من إنليل ولها قصة زواج غير شرعي منه سنضعها في الأساطير الشوغونية لنسل إنليل .

تحكي هذه الأسطورة أن إنليل اجتاز بلاد سومر كلها، عندما كان شاباً يافعاً، للبحث عن زوجة له فلم يجد ما يرضيه، لكنه عندما يصل الى مدينة (ايريش) يرى (سود)، وهي ابنة العائلة الحاكمة في المدينة، فتتال إعجاب إنليل فيظن انها من بنات الهوى وينازلها لكنه يلمس فيها العقّة والبراءة. وعندما يعود إنليل إلى مدينته (نفر) يقوم بإرسال رسوله نسكو (نوسكا) وهو إله النار إلى والدتها الإلهة (نصابا) إلهة الحبوب والكتابة وأبوها (هايا أو خايا) إله الصوامع. بعد أن حمّله هدايا كبيرة ووعداً بأن يطلق عليها اسم ننليل اذا صارت زوجة له وأن تعيش معه في قصره (كي اور) وقد استقبلت (نصابا) الرسول وعاملته بلطف وادي هو كل المراسيم اللائقة وأعطى الهدايا وتحدث عن الوعود، فوافقت الام على أن يخطف إنليل سود.

عاد نسكو إلى نفر وأخبر سيده بذلك ففرح وهيا هدية الزواج المكونة من قطعان من الحيوانات المختلفة والأجبان والأسمان والألبان والعسل والثمار المختلفة والأحجار الكريمة والحلي والأقراط والذهب والفضة وغيرها ورافقته الذهاب الى (سود) اخته (ننماخ) وحصل الزواج وجاءت اخته بها من يدها وأدخلتها عليه، وهناك في الـ (ايكور) مقره في نفر تزوجها ثم اطلق عليها عدة ألقاب هي (نتتو : السيدة التي تلد)، و(أشنان : إلهة الحبوب)، وأعطاه نواميس الكتابة والقلم والألواح وعلم الحساب وتثبيت التحوم وتخطيط الأبنية والسدود، وأخيراً أعطاها لقب (ننليل : سيدة الهواء) الأكثر علواً من الجبال .

نشرت هذه الأسطورة كاملة لأول مرة عام (١٩٦٧) مؤلفة من (١٧٥) سطراً وهي تطفح بلغة الحب والجمال والأوصاف الشعرية، وتصور طقوس زواج الآلهة وهدايا الزواج ومنح الألقاب .

٣. إنكي Enki

الإله الثالث في مجموعة الآلهة الخالقة (آلهة العناصر الأربعة) هو الإله إنكي اله الماء ثم أصبح اله الماء والأرض لارتباط الماء بالأرض واستمراراً لسيادة الانقلاب الذكوري على الآلهة الأم (الأرض) ، فقد كانت الإلهة (كي) أم إنكي ثم تحولت إلى (وربما أنجبت) الإلهة ننكي (سيدة الأرض) إحدى مسميات زوجته وساد هو وأصبح يسبب الماء وليونته وأصوليته العميقة في الخلق وقدرته على المناورة إذا ما صادف عثرة أو حجراً ، أصبح الإله إنكي إله الحكمة . والحيلة والذكاء والمعرفة . . ثم اله السحر والطب . . وهكذا أصبح هذا الإله سيد الحياة كلها . . ، صحيح أنه يختفي خلف سلطة إنليل أخيه أو سلطة أن أبيه ، ولكن له سلطة الحياة النابضة والخلق والتكوين وكأنه ورث باطنياً كل سلطات الآلهة . . وهو هكذا فعلاً .

كانت مدينته (أريدو) أعرق مدن سومر في قدمها والواقعة آنذاك ، على ساحل الخليج العربي ، وبسبب من تتبعنا لتاريخ ظهور الآلهة الأم ، (التي كانت تمثل الأرض ربما (كي) أو (نمو) ، فقد بدا وكأنه إله المطر شمال العراق (سامراء - حلف) فأخذ هذا الإله شخصية الإله الاب ، وما أن تحولت الحضارة باتجاه الجنوب ظهرت شخصية الإله الابن في اله الماء (إنكي) في أريدو التي هي ثاني ثقافة الكالوليتية بعد حلف (انظر الماجدي ١٩٩٧ م)

وإذا كانت علاقة إنكي بالاله أبسو في الاساطير البابلية واضحة حيث هو ابن أبسو (اله المياه العميقة) ، فإن هذا لا يتضح بهذه الطريقة في الاساطير السومرية لأن (أبسو) لا يظهر كإله بل يظهر كمكان لأن إسم معبد إنكي (إي أبسو) أي معبد الاعماق . . وسمي أيضاً معبد الغور (اي - انكور) اي معبد شجرة الكشكانو المفضلة عنده . في حين تبدو هناك علاقة مباشرة بين دموزي وأبسو حيث يظهر لنا الإله (دموزي - أبسو) الابن البار بالمياه الاعماق رغم أنه الابن المباشر للإله أنكي . أما زوجته فاسمها المعلن دامغالتونا (مكنينا اومكنينا) زوجة الأرض والسماء وهي بالسومرية (ماخ) (الكبيرة) ، وهي في حقيقتها شريكته أو المرأة المرافقة الحبيبة الدائمة له (ننخرساج) التي هي ننكي وريثة (كي) وصاحبة الالقب الثلاثة عشر .

ويعيش إنكي في الـ (أبسو) المياه العميقة تحت قرص الأرض وتزوره أمه التي هي (نمو) وهي الآلهة السومرية الاولى . . ويحيرنا هذا الأمر لأن الأم الفعلية لإنكي هي (كي)

لكننا بمجرد أن نعرف ان الالهة تمّو هي ام كل الآلهة فهي بالضرورة أم إنكي، بل هي الأقرب له لانهما الها الماء .

وتظهر صورة الاله انكي في مياه الاعماق وكأنه في غرفة مثيرة للعجب تبدو مثل غواصة .

كان الرقم السري لإنكي هو (٤٠) وهو رقم له قداسته في الحياة والموت والنبوة والفصول وغير ذلك .

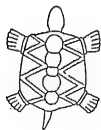
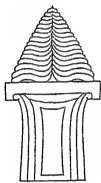
وكان للاله انكي وزيرا اسمه (اسيمو) أو (ايسمود) ويسمى بالاكديّة (أوسمو) أو اوسومو) وهو إله برأس بشري وله وجهان وتظهر صورته كذلك . أما رموز الاله إنكي في العصر السومري فكان له رمز واحد هو الإناء الفوار الذي تتدفق منه في كل من الجانبين الأيمن والأيسر خمسة خطوط من المياه، وقد أصبح لمقابلة السامي (ايا) عدّة رموز منها الكائنات السخية للسمة والمعزى والخروف، ودكة المعبد المقرنة، والسلحفاة، وساق الخروف . وكان السمك حيوان قديم دال عليه، وكانت أغلب أضاحيه من السمك ولهذا صار زي كهنته (خصوصاً في العصرين البابلي والآشوري) عبارة عن عباءة طويلة من الرأس حتى القدمين هي جسد سمكة بكل تفاصيلها . وللاله انكي شجرة مقدسة اسمها (كشكانو) .

والاله انكي (بعكس آن وإنليل) صديق الانسان وخالقه ومنقذه، فقد أنقذ النسل البشري من الطوفان الذي قرره مجلس الآلهة العظام فأُسّر إنكي لزيوسدرا ، الانسان الحكيم، بصناعة الفلك (انظر اسطورة الطوفان) .

وكان أهم دور في الحياة اليومية لإنكي هو طرد الشياطين فقد كان كهنة الأشيبو بشكل خاص يستعينون به في تعاويذ طرد الشياطين ويعتبرونه إله السحر الأبيض الذي يساعدهم في مثل هذه الامور، وقد كان يساعده ابنه الإله اسارلوحى في طرد الشياطين، واسارلوحى أصبح فيما بعد مردوخ البابلي . أما وزير الإله إنكي فهو همّو (إله الحرف والمهارات) والوزير الأساس هو إيسمود (الإله ذو الوجهين) .

أما القباة فهي نوديمود (الخائق) ، رب حزمة القصب، الاله ذو الأذن الكبيرة المفتوحة، عين الماء اللامعة، رب الحكمة، رب التعاويذ .

لقد أنجب إنكي أربعة أنواع من السلالات الالهية (سناقشها بعد قليل) هي
سلالات الآلهة النباتية والحيوانية والانسان (الاله الضعيف) وآلهة العمران والبناء
والمدينة.



شكل (٢٨)

رموز الإله انكي

١. حوالي ١٨٠٠ ق م ٣.٢ القرن ١٢ ق م ٤.٥ نهاية الألف الثاني ق م

رسم : علي محمد آل تاجر

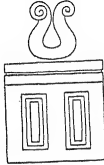
٤. كي Ki

(كي) هي الأرض وهي الإلهة السومرية الام الثانية بعد (نمو) في سلسلة ثيوغونيا الآلهة السومرية، لكن الغرب في الأمر أن هذه الإلهة اتخذت أكثر من إسم ومن صفة . ولم نجد في ما توفر لدينا من مراجع حلاً لمشكلة نسبها ولكننا نرى يقيناً أن هذه الإلهة أنجبت من الإله (آن) إلهة أنثى أصبحت فيما بعد هي الإلهة الام الكبرى الثالثة في سلسلة النسب وهي الإلهة (ننكي) التي هي الإلهة ننخرساج ايضاً والتي استطعنا أن نحصي لها ثلاثة عشر إسماء ، ولذلك يمكننا القول أن الإلهة (كي) هي نفسها الإلهة ننخرساج وقد عبرت عن نفسها في ولادة جديدة، وفي اليونانية تقابلها كلمة جي ge التي تعني الأرض ، أما لقابها أو أسمائها فهي :

- ١ . دامكال - نونا وتعني زوجة الامير الكبيرة واسماها البابليون (دامكينا) وهو الاسم الشائع لها كزوجة لإنكي
- ٢ . ننكي (سيدة الأرض) ويشير مقطع (نن) إلى سيدة أولهة .
- ٣ . ننخرساج (سيدة الجبل) وهو الاسم الذي شاع أكثر من غيره وتعني تحديداً سيدة الأرض الصخرية المرتفعة . وربما قصد الجبال الشرقية التي فيها مقر الآلهة (دوكو) .
- ٤ . ننماخ (السيدة الكبيرة) ورمزها المرأة العارية المصلية اليدين على صدرها .
- ٥ . نتو (سيدة الولادة) وهي الإلهة المساعدة في الإنجاب ، ورمزها المرأة التي تحمل بيدها اليسرى طفلاً ترضعه ، وتصلي بيدها اليمنى
- ٦ . مامي (ماما) : الأم (مختصر الإلهة ماميتو زوجة إيرا)
- ٧ . ماري : العذراء أو الغربية
- ٨ . كاتوم دوك : الهة الاطفال والمسؤولة عن تربيتهم
- ٩ . بيليتي : الهة النسل ، أو بيليت - ايلي Beletili أي سيدة الآلهة .
- ١٠ . اوراش : ويعتقد انه يعني الأرض ومصدره اكدي لكن السومريين استعملوه .
- ١١ . ارورو : سيدة الإنجاب ورمزها الصقر الواقف على عمود

١٢ . دنكيما : الالهة الأم ، وكانت تلقب ايضاً بـ (سيده الزمن Date goddess)

١٣ . ننمينا : ويعني هذا الاسم بالسومرية (سيده القبعات الالهية) وهو اسم نادر جداً ويستبدل في انشودة الفأس السومرية باسم (دامكال - نونا) وتوصف بأنها ولدت الكاهنة الملكة والملك . وربما كان لها علاقة باسم (دنجرمن) التي وردت في قوائم اسماء الالهة في فارا (انظر اذوارد ١٩٨٧ : ٣٨).



شكل (٢٩)
رمز الإلهة فنخرساج (القرن ١٢ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٣٠)
الإلهة الام فنخرساج (سيده الزمن)

وأغلب اساطير (ننخرساج) ارتبطت بالاله إنكي، كما سنرى، كزوجة وعشيقة وأنجبت منه أغلب إلهات وآلهة البنات والحيوان والمياه والعمران . الخ، لكن لها زوج آخر ذكر في العالم الاسفل هو (شولبي) الذي أنجب منها ولدان هما (مولوليل) و(اششرجي) وابنة هي (أكيم)، ويرى كرمير أنها كانت ذات منزلة عظيمة وتتقدم على كل الآلهة (وهذا يذكر بالإلهة الام أو الإلهة) وأنها كانت تعتبر أمّاً لجميع المخلوقات الحية وكان الحكام السومريون يقولون عن أنفسهم (أن ننخرساج تطعمهم باللبن على الدوام) (انظر كرمير ب. ت : ١٦٣).

وربما اختلط اسمها باسم (اوراش) زوجة آن وأم ننسينا، وقد عبدت (اوراش) في مدينة دلبات ويوصف شولبي أو شولبا، بأنه (الشاب البهي الطلعة) وأنه اله الحرب والقتال ويصور أحياناً كعفريت، ثم يوصف شولبي منذ العصر البابلي القديم بأنه أحد آلهة السماء متجسداً في نجم المشتري.



شكل (٣٢)
نخوساج هي هيئة إله العين



شكل (٣١)
كاتوم دوك

٣. سلاله إنليل

الشجرة الإنليلية الهوائية النارية

قلنا أن الاله إنليل استلم سلطات ابيه آن، وعين اخاه (نسكو) إله النار (ابن آن) وزير آله، وهكذا اتحد الهواء مع النار في تكوين سلاله واحده ستكون من أهم ميزاتها عنايتها بما يظهر في الفضاء الجوي من كواكب وأجسام وعواصف ورياح وامطار وستعنى بتبدل الفصول وغيرها، ولأن الفضاء الذي تحت (الأرض والابسو) هو جزء من الفضاء الكروي الذي يحيط بالأرض لذلك اصبحت مهمات الفضاء الاسفل (العالم الاسفل) ايضاً من مهمات السلاله الإنليلية حيث يظهر فيها آلهه هذا العالم كملوك له، ويظهر ابناءه آن وإنليل كمجاميع من الجن والعفاريت والشياطين منه. اضافة إلى أرواح الموتى، إن صفة الموت تدل كثيراً على طبيعة هذه الشجرة الإنليلية لأن من صفاتها جمود ويباس مكوناتها وتربصها بالأرض واحاطتها بامكانات الكوارث (العواصف، الامطار، الفيضان، الحرائق، السكوف، الخسوف، ظهور كائنات وحشية من العالم الاسفل لتدمير الأرض وهكذا). ولا نبعد امكانية أن تكون إنانا (الإنليلية السلاله) سبباً في موت ديموزي (الآنكي السلاله) وحذب الأرض وستوسع لاحقاً في تفسيرنا هذا.

لقد استعمل الاكديون مصطلح الإنليلية على شكل (إنليلوتو) وكانوا يقصدون بها الروح الإنليلية المرتبطة بالسيادة والقوة فقد اعلن حمورابي مثلاً في مقدمة شريعته أن (آن ومردوخ) زوداه بالإنليلية ليسوس البشر بها، وتجري الامور متشابهة في الدولة الآشورية حيث يلقب إله الدولة القومي بـ (إنليل الآشوري) مثل مردوخ في الدولة البابلية ويلقب الاثنان في دولتيهما (بانليل الآلهه)، (افزارد ١٩٨٧ : ٦٩).

إذن نحن أمام الوجه الآخر للوجود (الوجه غير الحي) السليبي ربما في الكثير من جوانبه، ولكننا كما نعلم بأن الحياة الدينية بطبيعتها لا تعطي شكلاً سلبياً خالصاً لسلالة إله عظيم كإنليل ولذلك سنجد بعض الجوانب الحية والايجابية التي نشعر أنها تخفف أو تلطف من قسوة ابناء إنليل واحفاده.

ولكن هذا الغلاف الهوائي الناري الالهي الذي يحيط بالأرض يساهم ايضاً في تنظيم قوانين الأرض باعتبارها مركز الكون فحركة الشمس والقمر والكواكب والرياح

والفصول هي قوى كونية منظمة للحياة على الأرض أيضاً ولكنها صارمة وحادة . . وعلى هذا الأساس فهي التي تمسك بالنواميس المعنوية كالحق والعدالة والشجاعة والنبيل . ولأن الأمراض نوع من الكوارث فهي من اختصاصها ، مثلما الشفاء منها أيضاً في بعض الاحيان ، ولذلك ينقسم آلهة العالم السفلي إلى آلهة امراض مثل غتار ونركال وآلهة شفاء مثل ننازو . . الخ .

ولعل أهم اسطورة ثيوغونية انليلية هي اسطورة نفي إنليل او هبوطه للعالم الاسفل حيث تبعته ننليل وإنجاب إله القمر (نانا) وثلاثة آلهة من آلهة العالم الاسفل وهي كما يلي :

أسطورة إنليل وننليل وولادة القمر وآلهة العالم السفلي

يتألف نص هذه الاسطورة من (١٥٤) سطراً عثر عليها في مدينة (ننّر) ويمتاز النص ثيوغونياً بأنه أحد أهم النصوص القديمة التي يتم فيها تحول الإله إنليل من هيئته كاله إلى كائن آخر وذلك عندما يتم قص شخصيات بواب وعبار ونوتّي العالم الأسفل ، ثم ان النص يشير غرابية بايولوجية حيث تحمل الالهة ننليل في بطنها (أربعة أجنته) من أربع مضاجعات متتالية . . من دون أن تلد الواحد ثم تحمل بالآخر .

أما الأمر الآخر فإن الزواج غير الشرعي بين إنليل وننليل يحمل مغزاه الثيوغوني العميق الذي سنشرحه بالتفصيل .

تبدأ الاسطورة بوصف مدينة (ننّر) وهي مدينة الالهين إنليل وننليل (والمفروض انهما تزوجا كما في الاسطورة السابقة لكن الاسطورة تصف اللقاء بينهما وكأنه يحصل لأول مرة) . وتصف الاسطورة مرافق وأرصفتهم وبساتين وأنهار نهر ، ثم تصف الاسطورة مرافق وأرصفتهم وبساتين وأنهار نهر ، ثم تصف فتاها الشباب القوي (إنليل) وفتاتها العذراء (ننليل) .

وهناك من يقول أن أم ننليل (ننبار شكونو وهي نصابا) تنصح ابنتها بأن تستحم في نهر ننّر ليرأها أنليل وتغويه ، وهناك من يقول بأنها تحذرها من ذلك لأن إنليل إن رأها سيغتصبها (والاحتمال الأخير هو الأرجح) ، وعندما تخلع ملابسها وتستحم يراها إنليل ويطلب منها مراراً بأن يضاجعها ولكنها ترفض في كل مرة ، ثم يقوم إنليل بأمر وزيره

(نسكو) فيجلب له الأخير قاربه الملكي الذي يتغلغل بين القصب، ثم ينال إنليل من ننليل ويغتصبها في قاربه . . ويذرف في أحشائها إله القمر (نانا) .

وفي المدينة يقابل الآلهة العظام الخمسون ومعهم آلهة المصائر السبعة، بعد أن عرفوا بالحدث، فيطردون إنليل من المدينة وينفوه إلى العالم الأسفل، وحين توجه إنليل إلى العالم الأسفل، تبعته ننليل وهي حاملُ بابنها القمر . وعلى بوابة العالم الأسفل يجد إنليل حارس البوابة فيتخذ هيأته ويأمره بأن يتوارى، ويقف هو مكانه كحارس للبوابة وعندما تجيء ننليل يفتحها بواب العالم الاسفل (الذي هو إنليل متنكراً) بأنها اذا ارادت أن تخلص بذرة إنليل في بطنها (نانا) فإنه يجب أن يضاجعها لكي تبقى بذرته منها في العالم الاسفل وتبعد بذرة إنليل (نانا) إلى العالم الأعلى، وتقتنع ننليل بذلك . ويفعل ننليل مثل هذا الأمر مرتين آخرين متنكراً بشخصية رجل نهر العالم الاسفل (مفترس البشر) وشخصية (سيلوليم) نوتي العالم الأسفل أو عبّار نهره .

ثم تنجب الإلهة ننليل أربعة آلهة هم :

١ . نانا Nana : إله القمر (وهو ابن غير شرعي من انليل) تمت زراعة بذرته في رحم ننليل بين احراش القصب في نهر نقر

٢ . نركال - Meslamtaea - Nergal : الاله الذي سيصبح إله العالم الأسفل، وهو ابن غير شرعي من إنليل وهو في حالة تنكر لشخصية بواب العالم الأسفل .



شكل (٣٣)
رمز الإله نركال
(رسم : علي محمد آل تاجر)

٣ نازو Ninazu : إله مهم من آلهة العالم الأسفل معنى اسمه (السيد الطبيب) ، وهو هنا ابن غير شرعي من إنليل وهو في حالة تنكر لشخصية رجل نهر العالم الأسفل (مقرس البشر) . لكن هذا الإله يرد دائماً كإبن للاله نركال من ارشكيكال .

٤ . الجيبييل (كييل) إله النار السفلى ، وفي رواية أخرى أنه الإله انبيلولو Enbilulu وهو إله نهري دجلة والفرات ، ولكن هذا إله يرد في الالهيات على أنه ابن الإله انكي .

واعتقد أن الفلسفة اللاهوتية الكامنة وراء هذه الثيوغونيا الانليبية تتخلص في النقاط التالية :

١ . أن الاغتصاب جريمة كبرى حتى لو كان مرتكبها إله وأن عقوبتها الموت (الذهاب إلى العالم الأسفل) وهذا جانب أخلاقي تؤكد عليه الاسطورة حيث أن الآلهة السبعة العظام والآلهة الخمسين الكبار قرروا موت إنليل بسبب اغتصابه للإلهة ننليل

٢ . إن ذهاب أي إله إلى العالم الأسفل يعني بقاءه فيه إلى الأبد ، ولذلك جاءت الاسطورة بشيمة جديدة لتخليص إنليل من هذا العالم بأن نزلت الآلهة ننليل وراءه لتخلصه . (ونلاحظ أن هذه الاسطورة سابقة لنزول انانا للعالم الأسفل لتخليص دموزي كما ترد في بعض التفسيرات) .

ولكن هناك مشكلة جديدة فالآلهة ننليل حامل باله القمر (نانا) ، وأصبح الآن هناك ثلاثة آلهة داخل العالم الأسفل . وهنا تلجأ الاسطورة الى حيلة ذكية وهي انجاب ثلاثة آلهة لكي يحلوا مكان الآلهة الثلاثة (انليل ، ننليل ، نانا) وهذا هو شرط خروج هؤلاء الآلهة من ذلك العالم .

٣) ولنلاحظ أن ظهور الإله (نانا) كان غير شرعي ، ولذلك توجب على هذا الإله أن يظل محكوماً بالدخول والخروج إلى العالم السفلي كل يوم وليلة ففي النهار يدخل القمر العالم الأسفل وفي الليل يخرج منه .

٤) كان الإله نركال يتخذ أحياناً ، بل وفي الكثير من الاساطير القديمة ، وكأنه (إله الشمس) وهكذا هو موقعه فهو يأتي بعد الإله القمر (نانا) ، وفي الثيوغونيا السومرية يكون الإله الشمس (او تو) ابن الإله القمر اي الذي أتى بعده وكان نركال يحتل نفس الموقع وهكذا يعني ان الشمس محكوم عليها بالدخول إلى العالم السفلي ليلاً والخروج منه نهاراً

في حركة معاكسة للاله القمر . (خصوصاً أن الاله نركال كان الها علويًا).

٥) وإذا كان لنا من تفسير للاله (ننازو) الذي رمزه الأفعى فهو كذلك يخرج ويدخل من وإلى حفر العالم الأسفل متى يشاء . . وبسبب من كونه الأفعى فهو يدل على الطب، والأفعى لها جحورها الخفية في الأسفل وهي تظهر أيضاً إلى العيان .

٦) أما اليجبيل (كيبيل) فهو إله النار واسمه بالأكدية (جيرأ أو جيرو) ولكنه لا يشبه نسكو ابن آن ، إنه إله النار التي تخرج من العالم الأسفل من باطن الأرض في دورات غير محكمة أو مضبوطة .

ثم تطور مفهوم الجبيل أو جبيل ليدل على النار بكل اشكالها فهو مصدر خير أو شر تحدته النار بالاتجاهين . ويذكر احد نصوص التعاويذ من سلسلة (عفاريت اوتوكو" الشريرة) خيراً أسطورياً مدوناً باللغتين السومرية والأكدية كما يلي :

يصعد الإله إنكي إلى السماء برفقة جبيل ليستكشف سرّ العفاريت الشريرة السبعة (سبتو) ربما أن هذه المخلوقات هي مخلوقات الإله (آن) فقد تم خلقهم دون معرفة (إنكي) وعندما يطلعان على عمل واصل العفاريت السبعة ، يرسل إنكي جبيل إلى اسارلوجي (إله التعاويذ) الذي يقوم بتزويده بمعلومات عنها ويتلقى جبيل الإرشادات المناسبة ليقوم بطقوس التعاويذ (انظر اذوارد ١٩٨٧ : ٨٤) .

اما اذا كان هذا الاله (انبلولو) فهما دجلة والفرات اللذان ينبعان من جوف الأرض فهما تحت / فوق الأرض وهذا ما يشير ايضاً إلى حركة سفلية علوية .

لقد وضعت هذه الاسطورة (قبل اسطورة انانا والعالم الأسفل) حركة دورية ثيوغونية مذهلة اشارت برمز ومدلولات خفية وعميقة إلى ظهور واختفاء الآلهة في العالمين الأسفل والأعلى وحركتها فيه ، وسنحتاج إلى الكثير ليساعدنا في تفسير علاقة البواب بالاله نركال (هل هو رمز الملك في العالم الأسفل؟) ، وعلاقة رجل نهر العالم الأسفل قاتل البشر بالاله ننازو (هل هو الاله السام قبل أن يكون الشافي؟) . وعلاقة نوتي إله العالم الأسفل بالاله اليجبيل أو انبيللو (هل هو العازف الصاحب كالنار أو كمياء دجلة والفرات؟) ، هذه الاسئلة وغيرها نتركها لمعلومات أدق قد تجود بها اساطير أخرى لتوضح لنا الحقيقة .

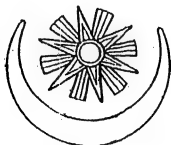
هذه الأسطورة الشوغونية معبأه تماماً بشحنه رمزية عالية وعلينا أن نتوقف عندها طويلاً في أية قراءة أو تحليل .

أبناء إنليل (آلهة الجيل الأول من الشجرة الانليلية)

١ . نانا (سوين) : إله القمر وهو أهم إله إنليلي، ولكن هذا الإله مثل ذات يوم أحد أوجه العبادة القمرية للإلهة الام في النيوليت وكان هذا الإله مرتبطاً بها . ولا بد من الاعتراف ان هذا التغير في كونه إلهاً إنليلياً وليس إلهاً أمومياً (بمعنى الإله الام او بمعنى الإله إنكي) يمثل انقلاباً لا هوتياً ذكورياً سومرياً على تقاليد النيوليت، وهو بذلك يجسد الانقلاب الذكوري الكالكوتي الذي كان امتداده في سومر، رغم بقايا واضحة وكثيرة للعصر الأمومي .

وسيصبح إله القمر في وادي الرافدين مصدر محاولات توحيدية مثل التي قام بها ابراهيم الخليل في اور وحرآن (وكلاهما تعبدان القمر) . . والمحاولة لآخر ملك بابل هو نبونائيد .

الإله (نانا) سيكمل الشجرة الانليلية كما سنرى في الجيل الثاني . وقد رمزه في العصر السومري حوالي القرن (٢٢ ق.م) هو هلال مقوس مفتوح للأعلى يحتضن شعار الشمس المكون من اثني عشر شعاعاً ستة منه مدببة والستة الأخرى اشعة ثلاثية مسترسلة (شكل ٣٠) وهذا الرمز يدل علي أن الإله القمر يحتضن ولده الإله الشمس .



شكل (٢٤)

الرمز السومري لآله القمر (نانا، نانا) القرن ٢٢ ق م

رسم : علي محمد آل تاجر

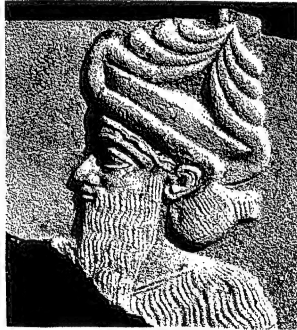
ومثلما ارتبط آن وولده إنليل وإنكي في ثالث سومري أول ، ارتبط نانا مع ولديه أوتو (الشمس) وإنانا (الزهرة) في ثالث سومري ثان كوكبي الطابع . وإذا كان الثالث الأول كوني الطابع فإن الثالث الثاني فلكي الطابع . وللثالوثين أهمية كبيرة في تطور الفكر الديني لاحقاً . الرقم المقدس لنانا أو (موشكي) هو ٣٠ وهذا يعني أن سلطته نصف سلطة آن لأنه يقف على رأس ثالث ثانوي . أما الحيوان المقدس له فهو الثور المجنح .

أما أهم معابد (ننار) فكانت في أور واسم معبده (اي - كيشركال) وفي حران (اي - هلهول)

وزوجته هي الالهة (ننكال) السيدة الكبيرة وتسمى الالهة المتوجة (شكل ٣٦) أما أهم القبابه فهي (زورق السموات المضيء ، ذو البزوغ الساطع ، رب الشور الوحشي إينسون ، سيد العرش ، إله النور الجديد ، ثور إنليل الصغير ، الأب) .



شكل (٣٦)
الإلهة نينكال زوجة نانا



شكل (٣٥)
إله القمر نانا

وكانوا يفسرون خسوفه بمهاجمة العفاريت السبعة له (انظر الاحمد ١٩٨١ : ٢٦) .

أما أطوار القمر الهلال، البدر، المحاق فقد اتخذها السومريون مقياساً لتقسيم الشهر إلى أربعة أسابيع فالهلال هو أول ظهوره ونصف البدر هو الاسبوع الثاني واكتماله بدرأ هو الاسبوع الثالث اما المحاق فاسبوعه الرابع وكان يسمونه (بيلولو) حيث يعتقدون ان الارواح الشريرة تستولي عليه بعد المحاق ليومين او ثلاثة وتعطله في العالم الاسفل ثم يعود من جديد، وكانت هناك اسطورة حول خسوف القمر مدونة بالسومرية ترد في مقدمة (تعويذات الاوتوكو الشريرة) تتحدث عن تحالف بين آلهة القمر والشمس والزهرة بتحريض من الاله إنليل لمقاسمة الاله (آن) في حكم العالم . فيتصدى (آن) لهم ويرسل آلهة السيتو السبعة ليقتل إله القمر (نانا) مما يسبب ذلك خسوف القمر فتتخلى إنانا عن حلفائها وتنضم الى صف (آن) وتنجح بمكرها في كسب آن راغبة في حكم السماء بمفردها ويقوم الاله (إنليل) (بارسال رسوله (نسكو) إلى إله الحكمة (إنكي) لينقذ القمر من مأزقه فيطلق إنكي الاله (أسارلوجي) على الأمر ويقف النص عند هذا الحد، لكن نهايته تشير لنجاح إنكي في تحرير القمر من الشياطين السبعة . وهذه الاسطورة تشير إلى خسوف القمر وكان السومريون يحتفلون في كل مرحلة من مراحل القمر بعيد اسبوعي اسمه (إش، إش) وربما هو نفسه ما نسميه عطلة نهاية الاسبوع الآن . ويسبب من ارتباطه بالزمن والتاريخ أسماء الساميون فيما بعد (ورخ) التي تدل على التاريخ أما اسمه السامي الشهير (سين) فهو من أصل سومري فقد جاء من انزو Enzu التي تقرأ زوين Zuen ومنها زن Zen، وسن Sin (انظر بوتير ١٩٧٠ : ٤٠) .

٢) آلهة العالم السفلي : وقد تحدثنا عن ولادة ثلاثة منهم، ونحن نؤثر الحديث هنا عن أهمهم الذي هو نركال (ملك العين المظلمة) وهو إله مهم في الشوغونيا السومرية لانه بعد أن كان الهاً علوياً يجلس مع الآلهة في العالم الأعلى، أصبح فيما بعد ملكاً على العالم الأسفل وتزوج إرشيكيكال ملكته (وهو ما ترويهِ اسطورة بابلية) ولا شك أن وجود الإله القمر وإله الظلام (نركال) في جيل واحد من أبناء إنليل يعني فيما يعنيه الصراع او العلاقة بين النور والظلمة فالهواء أو الفضاء (ليل) إنجب القمر والظلام وكلاهما دائر فوق الأرض وتحتها .

إن هذا التضاد بين النور والظلام سنلمحه في الجيل القادم الثاني لإنليل حيث تظهر

الشمس والزهرة (النور) والالهة إرشيكيكال (الظلام) ، بل أن الجليل الثالث للإله إنليل والذي تقف إنانا على رأسه توحى لنا بازدواج النور والظلام في رحلتها بين العالمين العلوي والسفلي .

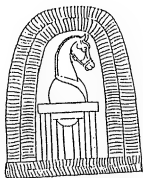
لا شك أن مصدر فكرة (النور والظلام) في الديانات اللاحقة كالصابئية والزرادشتية كان من هذا الصراع بينهما . وسنعود للأمر عودة أخرى .

لا غللك إلى ما يشير إلى رمز للاله نركال في العصر السومري تحديداً ، أما في العصور اللاحقة فقد كان الكلب المجنح رمزاً له .

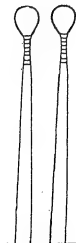
٣) إلهة العاصفة (ننورتا ، ننگرسو) : تعني كلمة (ننورتا) بالسومرية (إله الإعصار) ، وتتعلق وظيفته بالوضع المضطرب والحاد للطقس ، وهو من الناحية العملية الوريث الحقيقي لوظيفة وطبيعة أبيه (إنليل) لعلاقته بالهواء والعاصفة ولذلك لقبوه بـ (الولد) تصغيراً لإنليل . وقد عبده الساميون كإله للصيد والحرب ، أما الآشوريون فاعطوه مركزاً عظيماً في حياتهم الدينية .

الرقم السري لكل منهما (ننورتا ، ننگرسو) هو نفس الرقم السري لأبيهما (٥٠) واعطي معبد الخمسين (اي - نينو) في لكش لكليهما بعد أن كان لأبيهما إنليل . وقد سمي ننورتا بعاصفة إنليل ، وكان رب اخصاب يسيطر على الزرع والفيضانات وصار في العصور الآشورية المتأخرة إله المعارك ومستشار أنو وإنليل . . وهو رب صيد مثل نركال ، لذا نشاهد رايتيهما على عربات الملوك ، ورمز اليه برأس حصان موضوع على كرسي وفوقه قوس وكذلك بعمود فوقه رأس أسد أو رأسي ثور ، (الأحمد ١٩٨٨ : ٣٤) . (شكل ٣٧ ، ٣٨)

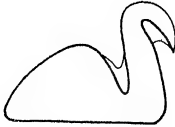
وكانت زوجة الاله ننورتا هي الالهة (بابا) وتسمى (إلهة ذوي الرؤوس السود) وتسمى أيضاً (باو) . مشيدة الحقول والبساتين وتلقب بـ (العجلة) ، وكانت ثوغونيا ابنة الاله أن إله السماء ، وتعتبر بشكل أساسي إلهة الشفاء ويرمز لها بالكلب لأن لسان الكلب أو الكلبة كان يشفي الجروح عن طريق لعقها لوجود مواد مضادة للجراثيم في لعابه . . وسنجد أن الإله كولا في المثلوجيا البابلية هي التي تراث الالهة (باو) تماماً وتصبح أيضاً زوجة الاله ننورتا وكانت (باو) تعرف باسم آخر هو (نن - نيبور) اي (سيدة نقر) ، وكانت (باو) تصور دائماً بتاج أوزي شكل (٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢)



شكل (٣٧)
رمز الإله نثورتا
١. نهاية الألف الثاني ق.م. ٢. القرن ١٢ ق.
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٣٨)
رموز الإله نثكرسو
١. بداية عصر مسيلم ٢. النصف الأول من الألف الثالث ق.م. ٣. القرن ١٢ ق.م
رسم: علي محمد آل تاجر



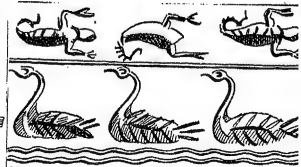
شكل (٤٠)
رمز الإلهة باو
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٣٩)
الإلهة باو بتاج أوزي من أور



شكل (٤٢)
الإلهة باو كإلهة للحب والزراعة



شكل (٤١)
العقارب والأوزات رموز الإلهتين أشخارا وياو

أما الإله (ننكرسو) فهو (إله مدينة كرسو السومرية) وهي مدينة تابعة إلى دولة مدينة لكش، وكان هذا الإله يبدو وكأنه يمثل الإله العام ننورتا وأباه الإله المطلق إنليل في مدينة كرسو أو لكش بأكملها، ويبدو أن معبده الأول اسمه (بيت البجارا) وكان إله حرب ويحب تقديم الهدايا والتذوق، وهناك نصٌ سومري مشهور مكتوب على اسطوانتين للملك لكش كوديا إلى الإله ننكرسو يخص بناء معبد له حيث يأتيه في الحلم ويبلغه هذا الأمر، ويبدو ننكرسو أيضاً إلهاً له علاقة بالطقس والمطر والريح.

رمز له السومريون في عصر ميسلم (حوالي ٣٠٠٠ ق.م) بعمودين ذي رأسين مكورين ولهما رقبتي محزوزتين . شكل (٣٨) ورمز له في النصف الأول من الألف الثالث ق.م بطائر العاصفة امدوك الذي له رأس أسد وجناح نسر وظهرت تماثيل كثيرة تعبر عن هذا الطائر الذي يدل على القوة والريح معاً ويبدو أنه كان يصبح أحياناً رمزاً لأخيه الإله ننورتا.

وكان للاله ننكرسو ولدان هما (كال اليم) وهو إله الحق وصد الشر وهو إله الملوكية أما الإله الآخر فهو (شول شاكا) إله السكائب والقرايين وهو إله الحياة أو الحيوية لارتباطه بالدم ، الإلهان يمثلان وظائف إنشائية عملية ويعبران عن ما يمكن أن يكون عليه أبناء إله مدينة لها تقاليد دينية عريقة مثل لكش.

٤) إله الفصول (الصيف والشتاء، أيمش وأنتين) :

هذان الإلهان المترافقان ، أو المتلازمان بتناوبهما، يعتبران أبنا الإله إنليل ويتحكمان بظهور فصلي الصيف والشتاء وتعاقبهما، ولا نعرف عنهما الكثير سوى أسطورة شهيرة للتنافس بينهما أمام إنليل سنذكرها في أساطير تنظيم الكون، لأنها لا تقع ضمن حقل الأساطير الشيوغونية، وتنسب إلى أدب المناظرات (ادمندوكا) أكثر من كونها أسطورة بالمعنى الدقيق لمصطلح أسطورة.

٥) بابيل سالج : ومعنى اسمه بالسومرية (البوابة) وقد تكون له علاقة بالعالم الأسفل، وهو إله (لاراك) وزوج إلهة الشفاء (ننسينا) التي كانت تلقب بـ (سيدة لاراك).

ابناء نانا (آلهة الجيل الثاني من الشجرة الإنليلية) الشجرة القمرية

الأمر الملفت للانتباه ان الإله إنليل لم ينجب إلهة أنثى (وهذا تكريس آخر لذكوريته ومركزيته الذكورية خصوصاً أنه وريث أن مباشرة) . لكن الإله القمر كان في العصور القديمة وخصوصاً عصر النيوليت (الحجري الحديث) حيث اكتشف الزراعة وزيادة دور الانثى ، كان هذا الاله إلهاً أنثوياً في سلوكه وطبيعته وكان يرتبط دائماً بالإلهة الانثى الام . وهو أحد أوجهها الطبيعية (انظر الماجدي ١٩٩٧) .

بعد الإنقلاب الذكوري في عصر الكالكوليت بدأ ضمّ معظم الحاشية الأنثوية الأمومية إلى إله ذكري قوي كان الهواء أو السماء . . وهكذا نجد الآن ان إله القمر (نانا) ابن إنليل مباشرة (فهو إبن الذكر الاب العاصفة) وهو (أب الإله الشمس الساطع القوي الذكر أيضاً) وهكذا حبس الاله القمرين نسلين ذكريين عتيين .

ولكنه برغم ذلك ألحجب إلهتين مهمتين للغاية متعاكستين في الوظيفة وإحدهما تكمل الأخرى وهما (إنانا وارشكيكال) .

ومن المؤسف حقاً اننا لا نملك أساطير ثيوغونية تخص إله القمر وهو ينجب ابناءه ، ولكننا نعرف تماماً ان كل هذه الآلهة جاءت من زواج إله القمر مع الإلهة نكال :

(١) إله الشمس (اوتو UTU) : ليست هناك اسطورة ثيوغونية تجسد كيفية ولادة إله الشمس من الالهة نكال وزوجها إله القمر ، لكن الاعتقاد المثلولوجي في أن القمر أب الشمس يأتي من فكرة أن الظلام كان أولاً هو الذي يسود العالم ومن هذا الظلام ظهر النور وانكشفت الأشياء وتميزت في نهار العالم ، ولأن القمر يمثل اول نور داخل الظلام لذلك كان الضياء المطلق للشمس ابناً له .

واعتبر الاله الشمس في الفترة البابلية أباً للاله مردوخ فاسمه كان (امار - اوتو - ك) اي (ابن الشمس) .

وقد عرف الاله الشمس باللغة السومرية بعدة اسماء منها اوتو Utu ، وبيّار Babbar وكشّر Gis -sir وزلام Zalam وزله Zalme ويّزر Buzer ومان Man وأما Amna ، ونرجّح أن يكون الإسمان الأخيران أصل الاله آمون المصري مثلما نعتقد أن اسمه الرئيسي أوتو هو مصدر الاله المصري الشمسي أتون (انظر عبد الرحمن ١٩٧٥: ١٢) . وكان من صفات الإله

اوتو بأنه (ذو اللحية اللازوردية) و(ذو الوجه المضيء) و(الوسيم) و (ذو اليد الطويلة) و(العاللي) و(المكسو باللمحات) و (الثابت الذي لا يتغير) .

ويوصف بأنه (مرشد كل الناس) وسيد الفأل والعرافة و(كاشف الاسرار) و(منظم ما في السموات والأرض) ، (مقدر الخطوط) و(خالق الكون والجهات الاربعة) و(ملك العدالة) و(الناصر) وألقاب أخرى (انظر 1938: 455 AGE) .

ويعتقد أن (اوتو) كان يبحر في قارب كما وضحت ذلك علامة كتابته في المرحلة الصورية وبداية العصر الاكدي . أو أنه يشاهد في الكثير من الأختام الاسطوانية كشيوخ كبير من بين جبلين ويقطع العالم العلوي سيراً على أقدام . وأحياناً على عربة نارية وأحياناً كأنه طير وكان إله الشمس يسمى (اوتو - كشكالو) واعتبر الطير ويرجح أنه الصقر (انظر 1899: 31 King) .

أما زوجة الاله اوتو فهي الالهة (آيا Ayya أو آيه Aya) وهي الهة سومرية تعني (المهيشة او التي تقع) ولها عدة أسماء سومرية هي (سود أكما وهذه تشير إلى نيزك أو شهاب، ونمولسي أي سيدة النجمة الحمراء، سوركا، زُب اوتو، اوتو بلبل وهو الأسماء الثلاث الأخيرة لا تعرف معانيها تماماً غير أن لها علاقة واضحة بالضوء (انظر Roberts 1972:14) وزوجة اسمها (سودلجا اي المشرقة) وهذا لقب أنانا، وكانت أنانا عندما تقرن بالاله (اوتو) كزوجة له لا أخت تعرف باسم (أنونيت)، وكانت (آية) توصف بأنها سيدة البلدان و(الهة السماء) و(ربة الفجر) و(الهة البشرية) . . الخ .

الرقم السري لاله الشمس هو (٢٠) .

وكان (اوتو) و(آية) يعبدان في مدينة سبار وعرف معبد اوتو بـ (اي - بيار) ومعبد (آية) باسم (اي - ايلنا) اي معبد الأحراش لأنها كانت بالأساس الهة للخضرة، وعبد اوتو أيضاً في مدينة (لارسا) .

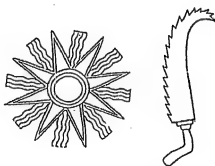
أما الرموز السومرية لاله الشمس فيمكن تتبع جذورها من أقدم العصور النيوليتية فقد ظهر رمز الصليب المائل منذ عصر حسونة النيوليتي (الزراعي شمال العراق) في حدود الألف الخامس ق.م ثم في ثقافة سامراء وثقافة حلف (موقع الاربعية) وظهرت على الكتف الأيسر ملونة بالأحمر لدمية طينية، وصار لها مدلول ديني واضح في عصر جمدة نصر .

اما العلامة الكتابية للشمس وكان شكلها الصوري الأول هو علامة صليب أو زائد (+) واخذت في الخط المسماري السومري علامة بار على شكل الصليب ٥٢٢ اما الرمز الثاني فهو علامة الدائرة التي ظهرت منذ عصر حسونة وقد ظهرت الدائرة والصليب المائل على شكل وردة في عصر جمدت نصر (شكل ٤٣ ، ٤٤) وتحولت الدائرة (القرص) الى شكل وردة الاقحوان وظهر هذا حوالي ٤٠٠٠ ق.م والرمز الثالث هو القرص فوق سارية الذي يعود الى عصر جمدت نصر والرمز الرابع هو النجمة على عقب رمح.

الخامس هو القرص ذو النجمة الرباعية المشعة الذي ظهر منذ عصر مسلم (٢٨٠٠ ق.م) وعبد في سلالة أور الأولى .

والرمز السادس هو السيف او المنشار المسنن الذي يدل على أنه يقص الظلام.

والرمز السابع هو رمز المحراث في عصر فجر السلالات الأخير.



شكل (٤٤)

رمز الإله الشمس أوتو منذ العصر
الأكدي وما بعده
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٤٣)

رموز إله الشمس نهاية الألف الخامس ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر

أما الحيوانات التي كانت تمثل الشمس وتعبّر عنه وترافقه في العصر السومري فهي الأسد ذو الرأس الأدمي، الأسد لوحده، النسر والصقر (أوتو كشكالو) والرجل العقرب الذي يظهر أمام قارب الآلهة الشمس على الاختتام الأسطورية منذ بداية عصر فجر السلالات الثالث.

وهكذا نرى أن إله الشمس أوتو السومري هيّا قاعدة كبيرة للاله السامي (شمس) الذي هو امتداد مضخم له ولدوره كما سترى في الديانتين البابلية والآشورية بشكل خاص، فإذا كان ابن الشمس (مردوخ) قد احتل الآلهة الأعظم في بابل، فإن الآلهة آشور الذي هو إله الأفق أي الآلهة الشمس قد احتل الآلهة الأعظم في آشور.

(٢) إلهة الزهرة (إنانا) إلهة الحب والجمال

لم تشغل إلهة أو إله العصور القديمة مثلما فعلت ذلك إنانا إلهة الحب والجمال والمتعة الجنسية، الآلهة اللعوب المغناج التي حيرت أبواب الآلهة والناس، إذ يندر أن يكون هناك إله رئيسي ابتداءً من إله السماء (آن) وانتهاءً باله الرعي (دموزي) لم يرتبط بها بعلاقة حب وزواج، وهي غير ثابتة في هذه العلاقة دائماً فلها وجهان وجه عاشق ولهان، ووجه غادر مختال. وسنفرد مبحثاً كاملاً لأساطيرها فقط.

أننا نحذر من الخلط بين أن تكون إنانا إلهة شعبية للحب والجمال والمتعة، وبين أن يصفها البعض كإلهة مسومرية أم. لأن في ذلك الكثير من المشكلات والأخطاء الفكرية والمثولوجية.

كان اسمها القديم (إينين) أو (إينونيت) ثم بدأ يكتب بطريقة أخرى (نن - أن - نا) و (إن - أنا) أي In - an - na وعندما يدمج صوتياً يصبح إنانا Ianna أي ملكة السماء. (شكل ٤٨)

أما اسم عشتار السامي فهو من أصل سومري أيضاً ذكرته المصادر الفلكية بعنوان (كيش دار) أو (كشدار) (GESH-DAR) ويعني Gesh العضو الذكري أما دار Dar فتعني شق أو قطع وربما يدل على العضو الأنثوي، أي أن اسم كشدار تعني العضو الذكري والأنثوي، وهذا ما نراه نحن، أما دوسن ومارغريت روثن فيريان أن هذا يعني أنها مقطوعة من إله ذكري ربما يكون (آن) ويذكر أن الآلهة افروديت (وهي شبيهة إنانا) مقطوعة عن الآلهة السماوي اورانوس (انظر روثن ١٩٨٠: ١٢٢) و (Dessin 1957).

وهذا افتراض (خلف) كما يقولون في الفلسفة ، فقد سحبت اسطورة أحدث على اسطورة قديمة ، في حين ان اسم (كشتار) يحمل معنى أعمق فهو يشي بالأزدواج الذكري الأنثوي للإلهة التي كانت دائماً إلهة حب وحرب فهي إلهة تستدعي المتناقضات ، كما ان هناك تفسيرات جنسية عميقة لا مجال لذكرها الآن ناقشناها في مكان آخر (انظر للماجدي ١٩٩٥).

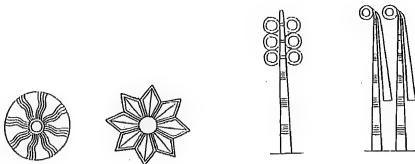
الرمز السري للإلهة إنانا هو (١٥) فهي نصف العدد السري ايها الاله (نانا) القمر ، ولكننا ندهش عندما نقسم رقم الاله الاعظم آن (٦٠) على رقم انانا وهي اول الهة انثى لها رقم رمزي فان الناتج يكون (٤) . فهل هناك ما يشير في اعماق هذه المعادلة الى العرف الاسلامي بزواج الرجل من اربعة نساء . . ربما نعم !- وربما لا ! اي ان الذكر تكفيه أو تعادله أربع انثى !!

أما رموز الإله إنانا فمتعددة في العصر السومري ، ففي عصر الوركاء جمده نصر اي في الألف الرابع ق. م كان رمزها عبارة عن قسبة مدبية ومحززة بثلاثة حزوز وعلى كل جانب منها ثلاث حلقات شكل (١ / ٤٠) . وفي نفس العصر كان رمزها الشهير وهو عبارة عن قسبتين معقوفتين كل منهما بستة حزوز ولهما في رأسهما ذيلين من الخريز . . وهذا الرمز مأخوذ من قسبة الراعي الذي كان ملازماً للإلهة إنانا (شكل ٢ / ٤٤)

وفي العصور السومرية اللاحقة اخذت شكل زهرة الاقحوان الثمانية الأوراق والتي كانت تمثل شجرة الحياة وهو شكل هندسي (شكل ٣ / ٤٤) وربما تطور هذا الرمز في العصور الأكديّة والبابليّة والاشورية إلى النجمة الثمانية أو ذات الستة عشر ضلعاً ضمن دائرة ، وهذا يدل على عشتار وليس على إنانا السومرية .

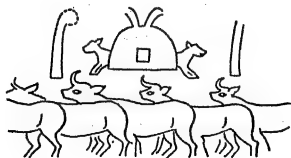
ويظهر رمز (الشمس المجنحة) أو (الصليب المجنح) مبكراً في الآثار السومرية ليدلّ على (إنانا) وعلى الألوهية بشكل عام ، وهو الرمز الذي صار فيما بعد يدلّ على الإله آشور (شكل ٤٩)

ويبدو أن جانبيها الحربي لم يبرز بشكل واضح خلال العصر السومري بل كان الجانب العاطفي هو الأساس . فهي ربة الحب واللذة المجردة وكانت اختها (الوجه الآخر لها) ارشكيكال هي التي تمثل الوجه الحربي الأسفل المظلم لها .



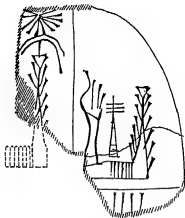
شكل (٤٥)

رموز الإلهة إنانا ٣٠٠٢، ١ الألف الثالث ق م ٤، القرن ١٢ ق م
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٤٦)

قطيع ثيران وعجلان يخرجان من حظيرة يحيط بها رمزا للإلهة إنانا (إنين)
شجر العصر السومري



شكل (٤٨)
الرمزان (ان) و(اين)
فجر العصر السومري



شكل (٤٧)
إنانا مع أسدها تظهر كآلهة حروب
وسلطة ماري (القرن ١٨ ق.م)



شكل (٤٩)
رموز الإله آشور، الشمس المجنحة والصليب المجنح، الذي كان يشير عند
السومريين لإنانا والآلهة بشكل عام
رسم: علي محمد آل تاجر

ورغم زيجاتها وعلاقاتها كانت توصف بالعذراء ، وفي الوقت نفسه كانت تلعب دور الام والاخت والزوجة ، ولذلك نرى «هذه العلاقة بين الام العذراء التي ولدت ابنها دون نكاح ، ثم تزوجته لتستعيد الى ذاتها قوتها الاخصائية التي غادرت شخصه في الخارج ، هي التي تفسر اشارة النصوص الاسطورية الطقسية فيما بعد ، الى الاله ابن على انه الابن الام الكبرى احياناً وزوجها أو حبيبها أحياناً أخرى ، ورغم أن كل الآلهة الذكور في الثقافة الذكورية قد نشأوا عن الاله الابن ، ثم اتخذوا لانفسهم شخصيات مستقلة وارتفعوا نحو السماء ناكرين أصلهم الأرضي ، (السواح ١٩٩٣ : ٢٦٨) .

أما الحيران الذي ارتبط بها فهو الأسد كونه يمثل الوجه القوي لها وغالباً ما تظهر واقفةً عليه (شكل ٤٧) .

وتعتبر الوركاء مدينة الإلهة إنانا ففيها معبدها (اي - آنا) الذي كان برقى إلى الألف الرابع قبل الميلاد ، ويوصف هناك أيضاً معبد أبيها الإله أن حيث أصبحت زوجته (وهي ليست ابنته وليست زوجته ويسمى (المعبد الأبيض) ، ويرجح أن تكون هناك في طبقات أخرى من الوركاء معابد مزدوجة لها ولزوجها (دموزي) .

وقد حفل التراث الأدبي والديني السومري بأناشيد وصلوات خاصة بالإلهة إنانا ، فضلاً عن أساطيرها الخاصة بها والتي سنفرد لها مبحثاً خاصاً . ولنتأمل في هذه القصيدة السومرية عن إنانا كاهنة السماء المقدسة :

«أقولُ مرحى ! لتلك المقدسة التي تظهر في السماء !

أقولُ مرحى ! لكاهنة السماء المقدسة !

أقولُ مرحى ! لإنانا ، سيدة السماء العظيمة

أيتها المشعل المقدس ، انت تملأين السماء بنورك !

أنت تجعلين النهار يتألق عند الفجر !

أقولُ مرحى لإنانا ، سيدة السماء العظيمة !

أيتها السيدة المرعبة في مجمع آلهة الآتونا ! المتوجه بقرنين عظيمين ،

أنت تملأين السماء والأرض بالنور

أقولُ مرحى ! لإنانا ابنة القمر البكر !

عظيمة ومهيبة ، ومشعة

أنتِ تسطعين بتألق في المساء

أنتِ تجعلين النهار يتألق عند الفجر

انتِ تحتلين موقعا في السماء مثل الشمس والقمر ،

أعاجيبك معروفة فوق وتحت ،

لعظمة كاهنة السماء المقدسة ،

لك يا إنانا ، أغني ، ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١١٧).

ونحن نرى أن (انانا) هي من أكثر الآلهة التي دارت حولها الأساطير سواء في سومر أو بابل أو غيرها من أساطير العالم القديم ، وقد اندمجت شخصيتها بالإلهة الأم وأصبحت رمزا للآلهة المؤنثة ، كما أن صفاتها الحربية أو الشريرة لم تكن واضحة في العصور السومرية (وكانت اختها ارشكيكال تأخذ هذا الدور) لكن هذه الصفات اتضحت مع ظهور الأساطير الأكديّة ثم البابليّة واخذت كامل شكلها الحربي مع الأساطير الآشورية . وكان رمز الإله آشور ، كما أشرنا ، قد استخدم منذ أيام السومريين (كما ظهر في مسلة النصر لنرام سي) ليشير إلى الآلهة بشكل عام وليتطابق مع رمز الإلهة (أنانا) ويشير لها .

(٣) إرشكيكال (إلهة العالم الأسفل)

تحدث الأساطير القديمة عن إرشكيكال كإلهة من آلهة العالم الأعلى لكن (كور) وهو كائن عتيق من كائنات ووحوش العالم الأسفل ، اختطف الإلهة إرشكيكال من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل ، حيث أصبحت هذه الإلهة ملكة هذا العالم الأسفل ، وهناك أساطير للركائن (كور) مع الآلهة ويبدو أنه قتل على يد أحد الآلهة (ننورتا) . وربما ، على الأكثر ، (أنانا) التي تسمى (قاتلة كور) . وكلمة (أرش) كلمة أكديّة تعني (سيدة أو ملكة) وتقابلها بالسومرية كلمة (نن) أو (كاشان) . ولكن اسم (إرشكيكال) إلهة

العالم العظيم هي التي سادت منذ العصور السومرية ، والمقصود بالعالم العظيم هو (العالم الأسفل) وهناك عدة ألقاب لهذه الإلهة هي (اللاتو ، أركالا ، لاز ، ماميتم) واغلب هذه الألقاب أكديّة . ولتأمل في كلمة (اللاتو) التي هي مصدر الالهة العربية التي سادت منذ عصر الانباط وهي (اللات) وهناك ألقاب سومرية لها مثل (ابزيكرا ، ننكردا) (انظر حنون ١٩٨٦ : ١٨٩).

ويبدو أن هناك كثير من الأساطير السومرية المفقودة حول حياة (أرشكيكال) وولادتها وأزواجها وأبنائها . . فعلى سبيل المثال انها عندما تذكر تحت لقب (ننكردا) كانت تعتبر إبنّة للاله إنكي وزوجة للاله (ننازو)،

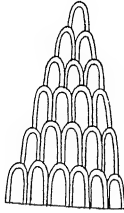
ولكننا في حقيقة الامر نعرف انها إبنّة (نانا) ، أما (ننازو) الذي هو زوج ارشكيكال عندما ادعت انانا في أسطورة نزولها إلى العالم الاسفل انها ذاهبة إلى أمته .

إن الزوج الثابت والحقيقي لها هو الإله (نركال) الذي (حسب الاساطير السومرية) ولد من إنليل وإنليل بديلاً عن الإله القمر ليعيش في العالم الاسفل .

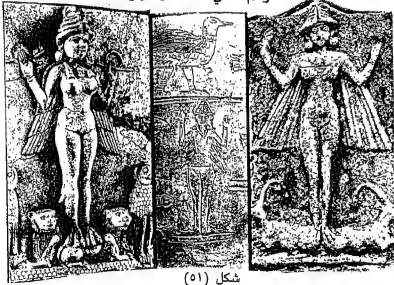
وكانت الإلهة أرشكيكال تُعبد اساساً في مدينة (كوثي) مع زوجها في معبده المسمى (إي - سلام).

وللإلهين أبناء يعدّون من آلهة العالم الاسفل ، وهم على الأكثر ثلاثة سنذكرهم لاحقاً (ننازو، ثثار ، خيندرساك) ولكنهما محاطان بمجموعة كبيرة من الآلهة الثانوية التي تقوم بواجباتها المقررة لها في العالم الاسفل . وتعتبر هذه الآلهة الثانوية بمثابة الآلهة المسيطرة على عالم كبير من الشياطين والجن التي تسكن العالم الأسفل سنذكرها لاحقاً ، إضافة إلى جيوش من أرواح الموتى المصنفة حسب درجات دفنها ومالها من أبناء على وجه الأرض .

والعالم الأسفل السومري ، ثم البابلي لاحقاً ، لم يمثل ما اصطلاح عليه بالبحيم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، بل هو عالم له مواصفاته الخاصة ، ولذلك لا نفضل مطلقاً إطلاق صفة الجحيم على هذا العالم لما يحمل الجحيم من مدولات أخرى . ولنلاحظ ان أسماء العالم الاسفل لا تدل على شيء اسمه الجحيم ومن هذه الأسماء السومرية حصراً هي (كي ماخ : الارض العظيمة) أو (كي كال : الأرض العظيمة) وأرلي ، وقد استعمل



شكل (٥٠)
رمز العالم الأسفل
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥١)
إلهة مجنحة واقفة على لبوتين
يعتقد أنهما أرشكيكال

مصطلح أبسو ليدل أحياناً على العالم السفلي والأرض الفسيحة (كي - كال دامال) وأرض اللاعودة (كرونوكي) والأرض الحصينة (كي باد) . . الخ

وتسكن الإلهة أرشكيكال في قصر عظيم يقع خلف الأسوار السبعة التي تحيط بالعالم الأسفل والتي لكل منها باب كبير ، وهذا القصر مشيد بحجر اللازورد ويسمى بالسومرية (قصر العدالة (إيكال كينا) ، ويبدو أن هناك قصوراً صغيرة أخرى للملوك والكهان والألوهة الأخرى ، أما جو العالم الأسفل فهو جو مليء بالغبار الذي يغطي كل شيء فيه وليس النار (كما هو حال الجحيم) ، فالغبار الترابي هو جو العالم الأسفل ، مثلما الماء جو الأبسو والهواء جو الأرض .

ويرمز للعالم الأسفل بجبل يبدو كأنه مجموعة من الجبال الصغيرة (شكل ٥٠) أما رمز الإله نركال فقد ظهر متأخراً على شكل كلب مجتّح وهو يحمل هراوة افعوانية مزدوجة (شكل ٣٣) .

ونرى أن الصورة الخاصة بالإلهة أرشكيكال هي تلك الصورة التي تظهر فيها امرأة مجنحة عارية تلبس تاجاً مقرناً وتمسك بيدها رمزي السلطة (العصا والحلقة) وتقف على لبوتين بجانبهما بومتين (دلالة الليل) وتحتهم رمز العالم الأسفل على شكل جبال صغيرة (شكل ٥١) .

(٤) نوموشدا : إله سومري ورد ذكره في قوائم أسماء الألوهة المكتشفة في فاراء ، وهو إله محلي لمدينة (كازالو) في أواسط بلاد بابل وابن إله القمر . ولم يعرف مجال عمله بعد (انظر اذوارد ١٩٨٧ : ١٣٦) .

الجيل الثالث من الشجرة الانليلية

١. ابناء اوتو (الشمس)

للالة السومري أوتو ستة أولاد هم : (انظر عبد الرحمن ١٩٧٥ : ٥٥)

١. بونينة BUNENE ويعتبر وزيراً له وسائق عربته .

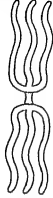
٢. خار HARA فيعتبر الهاً مسؤولاً عن الحيوانات البرية .

٣. سيسگال SISIGAL يمثل العاصفة .
٤. سموكان SUMUGAN يعتبر إله النبات والماشية والاختصاص والانتاج .
٥. نكيچينا NIG-GI-NAL ويسمى بالأكدية (كيتو KITTU) فيعد إبناً أو بنتاً لاله الشمس ويعبر عن الصدق والحق والعدالة .
٦. مامو MAMO وهي الابنة الوحيدة للإله الشمس وهي الالهة الخاصة بالأحلام .
وهناك وزراء وتابعون للإله الشمس هم
١. نكيسيسا (ميشارو) : وزير العدالة .
٢. إن - اورو : حاكم مدينته أو وزير المدينة .
٣. نكزيذا : وزير الحق .
٤. نن اوكل : سيد أو سيدة اليوم .
٥. باب نون - نا : أو الأمير العظيم (نديم إله الشمس) .
٦. ستة قضاة
٧. ستة عازفون
٨. ستة خدام
٩. ستة ضباط أو جنود
١٠. حاجبان ، تاجران ، حلاق (مدير بلاط الاله الشمس) .
ولم تردنا اساطير ثيوغونية تخص هؤلاء .
٢. أبناء إنانا (الزهرة)

رغم تقلب عواطف انانا وارتباطها بالكثير من الآلهة ، إلا أن الشائع عنها ارتباطها بالاله (دموزي) ، وهناك أربعة أبناء لإنانا يظن أن أغلبهم جاء من دموزي وهم :

١. أشخارا : وهي الالهة الزواج ورمزها العقرب (شكل ٥٢) ويبدو أن هذه الإلهة تستعيد رمز الالهة الام في عصر النيوليت في ثقافة سامراء ، والعقرب تدل على الخصب والأمومة لأنها عندما تنجب أبناءها من بيوضها داخل جسدها فانهم يخرجون عن تمزيق ظهرها وبعدها تموت العقرب الام ليحيا أبناؤها ، وكان هذا يشير في نظر النيوليثيين إلى أقصى درجات الخصب والأمومة .

وأشجاراً مختصة بتنفيذ العهود المقطوعة أمام الآلهة وتسمى بسيدة القضاء والأضاحي . ولها ما يشاركها في صفات عشتار الحربية ، وهذا يتفق مع الإله شار ، وكذلك رمز أشخار الذي كان العقرب إضافة إلى أنها توصف بأنها أم السبعة أولاد (أبناء العقرب) ويعتقد أن هؤلاء الأبناء السبعة هم العفاريت السبعة الشريرة أو عفاريت سبتو .



شكل (٥٣)

رمز الإله الإله أدد (إشكر) النصف الثاني من الألف الثالث ق م
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥٢)

رمز الإلهة اشخارا (الألف الثاني ق م)
رسم : علي محمد آل تاجر

٢ . شارا SHARA : وهو إله ينابيع السماء أي إله المطر

٢ . لولال LULAL ويسمى أيضاً لاتراك LATRAK

٣ . نهار (نئخار) وهو إله الرعد والعواصف وتسمى زوجته (نئجارا) إلهة الزبدة

والأجبان .

٤ . إشكر (ISHKAR) وهو الجذر السومري للاله (أدد) السامي الذي أخذ مركزاً مهماً في البابليين والاكديين ثم البابلي ، وهو إله المطر والعواصف والرياح وتحديد إله البرق ولذلك رمز له في حدود النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد بما يشبه الشوكة المزدوجة التي لكل من أطرافها ثلاثة إشارات برق ، أي ستة بروق (شكل ٥٣) وهذا يشير إلى أن الرمز السري لهذا الإله أصبح (٦) وهو أصغر رثم سري أو رمزي للآلهة السومرية .

وقد كان للاله (إشكر) زوجة نارية الطبيعة هي الالهة شالا (شلش) وتسمى (أم جرو) وتوصف بأنها إلهة النار .

وكان الإله (إشكر) يوصف بأنه (الفنل الفضلي القلب السماء) أي المسؤول عن غزارة الأمطار .

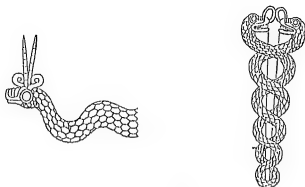
٣. أبناء أرشكيكال ونركال (الالهة العالم الأسفل)

هناك اختلاف كبير حول أبناء أرشكيكال الذين ربما أتو من عدة آلهة كما ذكرنا سابقاً، الآن الإله الرئيس هو نركال، وهناك من يعتبر أن كل شياطين العالم الأسفل وآلهته هم أبناء هذه الإلهة وزوجها أو أزواجها ، وقد استعطينا التثبيت تماماً من وجود ثلاثة آلهة رئيسيين لارشكيكال ونركال ، أما البقية فهم آلهة ثانويون ذوي طبيعة شيطانية أو عفاريت عادييين سنناقشهم فيما بعد ، اما ابناءؤهما فهم :

١ - ننازو (السيد الطبيب) : وقد ذكر سابقاً على أنه ابن إنليل وننليل ، ولكنه يوصف بكثرة على أنه ابن أرشكيكال (وربما وصف كزوج لها) وقد سمى جاكوبسن ننازو ونسله آلهة البساتين وهم جميعهم آلهة العالم السفلي . الإله ننازو إله مدينة (أينجر) وتقع بين لاراسا وأور . وكذلك كان إله مدينة أشنونا (تل أسمر) في منطقة ديالو . ومعني اسمه العارف بالماء أو سيد العارفين بالماء ، وهؤلاء هم الاطباء فهو إله الطب الذي يأتي بالمرتبة الثانية بعد الإله إنكي في هذا المجال . وتسمى زوجته (ننكيردا Ningirda) وهي إلهة نباتية من بنات آنكي . وقد انجبا الإله ننكشزيدا .

٢ - ننكشزيدا Ningishzida : ابن ننازو وننكيردا ، وإله مدينة كشباندنا ، ويوصف بأنه قوة العالم الآخر أو طاقة العالم الأسفل (طاقة ما تحت الأرض) حيث يسمى به (حامل العرش أو التاج) . ويمتلك شجرة الهية تسمى (الشجرة أو التاج) . ويمتلك شجرة الهية تسمى (الشجرة المنتجة العظمى) ، وربما كان هذا الإله (لفيفة جذور الشجرة) . لقد كان في الاصل يجسد على شكل أفعى ، ولذلك فرن رمزه يتضمن الأفعى والشجرة ويظهر على شكل إفعوانين ملتفين على غصن شجرة ، وقد كان هذا الشكل جذر الرمز الطبي اليوناني للإله اسكلابيوس زوجة إله الطب وربما كان ننكشزيدا إله الطب بسبب كونه ابن (ننازو) إله الطب ، وعندما كان ننكشزيدا يجسد على شكل إنسان ، فهناك ثلاثة رؤوس تظهر من كنفية اثنان على شكل أفعى والآخر على شكل إنسان وكان يركب التنين . (شكل ٥٤ ، ٥٥)

وللإله نكشزيدا وزوجة اسمها نن - أزمو (Ninazimua) وتسمى (سيدة الغصن
النامي المثمر) ومن زواجهما جاء ابنهما الإله دامو وهناك من يجعل زوجته كشتن أنا أخت
الإله دموزي.



شكل (٥٤)

رمز الإله نكشزيدا ١. القرن ٢٢ ق.م. ٢. القرن ١٢ ق.م.

رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥٥)

أمير لكش جوديا يظهر بين آلهة متوجة من بينها نكشزيدا وإله آخر ثعله دموزي

٣- دامو Damu : ابن نكشزيدا ونن - أزموا . وهو إله مدينة كرسو على الفرات (وهي غير كرسو لكش) قرب أور ، ويبدو أنه يمثل بشكل خاص (إله النسخ الصاعد في النباتات اثناء الربيع) ومعنى اسمه (الطفل) وله خصائص تتناسب مع التقاليد النسائية في النواح والبحث عن الإله المفقود الذي يبقى عليلًا . أما شجرته فهي السدر ، وتنتهي طوقسه بالعثور عليه خارج النهر . وهناك شبه كبير بين أساطيره وأساطير الإله دموزي . وقد يذكر هذا الإله كإله للشفاء بسبب ذكر أمه إلهة الشفاء (ننسينا) أو (ننسي أنا) التي كانت تملك نواميس الطب (مي) .

وكانت توصف بأنها (سيدة إيسن) وهذا معنى اسمها وقرينها الإله (باييل سانج) وابنه (دامو) . وقد ارتقت الى مصاف (إنانا) وعبدت كإبنة (آن) واختلطت مع صفات الإلهة (بابا) كطبية لذوي الرؤوس السود .

٤- خنتوساك : وهو إله ذو شكل تينيني ، اطلق عليه الاكديون والبابليون اسم (إيشوم) ، ويعتبر ابن ومستشار الإله نركال وهو إله شرير وتسمى زوجته (نمكك) ، ويبدو أن شكله الارضي يمثل نهر دجلة ، مثلما كان إله آخر اسمه (شبالا) يجسد نهر الفرات (انظر 1938:13 Tallqvist) .

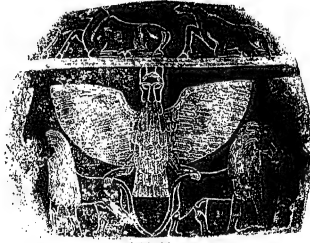
٥- غمتار : ومعنى اسمه (مقرر المصير) ويوصف بأنه ابن أرشكيكال ، وهو صاحب الستين مرض التي يطلقها على من يراد قتله أو اصابته بالمرض . فهو (إله الأمراض) وهو وزير أرشكيكال ، وكان يوصف بأنه يحمل سيفاً مسلطاً على البشر ، وقد وصف أحياناً أنه ابن الإله إنليل .

ولنمتار زوجة اسمها (خشبيشاكل) وكان يرد اسمها أحياناً بصيغة (غمتارو) وهي الصيغة المؤنثة لاسم غمتار وتوصف بأن لها رأس حيوان مركب يدعى (كوريو) ويدها ورجلاها تشبه أيدي وأرجل البشر .

٦- إمدوكد (زو) وهي إلهة الريح القاسية ، وكانت تعبد خوفاً منها ويرمز لها بنسر برأس أسد فارد الجناحين تركب على أيلين ذوي قرون مشجرة . ويظهرها بهذا الشكل نصب سومري مبكر ربما كان له علاقة بالخصب ايضاً (شكل ٥٦) وكان يطلق عليه ايضاً (زو) الذي اشتهر اكثر في العصر الاكدي ثم البابلي القديم وظهرت اسطورة نجرسو الذي

يقهر)زو)أو(أنزو) .

٧- إِنْغِشْرَا : ويعني اسمه بالسومرية سيد كل القوى الإلهية (سيد النوامس) ويعتبر مع زوجته (ننشرا) أسلاف الإله (آن) والإله (إنليل) ، ويعتقد أن آن أخذ منه السلطات وأصبح سيد الكون فتواري إِنْغِشْرَا وزوجته إلى العالم الأسفل . ولهذا الإله سبعة أولاد .



شكل (٥٦)

الالهة امدوكد (الهة الريح القاسية)

الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية

يتكوّن عالم الأرواح السومرية (من غير الآلهة) من الشياطين والجن والكائنات الخرافية التي تسكن العوالم السفلى والعليا والأرضية حسب طبيعتها وهي كما يلي :

١. **الشياطين** : وهم سكنة العالم الأسفل ويصنفون كما يلي :

أ- الشياطين المنحدرون من أصل سماوي وهم (ذرية الاله أن وانليل)

ب- الشياطين المنحدرون من آلهة العالم الأسفل وهم أبناء كور وأبناء أنمي شرّاً (السيئو) بعضهم صالح وبعضهم شرير .

ج- الشياطين المنحدرون من أصل بشري وهم أرواح أو اشباح الموتى واسمهم بالسومرية (Gidim) وهي مركبة من مقطعين وتعني مخلوقات الظلام ، وقد حذف الحرف الأول منها فأصبحت فيما بعد (Idim) أو (ايدم Edim)

د- الشياطين المركبة من تزاوج البشر والشياطين مثل ليليث وهي الشيطانة التي تطارد الرجال . وتسمى بالسومرية (لوليلا) التي معنى اسمها رجل الريح ومؤنثة (كسيكيل ليللا) ويعني فتاة الريح وهو (ليلو) و (ليلتو) التي هي ليليث باللغة العبرية ، وتسمى أيضاً أردات ليلي وتشير إلى الليل .

هـ- كبار شياطين العالم الأسفل وهم :

١- خمط تبال وهو ملاح العالم الاسفل

٢ . حجاب العالم الأسفل السبعة واشهرهم (نيدو) الذي له رأس اسد ويدي رجلي طائر .

٣ . الاوتوكو الاشرار السبعة .

٤ . شلاك : له جسم أسد منتصب على قدميه الخلفيتين .

٥ . مو - لمنو : له رأسان أحدهما رأس أسد .

٦ . لوكال - سولا (بيتو ، آتو) : معنى اسمه ملك الذهب

٧ . أنغل : ورد في قصة كلكامش والعالم الأسفل السومرية . وله زوجة .

٨. هواوا: حارس الأرض (أصله حوري).

هـ. صغار شياطين العالم الأسفل وهو جيش من الشياطين يطلق عليهم عموماً إسم الـ (كاللا) وهناك اختصاصات عند بعضهم لا مجال لذكرها الآن. وكان عفريت الكاللا السومري لا يوصف بالشردائماً لأن أحد ألقابه (أجليما) يذكر ضمن آلهة مدينة لكش.

و. الشياطين السبعة الشريرة: وهم أبناء الإله (آن) أنجبهم من الأرض (أرستو) أكديا. وتحذث عنهم قصيدة سومرية بعنوان (لوكال بندا وحوروم) وتنسبهم إلى أبيهم (آن) وإلى أمهم (أوراش) إلهة الأرض. وهم الذي يحاول أنكي وإله النار جبيل معرفة أصلهم (راجع أسطورةت جبيل) ويعتقد أنهم المقصودون في سلسلة التعميذات المعروفة باسم (عفاريت الأوتوكو الشريرة) واسمها السومري (أودوج) التي تستعمل للسحر الأسود.

أبناء اشخارا: وهم الأبناء السبعة للإلهة أشخارا التي توصف بالعقرب ، ، ولا نستطيع الجزم بكونهم أختار أم أشرار .

ز. دمّه: ن هي عفريته حمى الأطفال والمرضى الرضع وتوصف بأنها إينة آن وتقابلها بالأكديّة عفريّة لامشتو . وتظهر كامرأة عارية الصدر ترضع من ثديها قلباً وخنزيراً وتحمل في يديها مشطاً ومغزلاً مما يشير إلى أنوثتها .

ح. أساج: عفريت سومري معناه (الذي يضرب بالذراع) وتحول اسمه إلى (أساكو) بالأكديّة . وكان بالأصل عفريت الأويشة والأمراض ثم أصبح عفريت - أعداء سومر - القاطن في الجبال . وكانت إنانا تشن تحملات ضده في الجبال (انظر أنانا وإيبينخ) وكذلك (نينورتا) . وكان (أساكو) يأخذ شكل تابو للإله والملوك ويبعث الآلام في جسم كل من يتجرأ على تدنيس قدسيته من البشر .

ط. بازوزو : عفريت له أربعة اجنحة ووجه ممزق وقرون طويلة ومخالف أسد وطاقر جارح وشوكة عقرب . وله تعاويذ مضاده .

ي. سمائه: ذكر هذا العفريت في التعاويذ السومرية .



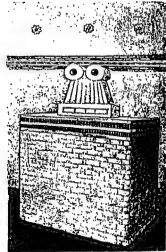
٢. شيطان سومري



١. هواوا (خميابا)
شيطان غابة الأرز



٣. شيطان سومري



٣. العين الحاسدة
مذبح في تل براك



٤. رمز الشياطين
السبعة (سييتو)



رمز العين
الحاسدة

شكل (٥٧)
شياطين سومرية



١. لاما الأنثى (لاماسو)



٣. نيراج (نيراه) الثعبان
الحامي للبشر والحدود



٢. أدو الذكر : شيدو

شكل (٥٨)
الجن الطيبة (الآلهة الحامية)

ك. العين الشريرة أو الحاسدة والتي عبدت في تل براك كإلهة للمعين في معبد العين

٢. الجن الطيبة

ولا يفوتنا هنا ذكر سريع للعفاريت او الجن الصالحة شكل (٥٨) وهي الآلهة الحامية للبشر والمدن والحدود :

أ. لاما : يقابلها بالأكديّة (لاماسو) وهي عفرته صالحة تعمل لصالح الإنسان وتستعمل لحمايته من الأذى وهناك الجنّة الحامية (عشتارو) .

ب. (شيدو) : وهو عفرته مجنح . ظهر مع لاما في صيغته الآشورية لاحقاً على شكل (الإنسان الثور المجنح) لحراسة المدن الآشورية وقصورها من الأرواح الشريرة . وهناك الجنّي الحامي (إيلو) . ويعتبر الإله نيراج (نيراه) الذي هو ثعبان الإله ستران حامي حياة البشر ، وكان يوضع على أحجار الحدود .

٣. الكائنات الخرافية

وهي كائنات لا نستطيع تمييزها في حقول الآلهة أو الجن ، بل هي مسوخٌ مركبة من أعضاء أجسام مختلفة وكان بعضها يرمز إلى إله معين وفينا يلي ذكر وأهم هذه الكائنات الخرافية السومرية (انظر اذوارد ١٩٨٧ : ١٢١) .

١. أ. الإنسان العقرب (جيرو تيلولو) : وهو المصطلح السومري الذي انتقل للأكديّة نفسه والمقصود به كائن اعلاه انسان وأسفله عقرب من الذيل التي تحمل ابرة اللدغ . ويحرس هذا الانسان (امراة او رجلا) جبل (ماشو) الاسطوري وقد عثر على اقدم صور له في القبور الملكية في اور (شكل)

٢. الإنسان السمكة (كولولو) : وهو كائن اعلاه انسان وأسفله سمكة وله ذيل على شكل حراشف السمكة ، وهو من الكائنات المائية التي تخضع لحكم انكي . وشاع لبسه عند كهنة الاله (إيا) في العصر الآشوري .

٣. الإنسان الثور : وهو عبارة عن رجل عار له اظلاف وذيل ثور وكان يصور كثيراً على مشاهد الاختام الاسطوانية منذ فجر السلاسلات . ويرمز الى آلهة الخصب عامة ومنهم

دموزي . ويشير كذلك إلى إنكيديو .

٤ . الإنسان الكلب المجنح : وهو شعار الإلهة غولا الهة الطب

٥ . الإنسان الطير : ويطلقنا كثيراً على فنون النحت منذ أقدم العصور حتى العصر الأكدي ولكن معناه غير معروف .

٦ . الإنسان القارب : وهو كائن مركب من قارب وجشم بشري ويبدو أن وكانهما جسم واحد وهو كائن معروف على مشاهد الاختتام الأسطوانية في فجر عصر السلالات السومرية والعصر الأكدي . وقد يستبدل أحياناً الجسم البشري بجسم التنين .

٧ . الماعز السمكة (سوخور - مش) وهو كائن أعلاه ويده على شكل ماعز وأسفله على شكل سمكة مع ذيلها . وهو من الكائنات الخاضعة لحكم الإله إنكي وصار رمزه بعد ذلك ، ويحمل إنكي لقب (ماعز جبال الأبرو) وصار فيما بعد رمزاً للإله نابو) .

٨ . موشخوشو : وأصل اسمه السومري (موش - خوش) وتعني التنين الأحمر الناري وهو كائن له رأس أفعى بقرنين وجسم مغطى بحراشف أفعى وقائمتان أماميتان على شكل مخالب أسد وقائمتان خلفيتان على شكل مخالب نسر ، وذيل عقرب ، وهو من الكائنات التي أوجدتها تيامت ، وصار فيما بعد شعار الإله مردوخ بعد أن تغلب عليه .



٢. الإنسان
السمة (كولولو)



١. الإنسان العقرب
جبروتب لولو



٣. الإنسان الثور
(كولولو)



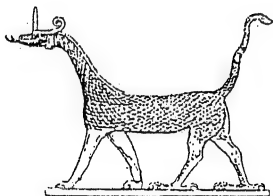
شكل (٥٩)
الكائنات الخرافية السومرية



٢. الإنسان الطير



١. الإنسان الكلب
(كولا)



٨. التنين (موش. خوش)
رأس أفعى/ أقدام أمامية للأسد أقدام
خلفية للنسر/ ذيل عقرب



٧. الماعز السمكة
(سوخورمش)

الكائنات الخرافية	الجن (العفاريت الطيبة)	شياطين العالم الأسفل (العفاريت الشريرة)
١. الإنسان العقرب (جروتيلولو) ٢. الإنسان السمكة (كوتولو) ٣. الإنسان الثور (كوتولو) ٤. الإنسان الكلب المجنح ٥. الإنسان الطير ٦. الإنسان القارب ٧. الماء السمكة (سوخورمش) ٨. تنين الأفعى العقرب (موشخوشو)	١. أبناء آن الطيبون ٢. الآلهة الحامية ١. الأنثوية ١. لاما (لاماسو) ٢. عشتارو ب. الذكورية ١. أد (شيدو) ٢. إيلو ٣. نيراح (نيراه)	١. أبناء الآلهة العلويين ١. أبناء آن وأورش: أودوج ب. أبناء إنليل ٢. أبناء الآلهة السفليين أ. أبناء كور ب. أبناء إنمي شر (السيبتو) ٣. كبار الشياطين أ. ملامح العالم الأسفل: خممد تبال ب. حجاب العالم الأسفل: ثيدو ج. حراس بوابات العالم الأسفل د. شياطين الأمراض (دمه)، ثوليل، كيسكيل ثيل، أساج، بزووز، سمانه) ٤. صفار الشياطين: الكالا ٥. أرواح الموتى: كدم

جدول (٧)

تصنيف الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية

٢. سلاله إنكي

الشجرة الإنكية الأرضية المائية

إذا كانت الشجرة الإنليلية تغطي فضاء الأرض وتتغلغل في أسفله ، وقد انتهينا من تفاصيلها ، فإن سلاله إنكي أو شجرته تغطي الأرض نفسها وتتغلغل ماؤها فيها ، وهي سبب ازدهار الحياة ونموها وتطورها ، وهي ليست شجرة معقدة مثل الشجرة الإنليلية ، بل هي شجرة بسيطة لها أبٌ خالق واحد اسمه إنكي الذي تتولد عنه آلهة عديدة .

إن اتحاد الهواء والنار في سلاله إنليل اتحاد ذكوري ذكوري كان قاعدةً للنسل بين إنليل وإنليل نتج عنه هذا الحشد الهائل من الآلهة القوية ، التي أحكمت سيطرتها على الكون والفضاء والعالم الأسفل والأمراض والقوانين والانواء والفصول .

أما اتحاد إنكي (إله الماء في الأساس) مع ننكي (الهة الأرض والتراب) فقد كان اتحاداً ذكورياً أنثوياً نتج عنه عدد هائل من الآلهة الحية الخضراء الطيبة التي تمثل قطاعات النبات والحيوان والانسان واسباب العمران والحضارة .

إن أهم أسطورة ثيوغونية (ولادة الآلهة) تخص الإله إنكي هي أسطورة مع الآلهة ننخرساج التي تمثل الأرض في دلون ، حيث ينتج عنها ولادة سلسلة من الآلهة التي سيكون لها شأن في الشجرة الإنكية .



شكل (٦٠)

الإله إنكي جالس والمياه تتدفق من كتفيه ، والسماك يصعد عليها

أسطورة إنكي ونخرساج في دلون

يظهر إله الماء والحكمة في الأساطير السومرية (إنكي) الها متوثباً لعوياً في صباه، على قدر ما يظهر من ذكاء وحكمة، فهو إله الماء الذي سيكون (رب الطب الاعلى) لأن الطب هو (معرفة الماء -أسو) أو (النظر في الماء) كما يدل اسم الطبيب (أسو) على العارف بالماء وهذا متأث من ارتباط الطب بالحياة ، فالماء هو عنصر الحياة الأول وهو أقدم مادة كانت سائدة قبل ظهور تفاصيل الكون، ومنه خلق الانسان .

الإله إنكي سليل أبسو (الاله المائي العتيق الذي لا نعرف عنه في اللاهوت والمثولوجيا السومرية أشياء كثيرة)، وتبدو لنا رفيقته نخرساج ذات أصل جبلي الالهة الام ربة الأرض دائمة الصلة به، وتحكي لنا اسطورة إنكي ونخرساج في دلون عمليات ثيوغونية متلاحقة حصلت في وقت مبكر من الخليقة والتكوين، حيث ما زالت الآلهة تعيش في الفردوس، وما زالت تتعثر بأخطائها أو خطاياها، وما زال الانسان غير مخلوق .

تبدأ الاسطورة بوصف (دلون) واستقرار الاله انكي والالهة ننخرساج فيها وكيف ان هذه الأرض لم يكن فيها الشر والقيح والشيخوخة والمرض وكان كل شيء فيها موفراً الأاميا العذبة اي المياه النهرية لتخصب أرضها ، فتطلب الآلهة من إنكي توفير هذا الماء . . . ويقوم إنكي بدوره بالطلب من أوتو (اله الشمس) مساعدته لأن يخرج لتلك الأرض ماءً عذباً، فيفعل ذلك وتنفجر الينابيع والآبار المليئة بالمياه العذبة وتستصلح أرض دلون .

ثم يقوم الاله انكي بفتح مجاري المياه ويملؤها بماء قضيبه :

إنكي الحاذق أمام نيتنو (أم البلاد)

ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء

وبماء منيه الغزير، أغرق منابت القصب ،

ممزقاً بقضيبه الكساء الذي كان يستر حضن الأرض!

ثم اعلن بعد ذلك : لا أحد غيري

يجتاز هذا الهور !

لا أحد غيري يجتاز الهور ، قال انكي مقسماً باسم آن

ومن أجل التي اضطجعت في الهور

وتمدت في الهور

من أجل دامكال - نونا خصص إنكي منيه

وسكبه في رحم ننخرساج ، ،

(الشواف ١٩٩٥ : ٢٩)

وبعد تسعة أيام تعادل تسعة شهور ، ولدت ننخرساج بسهولة ودون ألم (كالزيت الناعم) الإلهة نnsار (سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل) . وعندما تكبر نnsار ويراهها أبوها (إنكي) تنتزه على طول الهور يعجب بها ويضاجعها ، ومن هنا تبدأ (خطايا انكي) حيث يتزوج ابنته وينجب منها (نمو) (سيدة النباتات ذات الألياف) وتكرر الحادثة مع حفيدته الحرام لينجب منها (أُتو) Uttu إلهة النسيج ، وهنا تتدخل الإلهة ننخرساج زوجته وتحذر أُتو وتقول لها بأن لا تستجيب لإغراءات أنكي إذا لم يجلب لها الفسكهة هدية ، فيجلبها لها وتبدو سلسلة الآلهة المنجبة من إنكي (النبات الأخضر ، النبات اللينفي ، الاصباغ ، النسيج) سلسلة منطقية لتحولات الكثير من النباتات بعامة من الخضراء حيث تبقى الألياف وتعزل الاصباغ ويصنع بعد ذلك من الألياف النسيج وكل ذلك بفاعلية إنكي الذي هو الماء .

وأخيراً يضاجع (إنكي) الإلهة (أُتو) فينجب منها أو من منيه (الذي تجمعها ننخرساج من حضن أُتو ، الذي تنشره على الأرض) تنجب ثمانية أنواع من النباتات التي يقرر إنكي أن يعطيها أسماء فيقوم وزيره (ايسمود) بقطع جزء من كل نبتة ، وعندما يتذوقها انكي يطلق على كل واحدة اسماً ، ومنح الاسم هنا مباركة للنبات أو خلق جديد له أي منحه صفات خاصة به ، وهذه النباتات هي بمثابة آلهة نباتية محرمة ، وسنقدم تحليلاً مفصلاً لها (في الجدول) .

وهكذا كان هذا العمل الطائش لإنكي عندما أكل من هذه النباتات المحرمة مدعاةً لغضب ننخرساج ومغادرتها المدنية بعد أن حوكت عنه نظرها المحيي وأصبح انكي مهتداً بالموت ، وعند ذلك حزن مجمع الآلهة ، لكن الثعلب ذهب الى إنليل وطلب منه مكافأة مقابل ان يستطيع اقناع ننخرساج بالعودة ، فوعده إنليل ان يزرع له شجرة (كشكانو) وهي شجرة انكي المقدسة وان يصبح مشهوراً .

وينجح الثعلب باقناع ننخرساج وعودتها إلى إنكي الذي أصبح مريضاً بثمانية أمراض بسبب أكله من النباتات السابقة المحرمة السامة وتبدأ بفصحه وتسأله ما الذي يؤلمه فيعد لها ثماني مناطق هي (الرأس، والشعر، الأنف، الفم، الحنجرة، الذراع، الضلع، المتون) فتقوم الآلهة ننخرساج بخلق ثماني آلهة لكل مرض في الاعضاء السابقة (انظر جدول) وهكذا يشفى الآلهة إنكي من أمراضه ثم يقوم بتقرير مصير هذه الآلهة الثمانية لمهام أخرى بالإضافة إلى دورها الطبي أو العلاجي . .

بعد أن أعدنا ترتيب النباتات المحرمة والاعضاء المصابة والآلهة المشافية والمصير التي آلت إليه كما في جدول () يمكننا استنتاج الحقائق التالية :

النباتات المحرمة السامة التي أكلها إنكي	أعضاء إنكي التي أصيبت بالمرض بعد أكلها	الآلهة المشافية التي خلقتها ننخرساج لشفاء تلك الأمراض	المصير الذي قرره إنكي للآلهة المشافية بعد شفائه
١ . نبتة المشجرة	الرأس	آبا - أو (آبو)	ملك أو إله النباتات
٢ . النبتة الحلوة (العسل)	الشعر/ الفك/ الورك	ننسيكلا ، نتول	إلهة (ماكان) عَمان والإلهة الحامية للبلون
٣ . نبتة الطريق	الأنف/ السن	ننكييري ، ننسوتو	زوجة ننازو
٤ . نبتة الماء (أنومون)	الفم	ننكاسي	إلهة الشراب (الإلهة التي تشبع شهوة القلب)
٥ . نبتة الشوك	الحنجرة	نازي	زوجة نندارا
٦ . نبتة الكبر (ذات الأزرار)	الذراع	أزيموا	زوجة ننكشسزيدا
٧ . نبتة الـ	الضلع	ننتي (الإلهة التي تحمي، حواء)	إلهة الشهور
٨ . نبتة القاسيا (أكاسيا) الأمخارو	المتون	إنشا أيج ، إينشاج (إنزراك)	إله دلون

جدول (٨) ثيوغونيا إنكي وننخرساج في دلون

ملاحظة : بعض الاختلافات في الاسماء ، والاعضاء متأتية من اختلافات في الترجمة.

١) هناك إيقاع مشترك بين كل مفردة من مفردات الحقول الأربعة للجدول فالمفردة الاولى وهي أكل إنكي للنبته المتشجرة وتشير هذه النبته إلى الرأس لأنه مريض في رأسه حيث أن الشجر يبدو لنا مثل رأس هذه النبتة التي يمكن ان تكون نخلة أو صنوبرية أو غير ذلك ، ولذلك نجد أن الاله المشافي هو إله ذكر يمثل رأس أو أعلى النبات والكاثن فلذلك أصبح مصيره «إله النباتات وملكها» . إن الإله (أبا - أو أو Aba - au) ويسمى (أبو) هو أقدم إله يعني بالنباتات والحشائش والخضرة شكل (٦١) ويرى الباحثون أن الاله أبو يرتبط بالحياة النباتية والقطعان والماشية ويشير إلى خصب الحقول وتكاثر الناس والماشية عن طريق (الزواج المقدس) مع الالهة وهذا الزواج يحصل عادة في الربيع ويشكل الجزء الرئيس من احتفالات رأس السنة السومرية .

وقد ذهب باحثون إلى مدى ابعد حيث اعتبروه الشكل الآخر أو الاسم الآخر لدموزي إله الحظائر والرعي . أو أن دموزي له شكلان نباتي هو أبو وحيواني وهو دموزي إله الحظائر ، ويمكن أن يكون هذا حلاً معقولاً ولكننا نصطادم بتلك النظرية التماسكة التي يقدمها جاكوبسن في كتابه (نحو تصور لدموز ومدخل لتاريخ وتراث وادي الرافدين) (انظر 1970 Jacobsen) حين يرى أن دموزي يمثل الطاقة أو القوة الكامنة في كل أشكال الحياة ويرى ان شكله النباتي يتمثل في الاله (دموزي أشموغال آتا) وهو الاله المحفز على تلقیح النخيل والنبات بعمامة .

المهم في الأمر ان الاله (أبو) حظي باحترام شديد وتقديس خاص في مملكة أشنونا (في منطقة دياللي) حيث عثر في تل اسمر على مجموعة كبيرة من التماثيل بينها تماثلان كبيران للإلهين (أبو وزوجته التي لا نعرف اسمها) ولكن مما يثير الانتباه ان قاعدة تماثل الزوجة تظهر قدماً لاله آخر يعتقد انه ابنهما وبذلك يشكل الاله أبو وزوجته وابنه ثالثاً الهياً فريداً لا بد ان يأتي الوقت لإظهار النصوص الخاصة بأدوارهم في المناطق الشمالية السومرية . ويرجع تاريخ هذه التماثيل الى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد .

٢) ان النبتة الثانية هي النبتة الحلوة (نبتة العسل) التي يبدو أنها أثرت مرضياً على الفك (لا أرجح الشعر ولا الورك) فيبدو أن الإلهة التي خلقت من أجلها هي ننسيكلا التي ترد على أنها إلهة مكان وإلهة دلون ، وفكرة أنها إلهة حامية لمدينة او مكان لا يعفيها من وظيفة نوعية أخرى ما زلنا نجهلها الى هذا الوقت ، رغم أن هناك ما يوحي بارتباط هذه



شكل (٦١)
الإله أبو وزوجته

الإلهة بالماء العذب لأنها هي التي طلبت منه أن يخرج لها الماء العذب (ماء اللج) من الأعماق ويغمر أرض دلمون ففعل ذلك بمساعدة الإله (أوتو) ويرى جيوفري بيبي أن وجود ينابيع عذبة وخاصة قرب معبد باربار في دلمون حيث تنبعث المياه العذبة للبحر السفلي للعالم إلى السطح ولربما كان هذا النبع بالتحديد هو النبع الذي جعله إنكي (إله اللج) يتدفق عالياً في دلمون، حسب وصية الإلهة ننسكلا ، ولربما كان الينبوع هو سبب وجود المعبد هنا على الإطلاق ، ولربما كان بئراً للدعوات (انظر بيبي ١٩٨ : ٣٥٢) .

٣) أما النبتة الثالثة نبتة الطريق فقد أدت إلى مرض في الأنف أو السن ويبدو أن أحد الإلهتين (ننكير) أو (ننسوتو) قد خصصت لعلاج هذا المرض وهي التي أصبحت فيما بعد زوجة لاله الطب ننازو وسميت (ننغيردا)

٤) نبتة الماء (أنومون) أمرضت الفم ، وخلقت الإلهة (ننكاسي) وهي إلهة الكأس ، أي إلهة الخمر والشراب التي تشبع شهوة القلب لتعالج مرض الفم ، أو حاجة الفم إلى الشراب والخمرة .

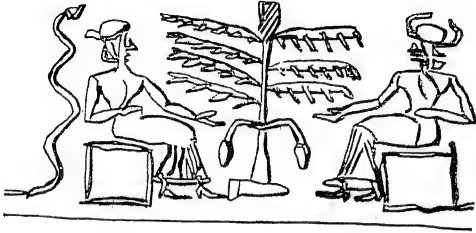
٥) نبتة الشوك أمرضت الخنجرية التي خلقت لها الإلهة نازي التي يعتقد أنها الإلهة ناشة إلهة السمك ومفسرة الأحلام لأن زوجها هو الإله نندارارا .

٦) النبتة ذات الأزرار (الكبر) التي أمرضت الذراع وخلقت لها الإله ، نن اوزموا ، زوجة الإله ننجشزيدا الذي نظن أن له أهمية كبيرة جداً وقديمة جداً في الميثولوجيا السومرية ، ويرتبط اسمه بالاله دموزي وهو حامل التاج وسيد الشجرة الطيبة ويمثله ثعبانان ملتفان على هذه الشجرة . وهذه الإلهة هي أم الإله (دامو) الطفل الذي يصعد كنسغ في سيقان النباتات وله أساطير تشبه أساطير دموزي .

وربما كنت هذه الإلهة (نن - اوزموا) هي مصدر الأفعى في القصة التوراتية ، لأنها زوجة ثعبان هو ننكشزيدا .

٧) النبتة السابعة ما زالت مجهولة الاسم ولكنها تسبب مرضاً للضلع واسمها (ننتي) ، وبينى صموئيل نوح كيرمر (وقبله الباحث المسماري الشهير الأب شاييل) فرضية مهمة حول هذه القضية ، يرى أن الكلمة السومرية (تي Ti) تعني متعنين هما (الضلع) و(الحياة أو يحيي) وبذلك يكون معني (ننتي) سيدة الضلع أو السيدة التي تحيي (حواء) ،

ولأن هذا كله يحصل في الجنة السومرية (دلمون) فيعقد كيرير صلة بين حواء وخلقتها من الضلع في الرواية التوراتية وبين ما يسميه بهذا التطابق عن طريق التورية والتلاعب بالألفاظ (انظر كيرير ب. ت : ٢٤٣).



شكل (٦٢)

عناصر الفردوس التوراتي في رقيم سومري

ونحن نميل لهذه الفكرة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن هناك حادثة تشكل خلفية آدم وحواء التوراتية، وهي تناول الثمر أو لنبات المحرم. وهو ما فعله إنكي وما فعله آدم وحواء.

أما مصير الالهة ننتي أو (حواد) فإنها أصبحت الهة للشهور وقد يبدو الأمر محيراً ولكننا لو أحصينا عدد الأضلاع في كل جهة من جهات القفص الصدري لوجدناه (١٢) وهو عدد الشهور في السنة الواحدة.

٨) أما نبتة القاسيا (الأكاسيا) وتسمى أيضاً الأمخارو وتصيب أكتاف أو متون إنكي

فيمخلق لمرضها الإله إنشاج (إنزك) الذي هو إله دلون وربما كان هو زوج ننسكيلا وله معابد كثيرة في دلون .

وإنه لما يثير في هذه الأسطورة تسلسلها ومنطقها الخفي، فأول إله ذكر وفي مملكة سومرية شمالية وآخرها إله ذكر وفي مملكة سومرية جنوبية وكان جسد إنكي من رأسه لغاية أكتافه موزع على أرض سومر . . وخلقت منه ولأجله هذه الآلهة .

ولا شك أن هذه الأسطورة تذكر بالكثير مما في قصة التكوين التوراتية لو أمعنا في المقارنات دون أن نتخذ من التطابق الحرفي سبيلاً، فهناك رموز في القصتين تتقافز هنا وهناك ويتخذ كل منهما له طريقة في الظهور والمعالجة .



وبالرغم من أننا نعتبر الأسطورة السابقة أهم أسطورة ثيوغونية إنكية، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود أساطير أخرى (ما زالت غير مكتشفة) توضح كيفية ولادة أبناء إنكي الآخرين . ولكننا عموماً بسبب ذلك سنقسم أبناء إنكي إلى ثمانية أصناف أو أنواع وهي كما يلي :

١ . **الالهان عديا الجنس (للخشان) :** اللذان بعث بهما إلى العالم الأسفل لإنقاذ الإلهة إنانا عندما قتلتهما هناك اختها ارشكيكال وهما (كوركالالا، كولاتور) الالهان الوحيدان اللذان خلقتهما إنكي من وسخ أظافره وبعث بهما إلى العالم الأسفل، إذ ليس هناك آلهة مخصصة للعالم الأسفل من أبناء إنكي حصراً ، ربما ظهرت منه بنات تزوجن من آلهة العالم الأسفل، وهذا حصل تماماً، لكن إنكي لا يملك نسلًا اختص بأمر من أمور العالم الأسفل كأساس لوظيفته (وما حصل مع دموزي وكشتن أنا امرأته ضرورات أخرى سنأتي عليهما) .

وعندما ينزل كوركالالا وكولاتور فإنهما يحملان ماء الحياة . وطعام الحياة وهو من صنع إنكي ليعيدا به الحياة للإلهة إنانا .

٢ . **آلهة المياه :** وهي الآلهة التي اختصت بالمياه بكل أنواعها ولعل أهمها هو الإله دوزي - أسور .

١ . دموزي - أبسو وهو الابن البار لمياه الاعماق أو لنقل انه الابن المرتفع من مياه الاعماق والذي يمثل المياه العذبة التي تسقي النباتات والحيوانات ، وهذا الإله هو له مدينة كثيرشا في منطقة لكش .

ونحن نرى ان هذا الاله ليس هو الاله دموزي الذي دارت حوله الاساطير أو أنه أحد أشكاله المرتبطة حصراً بالمياه، وهناك من يرى أنه القوة الكامنة وراء الخصب والحياة المتجددة في المستنقعات . ولأن الرحم يمثل الاعماق التي يرقد في مياهها الجنين، فإن هذا الاله كان يعبر عنه أحيانا كإله محرك للأجنة في الأرحام . أي إله مياه الرحم العميقة .

ويرى اذفارد بأن دموزي أبسو هو « إلهة من آلهة محيط مدينة لكش والهة مدينة كثيرشا . وهذه الإلهة التي اتضح تأنيثها لا علاقة لها البتة مع دموزي، على عكس ما كان يعتقد سابقاً، وكما يشير الاسم فهي ترتبط بإله المحيطات العذبة (أبسو) وقد ورد اسمها في هذا السياق في قوائم اسماء الآلهة وفقدت أهميتها بعد العصر البابلي القديم لتضال دور مدينة لكش السياسي ، ، (اذفارد ١٩٨٧ : ٩٨) .

٢ . سيرار : إله البحر وهو تحديداً إله الخليج العربي .

٣ . أنييلو : وهو الاله العارف بشؤون الانهار ويمثل الاله المسؤول عن نهري دجلة والفرات، ويظهر في الشيوغونيا الإنلييلة أحد أبناء إنليل في العالم الأسفل . ويمكن ان يشير هذا إلى أخذ الأنهار مياهها من مناطق مجهولة في العالم الأسفل ترتفع فيها بشكل مستمر .

٤) ايسمود : ويسمى ايضاً الاله (اسيمو) الذي يوصف بأنه متعدد الوجوه فله أربعة وجوه أو إثنان، وهو وزير الاله إنكي والمنفذ لأوامره .

٥) نندارا : وهو جابي البحر وزوج الالهة نانشة ونازي

٣ . آلهة النبات : وهي الآلهة التي اختصت بكل ما يخص النباتات وزراعتها وفلاحتها وثمارها وبذورها . . ولعل الاسطورة الشيوغونية السابقة وضعت الاله (أبو) ملكاً أو الهاً لملكة الآلهة النباتية .

١ . الإله أبو : وقد تحدثنا عنه .

٢ . دموزي أمّا اشموغال أنا : وهو القوة المخصبة التي تكمن في النخيل وتسبب الطلع والخصب لها . وهو أيضاً غير دموزي الراعي الذي ستحدث عنه لاحقاً .

٣ . أنكدو : وهو الإله الفلاح أو إله الفلاحة .

٤ . نصابا : وهي الهة الحبوب (وربما تحديداً الشعير) وتلقب أيضاً بـ (ننشيبارغونو) التي توصف بأنها أم الالهة (سود) التي أصبحت فيما بعد ننليل زوجه الإله إنليل . وزوجها (حايا) أو (هايا) إله الصوامع ، وقد أصبحت (نصابا) الهة الكتابة في سومر وكانت تسمى أيضاً ندابا وأصبحت زوجة (نبو) منذ الألف الأول ق . م ومركز عبادتها في أوما واريش .

٥ . اشنان : الهة الغلّة ورمزها السنبلّة



شكل (٦٣)

رمز الالهة اشنان

رسم : علي محمد آل تاجر

٦ . ننموخ : الهة الغابات

٧ . ننغيردا : وسميت ننكيري او ننسوتو وهي زوجة الإله ننازو .

٨ . كشتن - أنا : سيدة دالية الكروم ، الهة العنب ، واخت دموزي الراعي الذي أدى به المصير الى النزول الى العالم الأسفل حيث أصبحت بديلته فبدأت تنزل مكانه إلى العالم الأسفل في الوقت الذي يخرج هو منه كل نصف عام بالتبادل ، وقد أصبحت كاتبة العالم الأسفل وسميت بالاكديّة (بعله صيري) ، وهناك ما يشير إلى أنها أصبحت زوجة للإله ننگشزیدا . . الذي ما زالت علاقته غامضة بالإله دموزي .

٩. نازي : زوجة الاله نندارا وهي الهة نباتية .
١٠. آزيوا : زوجة الاله نكشزيذا وهي الهة منطقة (آزيوا) في لكش .
١١. نكيزي اوتو : الهة نباتية .
١٢. نנסار : سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل
١٣. ننمو : سيدة النباتات ذات الألياف .
١٤. إيمر : كاله الحبوب .
١٥. أزينو : اله الحبوب والزمن خصوصاً في احتفالات رأس السنة (أزينو)
١٦. كوسو : اله الحبوب
١٧. باسيكيل : إله الحبوب
٤. آلهة الحيوان : وهي الآلهة التي اختصت بالشكل الحيواني للحياة اصولاً ومكونات ورعاية وتربية :

١. دموزي : الاله الراعي ، وهو راعي الاغنام والماشية ، ودموزي Dumu - zi يعني ابن ، زي تعني مخلص وكذلك تعني البار وتعني ايضاً الذي يعلو او يرتفع ، وبذلك يحق لنا ان نفس اسم دموزي (بالابن المخلص ، الابن البار ، الإبن المرتفع او المنبعث ، الابن العلي) ، ويقدم جاكوبسن في كتابه (نحو تصور عن تموز) تفسيراً آخر لاسمه فيقول انه يعني (الذي يعجل بالصغار اي يكسبهم الصحة) معتمداً على انه الاله المسؤول عن الأغنام والماشية ، أي ان دموزي يمثل الموسم القصير للحليب في الربيع ، أي القوة الدافعة للحليب وعندما تتوقف الاغنام عن در الحليب فإن ذلك يعني موت هذا الاله .

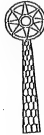
ولا يحظى دموزي بأية أهمية في البانثيون أو مجمع الآلهة السومري كما نلاحظ شجرة الآلهة السومرية ، ولكنه حظي باهتمام شعبي كبير فأصبح الإله الذي يرمز لكل قوى الطبيعة المنتجة والمخصبة ، ودارت حول أساطير كثيرة ارتبط أغلبها مع إنانا إلهة الحب والجمال وراعية كوكب الزهرة . وقد فسرت علاقة الإله الراعي بالنجمة على أنها علاقة طبيعية بين من يرعى الاغنام فجراً فترافقه هذه النجمة ويعود بالأغنام مساءً فترافقه ايضاً في الظهور (وهي نجمة الصباح ونجمة العشاء).

وهناك ملاحظة هامة عن (دموزي) وهو وجوده في العالم الأسفل ورعاية الملكة اريشكيكال له وزواج اخته كشتن أنا من الاله ننكشزيدا (ابن أريشكيكال) فهو صديق ونسيب إبنها ، بحيث اننا نرى وجود علاقة غامضة وخاصة بين الالهين (دموزي وننكشزيدا) . لأن وجودهما ثانية في السماء السابعة عند بوابة الإله أن في اسطورة آدابا يثير اسئلة كثيرة عن حياتهما وموتهما ويعتقهما .

وهناك في التراث السومري دموزي الاله . ودموزي الملك الذي حكم مرة قبل الطوفان في مدينة بادتيرا لمدة ٣٦٠٠ سنة وهو الملك الراعي . اما الملك الثاني فيظهر كأحد ملوك اوروك بعد الطوفان ويوصف بأنه كصياد السمك وهو في مدينة كوا وحكم ١٠٠ سنة .

وقد تناول الباحثون بالبحث والدرس شخصية دموزي الملك والاله وخصوصاً مورتغات (انظر مورتغات ١٩٨٥) . و(انظر زايرت ١٩٨٨) و(انظر فريزر ١٩٧٩) .

والرمز الشابت للاله دموزي هو جذع النخلة المشبك والذي يكون على شكل مخروطي طويل تعلو قمته عجلة شمسية تحتوي على رمز الألوهية .



شكل (٦٤)

رمز الإله دموزي نهاية الألف الثالث قبل الميلاد

رسم : علي محمد آل تاجر

٢ . لهار (لخار Lakhar) وهو اله الاغنام والحظائر ومتوجاتها المعروفة اسطورته او محاورته مع إلهة الغلة (أشنان) .

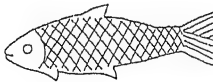
٣ . ننسون Ninsun : أو ننسون وتوصف بالبقرة الوحشية وهي أم الإله دموزي الذي يوصف بأنه (الثور الوحشي) لانه ابنها . وهي الهة (كلاب)



شكل (٦٥)

الإلهة ننسون أم دموزي وكلكامش

٤ . نانشة : الهة مدينة نينا (سرغل) جنوب شرقي لكش وهي إلهة السمك وصيد الاسماك ورمزها السمكة شكل (٦٦)، وتوصف أيضاً بأنها مفسرة الأحلام . ويصفها السومريون بأنها راعية العدالة الاجتماعية وزوجها هو نيندار جابي البحر . وهناك تراثيل وأدعية كثيرة بحق هذه الالهة وكان الأمير گوديا يؤمن بها ويقدها كل التقديس ويعتبرها أمه .



شكل (٦٦)

رمز الإلهة نانشة

رسم : علي محمد آل تاجر

٥ . نمار Nimar : الهة مدينة (غبا) جنوب شرقي لكش وتعتبر الهة الطيور ورمزها الطير شكل (٦٧) وهي ابنة نانشة من زوجها نندار وبذلك تكون حفيدة انكي وليست ابنته .

٦ . زيبا : وهو اله (كيش) وهو اله الحرب والقتل وله علاقة بذبح الاغنام وحقولها وقد ارتفع شأنه في عصر الكيشيين ، وزوج (إنانا) المحاربة .

٧ . بيلي : وهي اخت دموزي تظهر دائماً الى جانب (كشتن أنا) وتقطن في حظيرة قطعان الماشية . وتلعب دوراً في ألقاء القبض على دموزي وتسليمه للعالم الأسفل .

٥ . آلهة العمران :

للآلهة إنكي أبناء كثيرون اهتموا بتفاصيل حياة المدينة والأرياف وشؤونها العمرانية، وحقيقة الأمر أن هذا يتطابق مع طبيعة هذا الآلهة لأنه راعي العمران على الأرض . وهو الذي امتلك نواميس الحضارة وقواها على شكل الـ (مي Me) إلا أنه بالرغم من ذلك ولد له مجموعة من الآلهة التي شكلت عصب العمران وهي :

١ . نمو : اله الحرف والمهارات .

٢ . ننتي : الهة الشهور وراعية الزمن

٣ . إنشاج : إله دلون واسمه أيضاً (إنزاك)

٤ . ننسكلا : إلهة دلون ومكان (عمان)

٥ . ننكاسي : إلهة الخمرة .

٦ . كبتا : إلهة الفأس والقرميد

٧ . كولا : إلهة الطابوق وصناعاته

٨ . مشدما : إله المساكن

٩ . هايا : إله الصوامع زوج نصابا

١٠ . نندوب : اله المعمار ومصمم المعابد

١١ . ننكورا : إلهة الاصباغ

١٢ . أتو : إلهة النسيج

١٣ . أشموكال كلاما : إله الموسيقى (القيثارة)

١٤ . تيبال (تابيرا) : إله المعادن

١٥ . ميرسو : إله الري

١٦ . طقطوق : إله الصناعة

١٧ . ساتران (اله مدينة دير) : ويوصف بعلاقته بالطب ويعتقد أن أصله عيلامي ، وهو الذي ذهب إلى العالم الأسفل فكان له رسول هو الاله (نيراح)

١٨ . (نيراح) أو (نيراه) المأخوذ من أصل سومري (نتر) الذي يجسد القوة الحامية للبشر ويمز له بنصف علوي لرجل ونصف سفلي كثعبان ، وأحياناً كثعبان يصور على منحوتات الحدود كإله حامي .

٦ . أسلوحي Asalluhe

وهو الابن الوريث للاله إنكي ، ويمثل الغيوم المرعدة ، وقد صار هذا الاله الجذر السومري للاله مردوخ فيما بعد رغم أن الاله مردوخ في أصله يأتي من المقطعين السومريين (Amar- Utu) الذي يعني (عجل الشمس) أو (طفل الشمس) وكان هذا يشير الى كوكب المشتري الذي يمثله مردوخ ، والذي يرتبط من ناحية أخرى بظهور الغيوم المرعدة (أسلوحي) . ويعتبر هذا الاله الهاً للسحر والتعاويذ حيث يحل محل أبيه والاله أسلوحي اله مدينة قصار قرب أريدو ، وهو ابن إنكي و(مبلل الناس) .

٧ . الهات الولادة السبع

وهن سبع إلهات ثانويات مخصصات للولادة ويساعدن الالهة تنماخ ساعة الولادة للانسان أو الآلهة ويبدو أن لكل واحدة دوراً خاصاً :

١ . نن إمّا ; Nin - Imma

٢ . نن مادا Mada - Nin

٣ . نن بارا Nin - bara

٤ . نين موكك Nin - mug

٥ . نين كونا Nin - guna

٦ . سوزي آنا Suzianna

٧ . موسار غابابا Musargababa

٨ . لولو : Lullu : وتعني الاله الضعيف أو الاله الميت والمقصود به الانسان ، وهذه الكلمة مستعارة من المقاطع السومرية Lu- ux- Lu التي تعني حرفياً (الإنسان البعيد أو السحيق) أو (الإنسان الاول) أو (الإنسان المتوحش والبدائي) . اما الكلمة السومرية (لو Lu) فإنها تدل على الإنسان العادي أو البشر المعروف ومرادفتها الاكدية Awe lu التي ترتبط باسم الاله وي - ايل We - ila ومعناه الحرفي (الاله الذي كانت له شخصية) الذي ذبح وصنع من لحمه ودمه مع الطين الانسان وهذه اسطورة اكدية .

ويدور لنا الانسان الذي خلقه أو صنعه إنكي في بداية أمره أو الذي صنعه ننخساج ناقصاً مشوهاً ، لكنه أصبح فيما بعد بشراً عادياً منحه إنكي الحكمة ثم منحه الملوكية واعطاه نواميس الحضارة .

إن كون الإنسان ابناً أو مخلوقاً من مخلوقات الاله أمر متعارف عليه في المثلوجيا السومرية ومثلوجيات الامم الأخرى ولكنه مخلوق أو إله ضعيف ، ومحكوم عليه بالموت وستناقش ذلك تفصيلاً في أساطير خلق الانسان .

إن شجرة الآلهة السومرية ثيوغونيا أعطتنا أكثر من إحياء أو نتيجة منها أن أغلب ذكور سلالة إنليل تزوجوا من أغلب إناث سلالة إنكي سواء من بناته أو حفيداته ، حتى أن إنليل نفسه تزوج من حفيدة إنكي (سود) التي أصبحت الزوجة الوحيدة للإنليل وإنليل والتي أنجبت كل سلالاته القوية .

ويدور أن هذا هو العرف السائد عند الآلهة ، إلا أن حالة واحدة شذت عن هذا وهي أن دموزي ابن الإله إنكي تزوج من إنانا حفيدة الإله إنليل وهذا لا يجوز كما يبدو ، ولذلك اخترعت اسطورة موت دموزي الذي كان لا بد أن يعاقب ضمناً على هذا السلوك أو هذا المصير والذي انتهت حياته إلى العالم الأسفل .

كما أن شجرة الآلهة السومرية بأكملها تشير إلى ثالث أكبر عظيم مكوّن من الآلهة
نمو الام السومرية الكبرى والأولى، وانليل / انكي أبناء الآلهة والابن المشترك لكل منهما
(دامو من سلالة انليل) ، (دموزي من سلالة إنكي) الذي يعني في كليهما الطفل ابو
الابن.

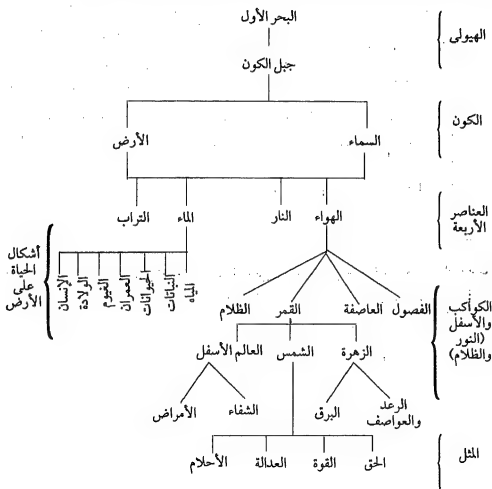
ان الام والاب والابن هو ثالث سومري يمسك شجرة الآلهة السومرية ويشكل
إطارها كلياً أو تفصيلياً.

وإن الآلهة الطفل دامو الذي يبدأ رحلة الصعود في نسخ النباتات الى العالم الاعلى
والإله الإبن دموزي الذي يعلو إلى الأرض من العالم الأسفل أيضاً يشير ان إلى عود أبدي
يبدأ بصعودها نحو الأرض ثم يدور بين الأرض والعالم الأسفل، ثم اننا نجد دموزي في
السماء (وهذه دورة أخرى من الأرض إلى السماء وبالعكس) بعد أن أعطى كوكب
الجوزاء مسحةً منه (وهو يدل عليه) . ان هذه الرحلة تحيلنا إلى تفكير عميق في التماسك
الدقيق لشبكة الآلهة والمعاني العميقة التي تختفي وراء كل تفرعاتها وأشكالها .

العمق الفيزيائي والبايولوجي للمثولوجيا السومرية

قبل ان تنتهي من تتبع شجرة الآلهة السومرية والأساطير المرتبطة بها، التي ذكرناها والتي سنذكرها، لا بد لنا من فحص العمق الفيزيائي والبايولوجي الذي يكمن خلف هذه المثولوجيا وخلق تسلسل الآلهة فيها.

لو اننا حولنا تلك الشجرة لالهية الوارفة الى مفردات طبيعية دون ذكر اسماء الآلهة لتتج لنا هذا العمق الفيزيائي والبايولوجي والفكري كما في المخطط (٩).



مخطط (٩) العمق الفيزيائي والبايولوجي لشجرة الآلهة السومرية

أصبح من الواضح أن الهيلولى الأولى أنتجت الكون الذي كان غير مميز إلى سماء وأرض ، ثم ظهر الهواء الذي فصل بين الأرض والسماء ونتج عن ذلك أيضاً ظهور المياه على الأرض باعتبارها المادة الذكورية السماوية .

وبذلك ظهرت العناصر الأربعة (الهواء والنار والماء والتراب) من السماء والأرض ، وسيطر على الكون بشكل اساس عنصر الهواء ومعه النار ونتج عنه عوالم الكواكب والظلام .

أما الأرض فسيطر عليها عنصر الماء الذي ظهرت منه اشكال الحياة بمختلف ألوانها النباتية والحيوانية والبشرية ثم ظهرت أدوات ونواميس العمران على الأرض .

إن ما تدفع به الطبيعة من كوارث وفيضانات وزلازل وعواصف وأمراض سببها سلالة إنليل . وإن ما تحاول أن تصلحه الطبيعة وتحييه وتصد الكوارث عنه صار من حصبة سلالة إنكي .

وعلى ضوء الذي تمحّد نقول بأن ظهور الاسطورة الشعبية السومرية (دموزي وإنانا) كما قلنا هو لقاء بين نسلين متعارضين لا نفترض ان يحصل بهذه الطريقة ، فلو أن إنانا تزوجت أخاً لها أو من نسل إنليل ، ولو أن دموزي تزوج من إحدى بنات إنكي لما كان قد حصل كل هذا الذي حصل بين دموزي وإنانا .

إن إنانا التي ظهرت من نسل إنليل الهوائي المتقلب الذي فيه ما يقود الى العالم الأسفل هي غير دموزي المنحدر من نسل مائي مخصب حي ومخصّر ، وهذا اللقاء كان لا بد أن تنتج عنه دورة صراع أزلية . . أو أوروبوس ينغلق وينفتح بين إنليل وإنكي ، الهواء والماء ، إنه صراع بالنيابية بين أخوين متضادين وتكمن خلف هذا الصراع اسرار عميقة يعبر عنها بصراع الموت والحياة وهذا في رأينا أول بذور فكرة العود الأبدي .

ج- أساطير نشوء الإنسان (الأنثروبوغونيا)

Anthropogony

حفل التراث المثلوجي السومري بعدة أساطير أو أفكار ميثوية تبين كيفية خلق الإنسان، وإذا كان الكثير من الباحثين قد توقفوا عند اسطورة واحدة أو أسطورتين فإننا سنبين سعة التصورات الانثروبوغونية السومرية .

هناك خمس انثروبوغونيات سومرية توضح خلق الانسان، وكل منها يرجع الانسان إلى أصل مختلف في خلقه وتكوينه وهذه الأصول هي (الأصل الطيني المائي، الأصل النباتي، الأصل الحيواني، الأصل الالهي، الأصل اللوغوسي).

١. الانثروبوغونيا الطينية المائية (إنكي ونمو ونماخ وطين الأبسو)

تشير هذه الاسطورة (وهي الأكثر شهرة) إلى أنه بعد أن تمّ خلق الكون والآلهة توجب على الآلهة العمل وتزويد أنفسهم بالطعام والشراب، فقد وصل الآلهة الصغار العاملون إلى مرحلة الإجهاد والشقاء فذهبوا ليشتكوا للإله إنكي الذي كان نائماً في أعماق المياه ولكنهم لم يَدْخلوا اليه، غير أن الآلهة (نمو) وهي الآلهة السومرية الام الأولى، التي ولدت كل الآلهة، أخبرت ولدها إنكي بشكوى الآلهة قائلة:

«يا بني أخرج من غرفة نومك

فأنت من خلال حكمتك تدرك كل فن

إصنع بديلاً عن الآلهة حتى يحمل سلة العمل عوضاً عنه .

نهض الاله إنكي على كلمات والدته الآلهة (نمو)

ودخل إلى القاعة المقدسة، وأخذ يضرب فخذه وهو يفكر

الحكيم، العليم، البصير، الذي يدرك كل شيء وكل فن

جلب الأيدي وصاغ صدره (أي صدر الإنسان)

إنكي، الخالق وصنع داخل مخلوقه (الإنسان) شيئاً من حكمته

ونادى أمه الآلهة نمو (وقال لها)

امي : المخلوق الذي إوجدته ، إريطي به عمل الآلهة .
وبعد ان تخلطي الطين الذي تأخذينه من مياه الأوسو
عليك ان تصبغي ال . . والطين وتكوني المخلوق (الإنسان)
وعسى أن تساعدك في ذلك الإلهة ننماخ

(رشيد ١٩٨١ : ١٩).

بعد أن قرر الإله إنكي شكل الإنسان وطبيعته وأعطاه في داخله شيئاً من حكمته ،
ترك أمر ولادته لننماخ وإلهات الولادة السبع وهن (نن إيا ، نن مادا ، نن بارا ، نن موكل ،
نن كونا ، سوزي آنا ، موسار غابا) واللاتي يساعدن ننماخ في استيلاده ، من هذا الوصف
يظهر الإنسان ويقرر إنكي شكله وطبيعته وروحه ثم يزرعه في رحم إحدى الإلهات (ربما
ننماخ) ثم يولد منها بمساعدة إلهات الولادة . بعدها تقرر (نمو) مصيره ، أما ننماخ فتقرر
العمل الذي سيقوم به من أجل الآلهة .

ثم يقيم الإله إنكي حفلة للآلهة ليريههم كيفية ولادة المخلوق الجديد (الإنسان) فتقوم
الإلهة (نمو) بصنع القالب الأولي له ، ثم تأخذ الآلهة ننماخ الصلصال من مياه الأوسو (بعد
ان تكون هي وإنكي قد شربا خمرأ كثيراً) وتشكله وتولده . . ويبدو انها صنعت ستة أنواع
من الإنسان كلهم يعانون من ضعف أو مرض ، لكن إنكي يقرر لكل منهم مصيراً وهؤلاء
البشر الأواقل هم :

- ١ . الإنسان المتصلب المفاصل : يدخله إنكي في خدمة الملك
- ٢ . الإنسان الأعمى : يجعله إنكي مغنياً ، ومنشداً للملك
- ٣ . الإنسان المشلول الساقين : يجعله إنكي بهياً خارقاً للطبيعة .
- ٤ . الإنسان الذي لا يستطيع الاحتفاظ بمنيته : يغسله ويعودّه إنكي فيشفى .
- ٥ . الإنسان المرأة العاقر : يعينها إنكي في بيت الحريم
- ٦ . الإنسان الذي لا قضيب له ولا فرج : سمّاه إنليل - كيغال) ليبقى تحت تصرف
الملك .

ثم قام إنكي بصنع مخلوقة البشري وتساعد ننماخ على ولادته وسمي هذا المخلوق ب(أومول) ومعني اسمه (يومي بعيد) وكان يعاني من عدة عاهات (رأس خامد، و نفس قصير ، قصص صدرتي ناقص ، بطن خامد ، قلب خامد ، يده تتحركان بصعوبة ، كثفاه منهارتان ، رجلاه غير قادرتين على السير حافيتين) .

ويبدو أن إنكي تعمد صنع مثل هذا الإنسان المشوه ليخرج ننماخ ويثبت عجزها ، بعد ان استطاع ان يتدبر مصير ستة من الأنواع الإنسانية البدائية التي خلقتها هي ، وهكذا يقول لها تدبري أمر مخلوقي هذا وعَيِّنِي له مصيراً وامنحية وسيلة لمعيشته :

«استدرات ننماخ عندئذ نحو (الأومول) وتأملته

اقتربت منه ونادته

ولكنه لم يستطع الإجابة

قدمت له خبزاً

ولكنه لم يستطع تناوله

لم يكن قادراً على ...

إذا كان واقفاً ، لم يكن قادراً على الجلوس أو الاستلقاء ،

وكان غير قادر أن يعد لنفسه مأوى أو غذاءً!

ولذلك فقد أجابت ننماخ إنكي :

«إن ما صنعت هنا ليس بالحلي ولا الميث

إنه غير قادر على عمل أي شيء!»

(الشواف ١٩٩٦ : ٧٠).

ويذكر إنكي ننماخ كيف أنه منح وسيلة لمعيشة البشر الذين صنعتهم هي وعين لهم مصيراً ، ويبدو ان ننماخ بررت ذلك بأنها في أزمة فقد تركت مدينتها ومعبيها بسبب الهجوم عليها وأنها اضطرت إلى الالتجاء لمعبد إنليل في نقر . . . إلا أن فشلها كان واضحاً . ثم يطلب منها إنكي إبعاد مخلوقه العاجز عن حضنها ويقول لها أن تكون راضية عن المخلوقات التي خلقتها بعد أن قرر هو مصيرها ثم يطلب الاحتفاء بمقدرته الخلاقة والإنشاد له ، ويطلب من الآلهة إنشاء معبد خاص له .

توضح لنا هذه الاسطورة قدرة الاله إنكي على صنع الإنسان العادي المعافي دون ان تبين طريقة صنعه ، ثم تبين كيف أن ننماخ صنعت ستة انواع من البشر العاجزين واستطاع إنكي تعيين وظائف لهم وشفاء بعضهم . . لكن ننماخ فشلت في مساعدة مخلوق إنكي الذي تعمد في جعله عاجزاً .

ومن جانب آخر توحى لنا هذه الاسطورة ان الانسان الاول كان مريضاً مشوباً بالكثير من الاخطاء الجسدية والعاهات التي لولا إنكي لما استطاع هذا الانسان أن يشق طريقه في الحياة .

كما أنها توضح إلى حد ما أن الإنسان صنع من قبل إنكي ولكنه ولد من قبل إلهة وساعدت على ولادته سبع إلهات ولادة .

وهذه اشارة مفيدة جداً لأن الانسان يعتبر في هذه الاسطورة ابناً للإله أو الإلهة ولكنه ابن ضعيف عاجز محكوم عليه بالموت . . كما أن واجبه هو خدمة الآلهة وتنفيذ أوامره وليس العيش معهم ومشاركته لصفاتهم .

٢. الأندروغونيا النباتية (حشيش اثليل)

في هذه الاسطورة نلمح منحى مختلفاً عن الاسطورة السابقة حيث يقوم الإله إنليل بوضع بدايات البشرية (أي بدورها) في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل الحشيش .

إن فكرة هذه الاسطورة السومرية التي ترجع الخلق البشري الى الإله اثليل وليس انكي لا تتفق مع ما قررناه من وظائف اثليل وانكي ولذلك نرى انها ترجع إلى أصل بعيد لم تكن فيه العقيدة الدينية والمثولوجيا قد وضعت علي أسس سومرية دقيقة . وحقيقة الأمر أنها تعود الى مكان بعيد وزمان بعيد، أي إلى حوالي ٥٠٠٠ ق.م عندما كان أجداد السومريين في القسم الشمالي من وادي الرافدين وفي مناطق سامراء والمحيط بها مثل تل الصوان ، حيث كان الانسان العراقي القديم يمارس الزراعة البدائية معتمداً على الأمطار وكان ظهور النباتات كالحشائش منظره الدائم ، وفي هذه المرحلة ظهرت بدايات الإله الذكر متمثلاً بالهواء وهو ما يقابل الإله (إنليل) الذي يحرك المطر ويتحكم به . وفيما يلي هذا المقطع من الاسطورة المسماة باسطورة المعول :

«السيد الاله (إنليل) قد جعل كل ما هو نافع يبدو ناصعاً

السيد الذي تقريره للمصير لا يمكن ان يتغير

قد أسرع لفصل السماء عن الأرض، وقد أسرع لفصل الأرض عن السماء .

وبعد ذلك جعل في (اوزو - موا) الإنسان الأول يظهر

وحفر شقاً في الأرض وفي منطقة دور إنكي

وخلق المعول، وعندها انتهى النهار

وقرر واجبات العمل وقرر المصير

وبينما كان يثبت مقبض المعول ومقبض سلة العمل

مجد الإله إنليل معوله (أي الذي خلقه)

وجلب المعول الى (أوزو - ايا)

ووضع بدايات البشرية في الشقّ

وعندما بدأ البشر يظهر مثل الحشيش من الأرض

كان الإله إنليل مرتاحاً الى شعبه السومري

ووقفت الى جنبه آلهة الأنونا

واضعة ايديها على أفواهها

وهي تقدم الصلوات للإله إنليل

ووضعت المعول في أيدي الشعب السومري،،

(رشيد ١٩٨١: ٢٠).

٣. الانثروبوغونيا الحيوانية (على جبل الكون قبل ظهور النعجة)

تصف هذه الاسطورة، التي غالباً ما تسمى اسطورة (أشنان)، ظهور الآلهة العظام المبكر على جبل السماء والأرض (الكون) حيث لم يخلق بعد أي شيء لا الآلهة الصغيرة ولا الحيوانات كالنعجة والعنزة ولا الحبوب كالشعير، ولم يكن في ذلك الزمن الأول

يعرف الانسان شيئاً ، ويبدو لنا أنه خلق على تل الكون المقدس (ان - كي) اي قبل ان تنفصل السماء عن الأرض ، أي بلغة أخرى ، قبل ظهور الآلهة وانه قد ظهر مثل الكون من الهيولى الأولى المائية ولكنه ظهر كحيوان يمشي على يديه ورجليه . وهذا مقطع من هذه الاسطورة :

«البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد
ولم يعرفوا ارتداء الملابس
وكانوا يسبرون على أيديهم وأرجلهم
وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش
ومن القنوات يشربون الماء .
آنذاك في المكان الذي كانت فيه الآلهة
في معبدهم ، التل المقدس ، قررت الآلهة ظهور إلهة النعج (لاهار)
والهة الشعير (أشنان)
في المعبد ، المكان الذي تأكل فيه الآلهة الخبز
تجمعوا على إنتاج النعجة والشعير
وأكل آلهة الأنونا ، آلهة التل المقدس
ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الشبع
المشروب اللذيذ ، إنتاج حضيرة الاغنام
شربت آلهة الانونا ، الهة التل المقدس
ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الارتواء .
في حضيرة الاغنام الطاهرة تركوا ما يسعدهم
تركوا البشرية روح حياتهم ، ،

(رشيد ١٩٨١ : ٢٠٠)

وهكذا انتهت الهة النعجة والشعير (لاهار وأشنان) من التل المقدس الى الأرض

ومعها الانسان حيث ذهب معها ، لقد كان الآلهة قد خلقوا الماشية والغلة وخلقوا معها الإنسان . . ووجدوا أن الآلهة ما زالوا يتعبون في نيل طعامهم وشرابهم ، ولذلك أنزلوا الماشية والغلة والانسان الى الأرض لكي يعمل الإنسان على الاستفادة منها ويفيد معه الآلهة التي تريد من يخدمها .

اوضحت الاسطورة كيف ان الانسان كان حيواناً يمشي على أربعة اطراف ولا يأكل الخبز لأنه لا يعرف كيفية صناعته ، وهو عار لأنه لا يعرف الملابس ، وغذاؤه الحشيش كالحيوان ويشرب الماء من القنوات بينما التعجة تأكل الشعير وتشرب الماء اللذيذ ولكنها لا تشبع أو ترتوي ، ولذلك نزلوا الى الأرض ليعلموا الإنسان هذه الامور ويجعلونه يقوم بها بدلاً من الآلهة .

٤ . الأثنريوغونيا الالهية (اسطورة الآلهة لمكا)

تعد هذه الاسطورة من اكثر الأساطير التي شاعت في تراث العالم القديم فهي تنفرد بقدم فكرتها التي تؤكد ان الانسان مخلوق من دم الآلهة المذبوحة (لمكا) وهي آلهة العمل ، وسنجد صداها في اساطير بابلية مماثلة . وتعرف هذه الاسطورة في مجال الدراسات المسماة (KAR₄ - Mythos) وهذه مقاطع منها :

((جلست الآلهة آنو ، انليل ، أوتو ، وإنكي

الآلهة العظيمة والأنونا . الآلهة العظيمة على الكرسي العالي

ذي الرهبة المخيفة ، واخذوا يتحدثون مع بعضهم :

بعد أن وضعت الآلهة قواعد السماء والأرض

بعد أن نظمت الجداول والقنوات . وثبتت شواطئ دجلة والفرات

عندما قال الإله إنليل لهم : ماذا تريدون أن نعمل الآن ؟

ماذا تريدون أن نخلق الآن ايها الانونا ، الآلهة العظيمة ؟

ماذا تريدون أن نعمل الآن ؟ ماذا تريدون أن نخلق الآن ؟

الآلهة العظيمة التي كانت موجودة ، وآلهة الأنونا ، التي تقرر المصير

قد أجابوا سويةً على سؤال الإله إنليل .

في أوزموا - من منطقة دورانكي -

نريد ان نذبح آلهة - إلكا -

حتى تسبب دماؤها في ظهور البشرية

وحتى واجبات عمل الآلهة تصبح واجباتها

وعليها (أي البشرية) أن تعمل إلى الأبد على تثبيت قنوات الحدود

وأن تصنع في يدها المعول وسلة العمل ، ،

(وشيد ١٩٨١ : ١٩).

ويعتقد أن لهذه الاسطورة جذوراً أكديّة ، ولكنّ السومريين الجدد بعد أكلهم الذين
تداولوها .

٥. الأنثريوغونيا اللوغوسية (اسطورة الاسم)

كانت (الكلمة) مصدر خلق عند السومريين وكان إطلاق كلمة الخلق بمثابة الخلق
نفسه ، ومن أبرز صفات الكلمة إطلاق الاسم على الأشياء ، وكان ذلك يعني أن إطلاق
الاسم على الشيء أو تسميته يعني خلقاً له وظهوراً له . وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم
الأرض ، وخلق الانسان بعد أن تعين اسمه ، وتم تقسيم العمل بالكلمة الأمره الناطقة
ولنقرأ هذا المقطع من قصة كلكامش وانكيكو والعالم الأسفل السومرية :

« بعد ان تم إبعاد السماء عن الأرض

بعد أن فصلت الأرض عن السماء

بعد أن حمل (آن) السماء

بعد أن حمل (إنليل) الأرض ، ،

(تيزيني : ٢٣٦) .

إن الاسم والكلمة هنا خالقتان وتعبران عن خلق الإنسان وهو ما سنجد صدها في

الأساطير العبرية والتراث التوراتي (وقال الله ليكن نور فكان نور) والتراث الإنجيلي (في البدء كان الكلمة وكان عند الله ، وكان الكلمة الله).

إن كلمة إنليل ، وكلمة إنكي اللتان تعبران عن نفسيهما بالمني وهو مادة الخلق تؤشران البعد المادي الجنسي وراء مفهوم فكري لاهوتي كبير هو اللوغوس ، ويبدو أن الانسان في المعتقدات السومرية خلق عن طريق تعيين اسمه بالكلمة من قبل أحد الإلهين (إنليل) و(إنكي) . «أما صيغة المجهول التي يتم بها هذا العمل فهي ذات أهمية خاصة في اللاهوت القديم الذي يعتبر الاله فيه مديراً للموجودات ، وليس متجبراً مطلق الحرية . وهذه الصفة هي التي وصلت إلى الاغريق تحت لفظة (تايرس) وهكذا يكون الآلهة انفسهم قد وجوداً بتميز واحد منهم عن الآخر بحدودهم ووظائفهم وتميز مملكاتهم ، كما وجد الانسان بتعيين اسم له ، أي بتسميته ، » (الخوراني ١٩٧٨ : ١٣٣).

القسم الثاني

أساطير تنظيم الكون

MYTHS OF ORGANIZATION

كان الإلهان (إنليل) و(إنكي) معنيان على حدٍ سواء بتنظيم الكون والعالم، فكل منهما أساطيره الخاصة بهذا الأمر ولذلك وجدنا أن من الضروري، بعد أن ظهرت الآلهة وتوالدت التعريف بالوظائف التي خلقت من أجلها والأساطير التي صاحبت هذه الوظائف والتنظيمات التي قامت بها.

ووجدنا أن من الضروري تقسيمها إلى قسمين: هما الأساطير المرتبطة بالإله إنليل، والأساطير المرتبطة بالإله إنكي.

أ- أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله إنليل

تتضمن هذه الأساطير تنظيم ما ارتبط بإنليل من أمور العمل (الفأس) والفضول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نقر حيث مكان إبيه إنليل.

١. أسطورة الفأس

وهي قصيدة طولها ١٠٨ سطراً، وتبدأ بمقدمة هامة تصلح أن تكون ضمن أساطير خلق الكون وتنظيمه ثم تبدأ بذكر الفأس وكيف أن إنليل أعطى هذا الفأس للإنسان هدية لكي يعمل به ثم يذكر مواصفات الفأس:

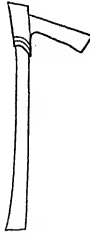
«هو الذي جاء بالفأس إلى الوجود وخلق اليوم

هو الذي خلق العمل وقدر المصير
إن فأسه من الذهب ورأسها من حجر اللازورد
فأس بيته . . من الفضة والذهب
فأسه التي . . هي من حجر اللازورد ، ،
(كريم : ١٩٧١ : ٨١) .

ثم يخصص النص ذكره للناس من ذوي الرؤوس السود (أي السومريين) وكيف ان
إنليل خصهم بالفأس ووضع الفأس هدية في أرضهم ، وبعد ذلك تنتهي القصيدة بذكر
فوائد الفأس :

« الفأس والسلة تبني المدن .
الدار الثابتة الأركان ينتها الفأس .
الدار الثابتة الأركان تنشأتها الفأس .
الدار الثابتة الأركان هي التي سببت الإزدهار
الدار التي ثارت ضد الملك
الدار التي لا تستسلم للملكها
الفأس يجعلها تستسلم للملك
للرديء . . النبات تحطم الرأس
تحيث الجذور ، تسقط على التاج
الفأس تطعن . . النبات
الفأس قرر مصيرها الأب (إنليل)
المجدد للفأس »

(كريم : ١٩٧١ : ٨٤) .



شكل (٦٨)

الفأس رمز العمل ورمز إنليل

رسم : علي محمد آل تاجر

٢- رحلة القمر إلى نقر

يمكننا أن نعد هذه الأسطورة واحدة من ثلاث أساطير معروفة لحد الآن نستطيع أن نطلق عليها اسم أساطير رحلات الآلهة إلى المدن، فقد رحل إليها نانا (القمر) ابن إنليل، وإنكي اخ إنليل تبركاً، وهناك رحلة إنانا لمدينة أريدو لسرقة نوااميس الحضارة.

لقد كانت مدينة (نقر) هي المدينة المقدسة لبلاد سومر كلها وذلك لأن الآلهة القومى للسومريين وهو (إنليل) كان فيها، وله معبد كبير في وسطها هو معبد ال (إيكور) وهو من أهم المعابد آنذاك.

تبدأ هذه الاسطورة بقرار الآلهة القمر (نانا) بالذهاب إلى (نقر) والمثل أمام أبيه إنليل ويسمي النص (نانا) بإسمين آخرين هما (سين) و (أشيكور بابر) أي الإله الحارس لمدينة اور.

وبعد القرار تبدأ الرحلة حيث يحمل الإله القمر بركبه الهلالي الشكل أصناف الاشجار والنباتات والحيوانات ويقف خلال هذه الرحلة في خمس مدن هي (أم-؟) و (لارسكا) و (ارك) وفي مدينتين أخريين لم يتضح ذكر اسميهما، وفي كل مدينة يمر بها (نانا) يقوم الآلهة الحارس لتلك المدينة باستقباله والترحاب به حتى يصل إلى (نقر) وفي نقر

يرسي إله القمر مركبه ويقول لبواب إنليل أن يفتح بيت إنليل .

«البواب ، بمتهى السرور ، فتح الباب

الجنى الحارس الذي خلق الاشجار ، فتح الباب بكل سرور

ويلتقي الإله نانا مع أبيه ويفرحان ، ثم يطلب نانا من أبيه مجموعة من الأمور فيقوم الإله إنليل بتقديمها .

« في النهر أعطاه فيضاً من الماء

في الحقل أعطاه المزيد من القمح

في الأهوار أعطاه العشب والقصب

في الغابة أعطاه . .

في السهل أعطاه . .

في بستان النخيل وفي مزرعة العنب أعطاه العسل والشراب

في القصر أعطاه عمراً مديداً ،

(كرير ١٩٧١ : ٧٧).

بعدها يعود إنانا إلى مدينة (أور) حاملاً كل هذه العطايا . . ويتعزز مركز اور بعد هذه الزيارة .

٣. إيميش وإينتين (الصيف والشتاء)

تعتبر هذه الأسطورة أسطورة تنظيم للفصول ، ألا انها في الوقت نفسه أسطورة صراع بين أخوين تذكر بالصراع بين قابيل وهابيل في العهد القديم . . والاختلاف الوحيد بينهما انها تنتهي بالمصالحة لا بالقتل .

ويسمى إيميش الذي هو الصيف براعي الآلهة ، أما إينتين (الشتاء) فيسمى بفلاح الآلهة . فهي اذ تعبر عن فصلين لكنها تخفي الصراع بين الفلاحة والرعي . وتنتهي بان يفضل إنليل الشتاء والفلاحة على الصيف والرعي .

وتعتبر هذه الاسطورة / القصيدة نوعاً من أدب المناظرات (أدمندوكا) الذي كان شائعاً في الادب السومري . وتتألف من أكثر من (٣٠٠) سطر وتبدأ الاسطورة بقرار إنليل خلق ورعاية الأشجار والقمح لينشر الرخاء على الأرض كلها، ولكي يفعل ذلك يخلق 'الإلهين الأخوين إيميش (الصيف) وإنتين (الشتاء) ويحدد لكل منهما واجباته :

هو الذي سبب وفرة البقر والعجول ، وهو الذي زاد

في نتاج السمن واللبن

وفي السهل ، هو الذي أدخل المرح الى قلب المعزى الوحشية

والخروف والحمار

طيور السماء ، هو الذي مكّنها من بناء أعشاشها في الأرض الواسعة

(كريم ١٩٧١ : ٧٨)

ويقرر وظيفة إيميش كما يلي :

'إيميش خلق الاشجار والحقول وهو الذي أكثر من الإستبلات

وزرائب الغنم

في المزارع ، هو الذي أنتج الوفرة

الغلة الوفيرة هو الذي ملأ بها البيوت

هو الذي وضع في الأهراء أكواماً عالية ،

(كريم ١٩٧١ : ٧٩).

ويحدث الصراع بين الأخوين ، ويدّعي (إنتين) انه فلاح الآلهة فيتحدها (إيميش) فيقرران الذهاب إلى (نقر) والمثول أمام (إنليل) ليفصل بينهما فيذهبان ويعرضان أمرهما . فيقول (إنليل) :

'إن المياه التي تخلق الحياة في جميع البلاد ، قد اوكل أمرها إلى (إنتين)

ويوصفه فلاح الآلهة ، فقد أنتج كل شيء

إيميش . . يا بني تقارن نفسك بأخيك إيتين
إن كلمات (إنليل) السامية العميقة في معناها
والقرار المتخذ غير قابل للنقض ، من ذا الذي يجراً على نقضه ؟
ركع (إيميش) امام (إيتين)
والى بيته جاء بالنبيذ والعنب والتمر
إيميش قدم لأخيه إيتين الذهب والفضة وحجر اللازورد
وفي نشوة الأخوة والصدقة ، سكبوا الخمرة بكل سرور ،
تمجيداً وتكريماً للآلهة
وعقدوا العزم على العيش سوية بحكمة
وبنتيجة هذا الخصام
برهن إيتين فلاح الآلهة المخلص ، على أنه اعظم من إيميش
سبحان الأب (إنليل)»

(كريم ١٩٧١ : ٨٠).

إن هذه الاسطورة تؤكد أن فصل الشتاء في وادي الرافدين ، رغم قسوة برودته ،
كان يمنح وفرة هائلة من النباتات والحيوانات ، وإن الإله إنليل أمر أرجحية هذا الفصل
على الصيف بسبب حكمته العميقة .

٤. لاهار وأشنان (النعجة والغلة)

تشبه هذه الاسطورة سابقتها فهي اسطورة مفاخرة أو مناظرة ، ولكن أهميتها تكمن
في مقدمتها التي تعطي فكرة عن خلق الانسان عندما خلق مثل الحيوانات يمشي وياكل
ويشرب مثلها ولا يلبس لباساً مثلها .

تصف الأسطورة أولاً كيف خلق (لاهار وأشنان) على التل المقدس للآلهة في
(الدكوك) ويبدو أن خلقهما تمّ من قبل إنكي ، لكن إنليل هو الذي قرر مصيرهما .

«من أجل (أشنان) أسس داراً

القدان والمحراث قدماء له

(لاهار) يقف في زريته

هو الراعي الذي يكثر العطاء في هذه الزرية

(أشنان) تقف ما بين الغلة

إنها لعدراء ومعطاءة»

(كريم: ١٩٧١ : ٨٤).

ويبدو أن عطاء هذين الإلهين يزداد ويتضاعف وكانا يجلبا الخير العميم لمجمع الآلهة . ولكنهما كانا يحسبان المزيد من النبل ويختصمان في الحقول والمزارع ويفخر كل منهما على الآخر يذمان بعضهما . وأخيراً يتدخل (إنليل) و(إنكي) لفض النزاع بينهما ويعلنان أن الآلهة (أشنان) إلهة الحبوب والزراعة هي التي تتفوق على الإلهة النعجة (لاهار) . وفي هذه الأسطورة ما يدل على أسبقية الحبوب والغلة على النعجة التي تعناش عليها . .

وتعتبر هذه الأسطورة من ادب المناظرات (الأدمندوكا) أيضاً، لكن أهميتها تكمن في إشارتها إلى أن الإنسان كان في تلك الأزمان القديمة حيواناً يشبه الخراف . . وهي بذلك تعطي فكرة عن خلقه القديم .

ب. أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله إنكي

ربما نجد في طبقات القصاصات والمدايح الكثير مما يشير إلى وظائف إنكي ومهامه وتنظيمه للحياة على الأرض ، ولكننا سنقتصر الآن على تحليل أسطورتين هامتين تخص تنظيم الحياة على الأرض لإنكي هما تنظيم سومر وترتيبه أريدو .

١. تنظيم سومر

هذه الأسطورة مكونة من جزء مهشم يبلغ حوالي ١٠٠ سطر لا نعرف عنه شيئاً سوى بعض السطور التي تصف قدرة إنكي الخصبية :

((عندما يقوم إنكي الموقر ، باجتياز الأرض المبذورة

تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة

عندما يزور (نوديمود) نعاجتنا الحوامن

تلد عندئذ الحملان السمان

عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصيبة ،

تلد (عندئذ) العجول الممتلئة الجسم !

عندما يأتي لزيارة حقولنا وأريافنا

يجعل الحب يتجمع أكواماً وأكداساً على

السهل المرتفع .

وحين تقترب منها ، ولو قليلاً

فإن الاماكن الأكثر جذباً في البلاد

(تتحول الى مراعي مخضوضرة) .

(الشواف ١٩٩٦ : ٧٣)

ثم تمضي الأسطورة بوصف مكارم إنكي الذي يسمى هنا احياناً (نوديمود) وهو

لقب يعني (الماهر الصنع والخلق) . . حتى تصل الأسطورة الى سومر فيقرر إنكي مصيرها
على النحو التالي :

يا سومر ! أيها البلد العظيم ، يا اعظم بلد في العالم

لقد غمرتك الأضواء المستديمة ، والناس من مشرق الشمس

إلى مغربها ، هم طوع شرائعك المقدسة

إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر اغواره

إن . . كالسما لا يمكن بلوغها

الملك الذي تلده يزين نفسه بالجلبي الدائمة
 الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس
 ربك هو ربّ معظم، مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء
 الملك هو الجبل العظيم، هو الأب (إنليل)
 وهو مثل . . أب البلدان جميعها
 الأنوناكي، الآلهة العظام
 في وسطك اتخذوا محل سكناهم
 في بستانك الكبير، يأكلون طعامهم
 إيه يا دار سومر! عسى أن تكثر اسطبلاتك! عسى أن تكثر نقارك
 عسى أن تزداد زراعتك! عسى أن تكثر أغنامك بحيث لا يمكن أن تعد ولا تحصى.
 (كرمر ١٩٧١ : ١٠١).
 وتبدو لنا هذه الأسطورة . . اسطورة غموضية لتنظيم الكون، ففي بدايتها نظم إنكي
 الحياة على الأرض كلها ثم على سومر ثم على اور التي هي بمثابة واحدة من اكبر مدن
 سومر، ثم إن هناك اشارة توحيدية مع انها تشير الى التفريد في نفس الوقت .
 «ربك هو ربّ عظيم» والمقصود به طبعاً هو انليل رب سومر الاول لكن هذا الرب
 يجلس مع (آن) الذي هو رب العالم كله في المكان المقدس في السماء .
 ولذلك نود أن نعيد القاء ضوء جديد على علاقة (آن) ب (إنليل) فالمسألة لا تتعلق
 بسيطرة الإبن إنليل على سلطات آن وظهوره كرب قوي، بل يبدو من هذه الاشارة وغيرها
 أن الإله (آن) اصبح يشير عند الكهنة ورجال الدين في سومر الى أنه ربّ عالمي بدليل ان
 علامته (دنكر) اصبحت رمزاً لكل اله) أو لمن يراد له أن يكون إلهاً وهكذا أبعد هذا الاله
 الكوني من المهمات العملية المباشرة التي تخص سومر وأصبح الإله (إنليل) هو الذي يقوم
 بها وهو إله قومي سومري، أي اننا امام حالة توحيد monotheism يمثلها (ان) وحالة تفريد
 Henotheism يمثلها (انليل) .

المهم ان الاسطورة تمضي وتصف ما قرره إنكي من مصائر للعاصمة أور :
ولقد جاء الى (اور)

إنكي ملك الماء الذي لا يسبر غوره ، وقدر مصيرها

أيتها المدينة التي ازداد طعامها

وغسلت بالوفير من المياه ووقفت كالثور الراسخ

يا دار الرخاء المقدسة على وجه الأرض

ايها المتضرعة ، إنك خضراء كالجلجل

إنها الغابة (هاشور) الوارفة الظلال ، . . البطولية

هو الذي قدر مصيرك على أحسن وجه ، ،

(كريم ١٩٧١ : ١٠٢)

وبعد الأرض كلها والدولة سومر والعاصمة أور ، يقوم إنكي بتقرير مصير مجموعة
كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء وهي كما يلي :

١ . ملوخوا (الجلجل الاسود التي يرجح انها تقع على الساحل الشرقي من افريقيا)
ويباركها كما سومر ، ويبارك اشجارها وثيرانها وطيورها ومعادنها وبشرها .

٢ . دجلة والفرات يملأوهما بمائة الرقراق ويوكل للاله (أنبيلولو) العارف بشوؤون
الأنهار حماية هذين النهرين ، ويملاؤهما بالأسماك حيث (ابن كيش) يحميها .

٣ . الخليج العربي : يقرر نظامه ويعين الاله (سيرار) لحمايته

٤ . القلب الفضوي لقلب السماء ويستدعي الاله إشكور لحمايته

٥ . المحراث والقدان والحقل والخضار يجعل الاله انكيمدو مسؤولة عنها

٦ . الغلة والحبوب ويجعل الالهة أشنان (قوة كل شيء) مسؤولاً عنها

٧ . الفأس وقالب الآخر ويعني اله الآخر (كتبا) مسؤولاً عنها

٨ . أدوات البناء (كوكن) ويعين الإله (مشدما) بناء إنليل العظيم مسؤولاً عن

رعايتها .

- ٩ . نباتات وحيوانات السهول ويعين (سموكان) ملك الجبل مسؤولاً عن رعايتها .
١٠ . الاسطبلات وزرائب الأغنام ويملاؤها باللين والعسل ويجعلها تحت رعاية الإله (دموزي) .

ويدو أن القصيدة لم تنته بعد فبقيتها مهمة ولكنها تشير إلى التنظيم الدقيق لكل مظاهر الحياة من قبل إنكي ، ولا يمكننا مطلقاً اعتبار هذه الاسطورة اسطورة ثوغونية لأنها لا تتضمن ولادة آلهة بل تقرير مصير ورعاية الأرض والمدن والأماكن ومظاهر الحياة . وهي كما قلنا قصيدة نموذجية لهذا النمط من الأساطير .

٢ . ترتيلة أريديو (رحلة إنكي من أريديو إلى نفر)

هذه الاسطورة / الترتيلة تمنحنا إشارة جديدة مضادة لحقيقة معروفة وهي أن (نفر) سبقت (أريديو) في الوجود ، بينما الثابت من خلال ثبت الملوك السومريين أن أريديو هي أول مدينة هبطت فيها الملوكية وهي أول المدن السومرية الخمس قبل الطوفان .

كما أن الآثار العلمية أثبتت أن أريديو هي أول مدينة مستوطنة في جنوب العراق (السهل الرسوبي) . . ولأن أريديو هي موطن الإله إنكي ونفر هي موطن الإله أنليل ، فإننا نعتقد أن هذه الاسطورة تشير إلى صراع ديني كهنوتي حاول أن يعطي نفر أهمية واسبقية على أريديو وفي هذا ما يشير إلى شكل من أشكال الانقلاب الذكوري ومركزيته ، لأن إنكي لم يكن يمثل طرفاً ذكورياً صارماً ، بل كان أنليل يمثل ذلك تماماً بينما إنكي يشير إلى ما تبقى من الإلهة الأم لأنه ابنها وزوجها ووريثها .

تبدأ الاسطورة بمديح الإله إنكي وكيف أنه بنى بيته من الفضة وحجر اللازورد في مدينته (أريديو) وحلّه بالذهب .

وتحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله ستومر أنليل الموجود في نفر ولذلك يهيء قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الأيسو مقره :

«حينما ينهض (إنكي) ، الأسماك . . . تنهض

وتقف المياه التي لا يسير غورها بعجب واستغراب

المسرة تدخل إلى البحر

الرعب يتسرب إلى الأعماق
الذعر، يسود النهر العظيم الشأن
ريح الجنوب، تحمل أمواج نهر الفرات
(كريم ١٩٧١: ١٠٦).

ويثيرنا كثيراً وصف بيت الغور (إي - أنغورا) معبد إنكي حيث يظهر البيت مبنياً من
الفضة والأزورد وقد رقشة بكل الزخارف وكان النور ينبعث منه وهو في الماء . . وكان
مكسواً بالذهب وأسواره عالية ويبدو انه قد بني على ساحل أريدو :

«لا يقوى أحد على متراسك
قفلك أسدٌ مرعب
عواميد سقفتك ثور من السماء ! تزيأً بشكل وقاد
ستاترك من اللازورد، حلية للعواميد ،
. . ثور متوحش ، رافع قرينة ،
مدخلك أسد يعترض الناس ، ،
كساء بابك اسدٌ مسلطٌ على الناس»

(فالكشتاين ١٩٥١ : ١٨٧).

وحين يصل الإله إنكي إلى مدينة نقر يجد حفلاً فخماً قد أقامه له الإله إنليل ودعا
إليه الآلهة (آن، نتو ، آلهة الأنونا) بمناسبة إكمال بيت الإله إنكي . . ويتقدم الشراب
ويسكر الآلهة . بعدها يتكلم الإله إنليل بهذه المناسبة ويبدو من كلامه انه أب للإله إنكي
حيث يقول (إن ولدي الملك إنكي قد بنى له بيتاً) وهذا امرٌ طبيعي اذ لا بد أن يتحول إنليل
إلى أب لانكي حتى تتم له السيادة المطلقة وحتى تكون نقر أصلاً لأريدو وهو ما فعله كهنة
نقر :

« عندما جعلوا من البيت
عندها غمروا إنليل بالفرح

عندها تكلم انليل إلى آلهة آنونا
ايتهيا الآلهة العظمى ، الذين حضروا هنا ،
يا آلهة آنونا ، الذين ذهبتم الى فناء مجلس الشورى
إن ولدي الملك انكي قد بنى له بيتاً ،
شيد أريدو ورفعها كالجيل الذي يرتفع من الأرض
لقد بنى البيت في مكان جميل
في أريدو ، المكان ، الذي لم يدخله أحد ،
شيد بيتاً من الفضة وطعمه باللازورد
البيت الذي يجذب جميع المعوذنين الكهنة ،
قد اعطاهم علم الرقى والتعاويذ ،
وبالترتيلة المقدسة يحافظ البيت دائماً على سلامة الأرض ،
ويحكمه إنكي وقصله الحسن بين الأجال ،
فقد شيد المعبد فوق أبسو لقوي الآلهة الكاملة .
وإذ هو قد بنى لأريدو البيت من الفضة ،
فالحمد للأب إنكي ، ،

(فالكشتاين ١٩٥١ : ١٨٩ - ١٩٠).

وتظهر تسمية الإله (نيراه) وهو (الإله الشعبان) الذي تظهر دتماً على الاختتام
الاسطوانية في طرف الصورة وخلف الإله إنكي أو خلف زوجته .
ويرى البروفسور فالكشتاين ان هذه الترتيلة تنقسم الى عدة أقسام حسب
موضوعاتها : فالقسم الأول يتناول وصف بناء المعبد على يد الإله إنكي ثم ان المعبد
واجزاءه تتكلم معلنة عن الأعمال الخارقة لربها الاله ، ويتضح من ذلك ان التماثيل
والأشكال النذرية التي كانت تقدم إلى الإله إنكي وتوضع في المعبد كانت تصلي إلى الآلهة
وتمجدها ، فهي في تسبيح مستمر .

أما القسم الثاني فيتكون من خطاب المديح الذي قام به الخازن أسيمو والشبيهة بمديح يانوس السومري، فإنه يختص بالمعبد ووصفه ايضاً. وقد جاء العثور على الأسدين في اريدو اللذين كانا يحرسان مدخل المعبد مؤيداً لما جاء في هذه الاسطورة، وينتهي هذا القسم بوصف ضواحي المعبد وحواليه ويتناول الحديث وصف أحراش القصب المجاورة له والأثمار الكثيرة المثقلة بها أشجار جنته .

القسم الأخير من الأسطورة يصف الرحلة المائية للإله إنكي إلى مدينة نقر (ويذكرنا برحلة إله القمر نانا إلى نقر لتلقي تبريكات وتقديس والده إنليل وينتهي هذا القسم بالوليمة الإلهية ومدايح إنكي (أنظر فالكنستاین ١٩٥١ : ١٩٠ - ١٩١).

القسم الثالث

أساطير تدمير الكون

MYTHS OF DESTRUCTION

إذا كانت الاساطير السابقة معنية بتنظيم الكون، وكان يقود هذا التنظيم تحديداً الإلهين إنليل وإنكي . فإن هذه الاساطير معنية بتدمير الكون والأرض والإنسان والحياة .

ويأتي تدمير الكون أو الأرض إما من العالم الأعلى بقرار اساسي من الإلهين أنليل وأن . . ويكون ذلك من خلال الطوفان، فتنزّل من السماء الامطار ويفتح قفل السماء فتفيض الأرض ويحصل الطوفان، لكن انكي المحب للحياة ينقذ الانسان والحياة من الطوفان عندما يُسرّ الى زيودسدرّا ببناء سفينة وإنقاذ الجنس البشري .

اما النوع الثاني من التدمير فيأتي من العالم الأسفل حيث تنطلق بين فترة وأخرى مسوخ وكائنات سفلية مدمرة تحاول القضاء على المدن وتدميرها أو ايقاف الحياة أو حتى خطف الآلهة . . مما يخلّ بتوازن الحياة لكن الآلهة الاقوياء يتصدون لكل تنانين العالم الأسفل ويدمرونها وستتناول هذين النوعين من أساطير تدمير الكون :

١. الطوفان

(اسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى).

أسطورة الطوفان السومرية هي واحدة من أهم الاساطير القديمة على الإطلاق لأنها كانت الأساس الذي بنيت عليه أساطير الطوفان البابلية والقديمة بأسرها . . اذ ينذر ان تكون هناك أمة قديمة ليس في تاريخها الروحي طوفان شامل وكبير .

وقد وصلنا من مدينة (نقر) رقيم واحد نشر لأول مرة من قبل الباحث بويل (انظر 1914 Poebel). ولم يكن بحالة سليمة، حيث كانت الاسطر السبع والثلاثون الاولى مهشمة يأتي بعدها ما يشير إلى أن أحد الآلهة (ربما إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار ثم يتطرق النص الى خلق الانسان على يد الالهين آن وانليل و ننخرساج ثم فجوة ثم نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة. ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة أو قائمة الملوك والمدن السومرية قبل الطوفان، ولكن الجديد فيها هو تولي كل إله أو إلهة لمسؤولية مدينة وكما يلي :

١ . مدينة أريدو - الإله إنكي (نوديمود)

٢ . مدينة بادتيبيرا - الإلهة نو ككك Nugig ومعنى اسمها الخالية من الامراض

٣ . مدينة لرك - الالهة بابلساك Pabilsag ويقرأ ايضاً Hendursag وهو أحد آلهة العالم الاسفل

٤ . مدينة مبار - الإله أوتو اله الشمس

٥ . مدينة شروباك - الإلهة سود وهي الإلهة ننليل زوجة إنليل

وبعد هذه القائمة يكون الطوفان قد تقرر لاجتياح سومر والأرض كلها حيث نقرأ ما يشير إلى أن الإلهتين (نتو) و(إنانا) تبيكان على مصير الناس القادم، لكن الإله إنكي رغم أنه أقسم لأن وانليل في مجلس الآلهة بعدم إفشاء قرار الطوفان، يقرر الإتصال بالملك زيو سدرا Ziusudra ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة) :

«فسمع زيو سدرا وهو يقف بجانبه

كان يقف وإلى مساره الجدار

يا جدار ! اريد أن اكلمك ، فاستمع إلى كلماتي

واصغ الى وصاياي !

سوف تكتسح الأعاصير كل المستوطنات في العواصم

إن هلاك ذرية الإنسان . . .

إن القرار الأخير، كلمة المجلس . . .
الكلمة التي نطق بها آنو وانليل وننخرسك
إن اسقاط الملوكية . . الآن»

(علي، ١٩٧٥ : ١٢١).

ومعروف أن إسم زيوسدرا يأتي بعد آخر ملك حكم قبل الطوفان وهو (أوبار -
توتو) Ubar - Tutu ، كما أنه يذكر على أنه إبن أوبار توتو وتطلق عليه نسخة أخرى من
ثبت الملوك على أنه (ابن شروباك) الذي حكم فترة ٣٦٠٠٠ سنة .

ويدعو أن الإله إنكي ينصح زيوسدرا بصناعة سفينة تنقذه مع أهله .

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء

«وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير والعواصف

ويعد أن أكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليالٍ

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

(وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وغنثلد) فتح زيوسدرا كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فرجع زيوسدرا أمام إله الشمس

ونحر الملك (زيوسدرا) أعداداً كبيرة من الثيران والأغنام.

(علي ١٩٧٥ : ١٢١).

وبعد فجوة كبيرة في النص تنتهي الاسطورة بتقديم الصوت إلى الإلهين آنو وانليل
ويرجع زيوسدرا أمامهما:

«ورجع زيوسدرا أمام آنو وانليل

للذين وهباً حياةً أبدية مثل الآلهة
واللذين رفعاه إلى الحياة الأزلية مثل الآلهة
في ذلك الوقت أسكن (الآلهة) الملك زيوسدرا
الذي أنقذ بذرة الإنسان وقت الدمار
في بلد على البحر، في الشرق، في دلون»

(على ١٩٧٥ : ١٢٢).

ونريد أن نتوقف قليلاً عند اسطورة الطوفان عموماً واسطورة الطوفان السومرية بشكل خاص . فأسطورة الطوفان تشير الكثير من الموضوعات المترابطة أهمها فكرة العود الأبدي ودورة الساروس والاسكاتولوجيا الكونية (الموت الكوني وما بعده) وإذا كانت هذه الأفكار الحديشة التي تتخفى بجذور يونانية، في الغالب، قد سادت في الفكر الحديث وفي علم الأساطير (المثولوجيا) بشكل خاص، فإننا نود أن نلمح إلى أن جذورها الحقيقية تكمن في الشرق القديم ولعل بلدها الأولى تكمن في سومراًيضاً .

إن العود الأبدي الذي يشكل موت ديموزي وبعثه أبرز أشكاله السومرية يتمثل أيضاً في اسطورة الطوفان باعتبار ان الطوفان هو موت العالم القديم المتسخ الخاطيء وعودته بعد الطوفان جديداً نظيفاً معافى ولا تخرج فكرة العود الابدي عن فكرة الطوفانات المتكررة أو الحرائق التي تتاب العالم وإلى الأبد .

أما دورة الساروس (Saros) اليونانية فمشتقة من الفكرة والكلمة البابلية (Shar, sar) التي تعني الدائرة ذات الأصل السومري الذي هو (Sar) والتي ترسم بأربع علامات مسمارية تشكل دائرة مغلقة ورقم هذه الدورة هو ٣٦٠٠، وتعني كلمة السار على المستوى الفلكي السومري والبابلي دوراً يبدأ فيه العالم من جديد حيث ينتهي قبله عالم قديم اما بالطوفان او بالحريق .

وقد وضع اليونان أكبر دورة كونية واسمها الساروس الكبرى وتقدر بـ ٣٦٠٠٠ سنة وتكتب بالسومرية والبابلية وهي دائرة في وسطها الرقم (١٠) وقد يدل هذا في واحد من معانيه على العاصفة وقد يدل على أن الدائرة بلغت ذروتها عندما

توسطها زحل الذي هو كوكب ننورتا وهو أبعد الكواكب المنظورة حينذاك .

إن دورة الساروس الكبرى عند اليونان باسمها السومري (سار أو) ودورة النيراس التي تقدر بـ (٦٠٠) سنة تسمى بالسومرية (كيش أو) اما دورة الساسوس التي تقدر بـ (٦٠) سنة فتسمى (كيش) .

إن بداية الساروس تبدأ مع العصر الذهبي أو الفردوس (دلون عند السومريين) إن نهايته تنتهي بالفيضانات الشاملة الذي يكافأ بطله بالذهاب الى دلون ثانية ليعود الساروس من جديد .

أما الاسكاتولوجيا الكونية (نهاية أو موت الكون وما بعده) فهي الاخرى كمقولة دينية أو مثولوجية تمجد تطبيقها الحقيقي في الطوفان باعتباره نهاية وبداية العالم في نفس الوقت «فالـى جانب أساطير الطوفان ، هناك أساطير أخرى تحكي عن دمار البشرية بواسطة كوارث على مستويات كونية : هزات أرضية ، حرائق ، ذك الجبال . . الخ ، إن نهاية العالم على هذا النحو ليست بالنهاية الجذرية ، بل هي نهاية للبشرية يعقبها ظهور بشرية جديدة . لكن غمر المياه للأرض بصورة كلية أو حرقها بالنار كلياً ، يعقبه ظهور أرضٍ عذراء ، إنما يرمز إلى الإنكفاء وإلى العماء وإلى ولادة كونية» (الباد ١٩٩١ : ٥٥) .

إن الاسكاتولوجيا (التي هي علم الموت وما بعده) في هذه الحالة تتجسد على شكل كوني أو (كوزموغوني) ويكون لها مغزى جديد ، حيث تبدو أيام الطوفان وكأنها لحظة موت العالم القديم البالي المعاقب أما ما بعده فهو خلق جديد وعالم جديد جاء بعد لحظة الموت تلك ، ويرى مرسيا إلباد أن الطوفان يرتبط بخطأ طقسي يثير غضب الكائن الاعلى . ويحدث أحياناً نتيجة لشهوة كائن الهي لوضع حد للبشرية ولربما كان السبب الرئيسي للمخيف خلف ذلك هو خطايا الناس وشيخوذة العالم ووهن قواه أيضاً . . وبذلك يفتح الطوفان الطريق إلى خلق جديد للعالم ولولادة جديدة للبشرية .

إن الانحطاط التدريجي للكون يستوجب دماراً وإعادة خلق دورية . ومن هذا النوع من الأساطير ، التي تتحدث عن كارثة نهائية هي في نفس الوقت علامة على خلق جديد وشيك للعالم ، خرجت ونمت الحركات التنبؤية في أيامنا هذه . والافنية في المجتمعات البدائية (كل ألف سنة هناك دمار وخلق جديد) بل أنها تكاد تظهر حتى في العقائد السياسية الجديدة كالماركسية .

ولكننا نجد في العام الواحد في نظر القدماء صدىً لكارثة الطوفان أو الحريق هما الصيف والشتاء (اعيش وانين) والتتابع بينهما بل وأعياد الزكمك الاول والثاني الربيعي والحريفي عند السومريين فوحسبنا أن نذكر بأن الرواقيين قد أخذوا عن هيراقليط فكرة نهاية العالم بالحريق (اكبيروسس)، وإن افلاطون (تيماسوس) كان يعرف أن النهاية سوف تكون بالطوفان . لهاتين الكارثتين إيقاع يتوافق نوعاً ما مع إيقاع السنة العظمى . بحسب نص مفقود لأرسطو (protrept)، الكارثتان قد حدثتا في اعتدالين : الحريق في الاعتدال الصيفي ، والطوفان في الاعتدال الشتوي^٩ (الياد ١٩٩١ : ٦٣) .

٢. التنين

(اسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

الدمار الذي يأتي من العالم الأسفل لا يشبه ذلك الذي يأتي من العالم الأعلى لسببين الأول هو أن دمار العالم الأعلى دمارٌ شامل دوري يبدو وكأنه يخضع لإيقاع كوني هائل تقرره الآلهة، أما دمار العالم الأسفل فهو دمارٌ جزئي لا إيقاع له ولا يأتي بصورة منتظمة تنفذه تنانين وعقاريت وشياطين كبرى تقبع في العالم الأسفل .

أما السبب الثاني فهو الدمار الأعلى يتحول إلى نوع من نهاية عالم قديم بال وبداية عالم جديد نشيط ، فهو لحظة موت وحياة في نفس الوقت ، أما الدمار الأسفل فلا يشير إلى ذلك بل يدل على وهلة ارتباك أو فوضى في قوانين العالم ولحظة عدم توازن ، وتخلخل ، وترنح سرعان ما تعود بعدها الحياة إلى سابق عهدها وتواصل ماضيها .

إن انفجار العالم الأسفل بتنانين مفزعة بين الحين والآخر يعطي انطباعاً على أن كائنات هذا العالم غير مستقرة كما أن أغلبها يشير إلى ذلك العالم الهوليوي القديم الذي دفتته الذاكرة البشرية في أعماقها . . كائنات هيولى الماء الأول مثلاً .

إن هذه القوى القديمة المدفونة في عالم سفلي تحاول دائماً إرجاع الكون أو العالم إلى فوضاه الأولى ولذلك تظهر بأشكال شيطانية وهولات جبارة لا تنتمي إلى العالم البشري أو الحيواني أو الإلهي المعروف ، فقد نراها على شكل كائنات ذات رؤوس متعددة أو أجنحة عملاقة أو طيور أو أفاع أو أسماك غير طبيعية تنبثق (كما ينبثق البركان) من باطن الأرض وتحدث تأثيرها المحدود في الحياة ، لكننا نرى دائماً في النهاية كيف يتصدى لها بطل إلهي أو بشري ليقتلها ويعيد الحياة إلى ما كانت عليه .

لقد قدّم التفسير النفسي (فرويد وتلاميذه) تفسيرات مقنعة وتوازيات دقيقة بين قوى العالم الأسفل المدمرة وقوى اللاشعور الفردي، وأوضحوا أن هذه القوى الفردية هي (الهو) أو (أنا السفلى) في النظام الاصطلاحي الفرويدي وهذه تمثل الرغبات المدفونة والمكبوتة والقوى التدميرية ويسميتها فرويد قوى الموت. وإن البطل الذي يقهر هذه القوى يأتي غالباً من (الأنا العليا) أو العالم الأعلى ليعيد التوازن إلى الشخصية التي تزنجت بتأثير ما اندفع من داخلها.

ويقدم هندرسون (وهو أحد تلاميذه يونغ) تفسيراً آخر لهذا البطل الذي يخلص الفرد من طفولته وتعلقه بأمه باعتبارها سبباً عميقاً لعالمه الأسفل فيجده ضرورياً لبناء الشخصية وقوتها وتطورها (انظر الماجدي: ١٩٩٩: ٤٤٠).

وهناك مدارس نفسية أخرى واثريولوجية واجتماعية تحاول اعطاء تفسيرات أخرى.

ولا نريد أن نذكر كل كاشميش وقصصه مع خمبانيا (هواوا) وثور السماء لأن هذه القصص هي ملاحم سومرية وليست أساطير.. ولذلك سنقتصر على وصف أساطير التينين كور وأساج وصراعهما مع الآلهة العلوية.

١. التينين كور وأساطيره مع الآلهة (إختطاف ارشكيكال وانكي، فنورتا، إنانا)

يرى صموئيل نوح كريم أنه بالرغم من أن كلمة كور تدل على الأرض، والعالم الأسفل تحديداً.. إلا أنها تعني في بحوث المعتقدات الكونية الفراغ الكائن ما بين قشرة الأرض والبحر الأول.. ومن المحتمل أيضاً أن المخلوقات المتوحشة التي كانت تعيش في قعر العالم الأسفل أطلق عليها اسم (كور) ولئن صح ذلك فإن هذه المخلوقات تشابه إلى حد معين (تيامت) البابلية (انظر كريم: ١٩٧٠: ١٢٢).

وإذا كنا نختلف مع كريم في وصفه الفيزيائي لـ (كور) وفي مشابهته بـ (تيامت) كما سبق لنا ونوهنا عن ذلك، فإننا يمكن أن نتوصل من خلال أساطيره الثلاثة إلى وصف معقول.. فهو تين على شكل شعبان كبير يعيش في قعر العالم الأسفل الذي كان متصلاً بمياه البحر الأولى.. ويبدو أن هذا الشعبان الكبير كان يسيطر على مياه هذا البحر المألحة أو

وتنتج الأرض الغلة والحبوب وثمار النخيل والأعقاب وتتقدس في الأهرام والتلال . و
بذلك يطيب الإله نورتا (كبد الآلهة) . وعندما تعلم ننماخ (التي تظهر في هذا النص كأم
لننورتا) تقلق عليه وتتوسله أن تقوم بزيارته لتقر عيونها برؤيته فيخاطبها :

«أيها السيدة ! حيث أنك ترغبين في القدوم إلى بلد أجنبي
باننماخ ! حيث أنك ترغبين من أجلي في القدوم إلى بلد معاد
وحيث أنك لا تأبهين بهول المعارك التي تحيط بي
لهذا فإن التل كومتته ، أنا البطل »

(كريم ١٩٧١ : ١٢٨).

وتنتهي الأسطورة في قسمها الأخير بزيارة ننماخ إلى الجبل الذي صنعه نورتا ليصده
به مياه كور ، ويقوم نورتا إكزاماً لننماخ بتسمية هذا الجبل بـ (خرساج) ويعينها ملكة عليه
ويبارك نورتا هذا الجبل كي ينبت أنواع الأعشاب والنبذ والعسل والأشجار والذهب
والفضة والبرونز والماشية والاعنام ... ثم يلتفت إلى الحصى ويلعن كل من كان مع (كور)
ويعتدح كل من كان معه في تلك المعركة الفاصلة بينه وبين كور .

كور وإنانا

سنرجل الحديث عن هذه الأسطورة ضمن القسم المنفصل الخاص بـ (أساطير إنانا)

ب. الثنتين أساج ونورتا

هناك أوجه شبه كثيرة جداً بين هذه الأسطورة وأسطورة كور ونورتا ، بل أن أساج
(أساك) هذا يبدو لنا مساعداً لـ (كور) وهو الذي يقوم هذه المرة نيابة عن كور بمقاتلة نورتا
ويحصل ذات الشيء الذي حصل مع كور حيث يحث سلاح نورتا (شارو) الإله نورتا
على مقاتلة (أساج) الذي يبدو وكأنه سلاح كور وساعده الأمين ، فيهزم نورتا أولاً ثم
ينتصر عليه ، ثم تفيض مياه كور من مكانها ويقوم نورتا الجبل الحجري كسد بين هذه المياه
وبين سومر لكننا نلاحظ هنا عدم ظهور الإلهة ننماخ لمباركة هذا العمل وتختتم الأسطورة
بمباركة نورتا لما فعله .

خلاصة القول أن قوى الدمار القادمة من العالم الأسفل تمثلها أيضاً قوة واحدة هي

(كور) الذي يندفع مثل ثعبان مائي نتن من العالم الأسفل ليحاول تدمير الحياة وتعطيلها وخطف ألهتها . . . ويبدو أن الاله ننورتا والالهة انانا هما أكثر من يستطيع القضاء على كور ومساعدته اساج .

وبذلك تتضح صورة الدمار العليا (الطوفان) والسفلى (كور) ويقوم إنكي بمساعدة الإنسان زيوسدرا بانقاذ الأرض في الأولى ، ويقوم ننورتا وإنانا ، بانقاذ الأرض في الثانية . ورغم أن الطوفان شامل وساروسي ويمثل وجهاً من أوجه العود الابدي إلا أن (كور) لا يبدو كذلك ، بل انه يمثل اندفاعات محتقنه لعالم مهمل ودوني سرعان ما تكضمه الآلهة وتوقفه .

إن ما يلفت الانتباه إلى أن الاسكاتولوجيا السومرية ووسائل الدمار اقتضرت فقط على الماء (الماء الأعلى الذي هو المطر المؤدي للطوفان وهو ماء سماوي الهني ، والماء الأسفل الذي هو ماء نتن هيلي) . . . ولم نجد في المثلولوجيا السومرية ما يشير إلى نار أو أمراض أو إبادة بطرق أخرى . . . ويأتي هذا منسجماً مع البيئة السومرية وما كانت تشكله من خير وشَر عن طريق المياه .

وهناك اسطورة مدونة باللغتين السومرية والأكدية اسمها (السيدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة) تقول أن الإله أن رفع إنانا ، على ضوء طلب الآلهة العظام ، إلى مرتبة قريته (أنتم) المغادلة لرتبته هو وجعل منها نجمة السماء (الزهرة) وزودها بإشارات الألوهية المناسبة لذلك .

ثم منحها الإله إنليل السيادة على الأرض ، ويبدو أن الإلهة (إنانا) تحالفت مع الإله الشمس والإله القمر ضد (أن) لكنها تخلت عن ذلك ووقفت في نهاية الأسطورة مع أن وهي تحمل بسيادة السماء (انظر انزارد ١٩٨٧ : ٥٩) .

إنانا وإنليل

لم ترتبط الإلهة إنانا بالإله إنليل باسطورة ، بل ارتبطت معه بشجرة النسب فقط فهو جدّها لأنها ابنة إله القمر (نانا) الذي هو ابن الإله (إنليل) وهذا لا يتفق من وجود أساطير خاصة بهما لم يعثر عليها حتى الآن .

إنانا وإنكي

لعل أشهر اسطورة تربط الإلهة إنانا بالإله إنكي هي اسطورة النواميس المقدسة (مي) والتي يشير مضمونها إلى انتقال السلطة والملوكية من (أريدو) إلى (الوركاء) ويزي الباحثون أن «هذه الاسطورة الشيقة والقصة الممتعة ، تدور حول (إنانا) ملكة السماء ، وإنكي سيد الحكمة ، وتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لدراسة تاريخ التطور الحضاري ، وذلك لأنها تضمنت قائمة ورد فيها ما يزيد على مئة مرسوم مقدس لتنظيم جميع المنجزات الثقافية التي وضعها الكتاب والمفكرون السومريون ، وهذه القائمة ، على ما تضمنته من تحليل شطحي ، قل أو أكثر ، فإنها تؤلف السرى واللحمة في نسيج الحضارة السومرية» (كرير ١٩٧١ : ١٠٧) .

وتتلخص الاسطورة في أن إنانا كانت تريد المزيد من الرخاء لمدينتها (أوروك) ولذلك ذهبت إلى مدينة (أريدو) وهي الوطن القديم للحضارة السومرية ومدينة الإله السومري (إنكي) ففضل إلى الأبسو موطن إنكي فيها ، حيث يراها إنكي هناك ويقف مذهولاً بجملتها ويستدعي رسوله (اسمود) ويأمره بأن يقدم لها كحك الشعير مع الزبد والماء البارد وخمرة التمر فيجعل ذلك اسمود ، ويجلس الإلهان مع بعضهما ويسكران ،

وتحدث انا الاله انكي أن كان يستطيع تسليمها نواميس (الكهنوتية العليا ، والالوهية ،
والتاج الرفيع ، الخالد ، عرش الملكية) فسلمها هذه النواميس ثم زاد عليها بقية النواميس

رفع انكي كأسه وتقاع مع انا النخب مرة ثانية :

أصالة عن نفسي . . . ونيابة عن مزارى المقدس

سامنح ابنتي انا

الحقيقة !

الهبوط إلى العالم الأسفل ! الصعود من العالم الأسفل !

فن عمل الحب ! تقبيل البضيب !

انا أجابت :

أتسلمها !

رفع انكي كأسه وتقاع مع انا النخب للمرة الثالثة

أصالة عن نفسي ! ونيابة عن مزارى المقدس

سامنح ابنتي انا

كهانة السماء المقدسة !

إقامة المناحات ! إنعاش القلب !

إصدار الأحكام ! إصدار القرارات

انا أجابت : أتسلمها !

(أربع عشرة مرة رفع انكي كأسه لانا

أربع عشرة مرة منح ابنته خمسة me ، ستة me ، سبعة Me أربع عشرة مرة تسلمت

انا الـ Me المقدسة ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٣٠)

بعدها أخذت النواميس التي بلغ عددها في النص (٨٠ ناموساً) ووضعت في زورق
السماء وبدأت بالرحيل على ساحل أريدو إلى اوروك بينما كان انكي يترنح في سكره ،

ولعل العيد الأول كان يمثل الاحتفالات الكوميدية أما العيد الثاني فقد كان يمثل الاحتفالات التراجيدية ، ولا نستبعد أن يكون مصدر الكوميديا والتراجيديا عند اليونان قد أخذ من هذه الاحتفالات التي استبدلت شخصية دموزي بشخصية الاله (ديونيزيوس) أو (باخوس) .

وقد حاولنا أن نقدم في هذه المعالجة التولوجية تصنيفاً معقولاً للأساطير وقصائد اناثا ودموزي فاتبعنا المنهج السابق اي تقسيمها إلى نوعين : الأول كوميدى مفرح يعالج اساطير وقصائد الحب بين اناثا ودموزي ، والثاني تراجيدي بكائي يعالج الأساطير والقصائد بينهما بعد أن حكم على دموزي بالموت . ووجدنا (حسب تصنيفنا) هذا أن كل قسم له سبع عنوانات أساسية تدرج تحتها القصائد والأساطير .

القسم الأول

اساطير وقصائد الحب بين اناثا ودموزي

(١) المنافسة بين دموزي وانكمدو اناثا

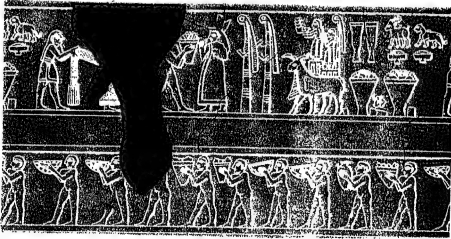
تعد هذه القصيدة الاسطورة واحدة من أكثر القصائد شهرة ، وهي من الناحية الادبية يمكن أن تصنف كنوع من البليال (الحوار مع الموسيقى) أو الادمندوكا (المنظرات) وتبدأ بمخاطبة الإله أوتو إله الشمس السومري لاخته اناثا حول الكتان الذي بذره في الأرض وكيف أنه سيجلبه لها من الشجرة فتجيبه اناثا (أخي ، بعد ان تجلب لي الكتان ، من سيجلبه لي؟) فيجيبها أوتو بأنه سيجلب الكتان لها محلوجاً . . وهكذا تستمر الحوارية على نفس النسق بعد الخلع يأتي الغزل ثم الجدل ، ثم السداء ، ثم النسج ، ثم القصر حتى تقول اناثا لأخيها (أخي وبعد أن تجلب ملاءة العرش من سينام معي؟ (فيقول لها بأن عريسها الذي هو دموزي الراعي هو الذي سينام معها لكنها تقول ترفض ذلك وتقول بأن انكمدو الفلاح هو رجل قلبها وأنه سيكّوم لها اكداكس الحبوب . فينصحه أوتو بالزواج من الراعي بسبب قشده الشمية وحليبه ولبنه لكن اناثا ترفضه بسبب ملابسه الرثة وصوفه الخشن وتفضل عليه الفلاح الذي يزرع الكتان للملابسها ويزود مائدتها بالشعير ، وهنا ينتفض دموزي ليقول :

لماذا تتحدثين عن الفلاح؟

لماذا تتحدثين عنه ؟

إذا أعطاك صوفاً أسود ،
 إذا أعطاك طحيناً أبيض ،
 سأعطيك صوفاً أبيض
 إذا أعطاك جعة
 سأعطيك حليباً صراحاً
 إذا أعطاك خبزاً
 سأعطيك جبناً حلواً
 أنا الذي سأعطي الفلاح بقايا قشديتي
 أنا الذي سأعطي الفلاح بقايا حليبي
 لماذا تتحدثين عن الفلاح ؟
 ماذا لديه أكثر مني ؟ ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٥٠).



شكل (٧٠)

تقديم الهدايا إلى إناثا من قبل دموزي وأتباعه

٤. إنانا تلتمس موافقة أبيها القمر

تخبرنا هذه القصيدة أن إنانا تشعر بالحاجة لكي تلتمس موافقة أبيها الإله نانا (إله القمر) قبل أن تمنح نفسها إلى عاشقها دموزي... وتبدأ القصيدة بذكر تفاصيل عن زينة إنانا لمختلف أنحاء جسدها بمختلف أنواع الحجارة الكريمة والمجوهرات والحلي واللآلئ. فصدرها مزين بحجر اللازورد، وأزديها ورأسها مزينة بالخرز البيضوي، وضيقات شعرها مزينة بحجر الدور واذانها مزينة باقراط برونزية، ووجهها وانفها وعجيزتها بأنواع الحلي، منرتها مزينة بالأستر اللامع، وفرجها مزين بالصفصاف، وأقدمها مزينة بخفين. ويعد أن تترين إنانا بزيئتها هذه وتخرج ترى دموزي واقفاً لها بباب حجر اللازورد (باب جيار) لكنها ترسل رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج من دموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي،

سوف آخذ إلى هناك أمًا وشوم كال آنا،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد - ينعش القواد

ضمه القلب إلى القلب - لذته بالغة الحلوة»

(كريز ١٩٨٦: ١١٢).

٥. إنانا تلتمس موافقة أمها نينكال

في هذه القصيدة تلتمس إنانا موافقة ونصح أمها حيث يأتي دموزي إلى بيت إنانا وهو يحمل هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها، فتبدي إنانا تردداً في قبول مجيئه، لكن أمها تحثها على الإذن له بالدخول:

«هو ذا الفتى، هو أبوك

هو ذا الفتى، هو أمك

أمة تدلك كما تدلك أمك

ابوه يدللك كما يدللك أبوك ،

افتحي البيت ، اي مليكتي ، افتحي البيت

(كرير: ١٩٨٦ : ١١٢) .

وتقوم الإلهة أنانا بالاستعداد والتحضير لاستقبال دموزي . . .

«استحمت ومسحت جسدها بزيت الطيب.

غطت جسدها بالرداء الملكي الأبيض.

أحضرت باثنتها.

نسقت خرز قلادتها الفيزوزية حول عنقها.

حملت ختمها بيدها.

دموزي كان يتظرها بصبر فارغ.

إنانا فتحت له الباب.

من داخل المنزل كانت تشع أمامه

مثل ضوء القمر.

دموزي تطلع إليها والبهجة تغمر قلبه.

ثم أطبق عنقه على عنقها.

وقبلها ، ،

(الشوك: ١٩٩٢ : ٥٣) .

٦. اللقاء السري بين إنانا ودموزي

كانت إنانا توصف دائماً بالفتاة اللعوب ، وهي رغم استشارتها لأمنها وأبيها بشأن دموزي ، إلا أنها كانت تختلي بحبيبها سرّاً لوحدهما على ضوء القمر . ففي قصيدة رائعة من قصائد الحب تبدأ إنانا بالحديث عن نفسها كملكة وكالهة لكوكب الزهرة ثم تروي كيف أنها تمضي الوقت طوال النهار في الرقص والغناء حتى يأتي الليل فيلتقي بها دموزي

١) الكهنة يهيئون الفراش المخصب للعروسين في معبد إنانا :

في معبد إنانا (اي - آنا) اي بيت السماء يقوم الكهنة (لابسو الكتّان) بأعداد الهيكل وغسله بالماء ثم يخبرون دموزي الذي كان قد قدم إلى المعبد بأن إنانا قد جاءت ويحرقونه على التقدّم نحو عرشها . فيتقدم دموزي نحوها وتعهده إنانا بأنها ستحقق الرفاه للبلاد وللناس وسيسود العدل ، فيقوم دموزي بالطلب من إنانا أن توزع الشراب والطعام :



شكل (٧٣)

كاهنتان يدور ديموزي وإنانا ، نفس الألف الثاني ق.م

«صديق يا إينين هو حقل

أي إنانا ، صديق هو حقل :

حقل متسع ينتج الزروع

حقل فسيح يسكب الحبوب !

إنشري من أجل الملك

الشراب بوفرة ، إنشري من أجل الملك ،

فيضاً من الأطعمة

الشراب بوفرة ، من أجل الملك والأطعمة انشري

فيضاً من الأطعمة

تقبلي أن أحصل عليها من قبلك ، ،

(الشواف ١٩٩٦: ١٢٢).

(ب) اله النار يظهر الفراش المخضب للعروسين في معبد إنانا:

في معبد إنانا ايضاً يقوم اله النار (جيبيل) بتطهير الفراش المخضب للإلهين ، ويمكن أن يكون هذا طقساً سحرياً ثم يزينه بحجر الالازورد ويقيم لهما مذبحاً في بيته المليء بالقصب لتأدية الشعائر ، ثم يلتمس من انانا لكي تبارك الملك دموزي في ليلة الحب وتمنحه الصولجان والمحجن ، ثم يظهر تحرق الملك لاشتواء اللقاء واعداده الغطاء لفراش الزواج وأمانيه بأن تجعله انانا حلوأ يبهج القلب ، ثم يعرفنا النص بالإلهة ننشوير وزيرة انانا التي تقوم بقيادة الملك إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما جاورها ، وأن يزيد زواجهما خصوبة التربة والأرحام والوفرة للجميع :



شكل (٧٤)

كاهنان بدور دوموزي وإنانا

سوسة : الألف الثاني ق.م

وما أن يلتقيان حتى يتضاجعان ويتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو المتني ، فتبدأ الحبوب بالنمو ويطلع الزرع في السهوب والمروج أما إنانا فيملاً قلبها السرور وتطلب منه ان يقدم لها اللبن الدسم والطازج من يده ، وأن يدفق من أجلها لبن الماء ويملاً مخضّتها المقدسة وتعدّه بأن تحافظ على مستودعه وحظيره وتسهر على بيت الحياة حيث تقرر مصائر الناس والكائنات الحيّة .

د . منتهى سعادة انانا هو النوم بقرب دموزي

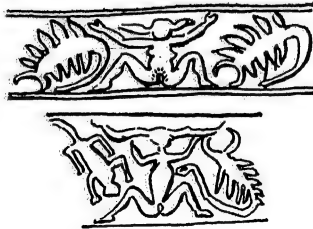
في بلبال صغير هناك حديث لمرافقات انانا للإشادة بدموزي صهر الإله القمر وننكال حيث تكيل مديح له باعتباره قائد سفينة (ماجور) وسائق العربة والأب والقاضي والذي يزود أمها بكل الخيرات فتجيب انانا .

«قدومك يبعث الحياة»

قدومك إلى البيت يحمل الكثرة

النوم بقربك ، منتهى سعادتني ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٢٦) .



شكل (٧٦)

إنانا إلهة الجنس ، ختم اسطواني من أور

هـ. موسيقى مخضبة الحليب

يدور هذا التشيد المكوّن من أربعة مقاطع حول موسيقى مخضبة الحليب وكيف ان هذه الموسيقى تجعل إنانا تتهيج وتفرح ، وفي المقطع الثالث يغوي دموزي حبيبته الدخول إلى الحظيرة التي ستتهلل أمامها وعندما تقترب من المغالف فالنعمجات سينشرن صوفها في حضنها ، وبعدها سنتضج القشدة واللبن وتكون الحظيرة خصبة ليتمكن دموزي من تمديد حياته وأيام الكثرة .

يا للنغم العذب ، مثل صوت بقرة

يا للصندى العذب ، مثل صوت عجل

أي إنانا ، انت التي تطوفين في الحظيرة

ما أن تصلي إليها آيتها الصبية

حتى تُسمع المخضبة نغمها . . أي إنانا !

مخضبة حبيبك سوف تُسمع نغمها !

مخضبة دموزي سوف تسمع نغمها

المخضبة سوف تسمع نغمها . . أي إنانا !

مخضبة دموزي سوف تسمع نغمها ، ،

الشواف ١٩٩٦ : ١٢٧).



شكل (٧٧)

كاهنان بدور دموزي وإنانا ، في طقوس الزواج المقدس

يا حبيب امه ، انت لي !
انت ذو اليدين الناعمتين والرجلين الجميلتي الشكل !
إغمرنني بحنوك إلى الأبد !
أنت الذي بحبيرة وإقدام ، سحرت لي
سُرَّتِي (يا حبيب أمه ، أنت لي)
أي . . ذو حلقات الشعر الجميلة : الحسن
الذي ينمو قرب الماء ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٣١) .

ح . آه . . كم هو مرتفع صدري

هذه قصيدة حوارية طويلة بين أنانا ودموزي ويظهر مرافقات أنانا قريبا وتبدأ
القصيدة بالحوار بين العاشقين وسؤال دموزي لها عن ما فعلته في دارها فتجيبه بأنها
استحمت وتزينت بكل ما لديها من أدوات زينة ، أما هو فيجلب لها الهدايا وخصوصاً
الارغفة التي يربتها حول صورتها ثم تأمر: أنانا تابعاتها أن يجلبن القشدة والجنة له . أما
دموزي فيجلب لها الجداء الجميلة والنعاج ، وبعدها تتحرق أنانا شوقاً للقاء دموزي
وتخبره بما حصل بها :

آه ، كم هو متنفخ صدري
وأية فروة كست فروحي
لتكن سعيدات ، أنا التحق بحضن حبيبي
سنيد الكرم والجود
إرقصن ، ارقصن جميعكن
قسماً ب (باو) لتكن مبتهجات من أجل فرجي
إرقصن ، إرقصن جميعكن

سوف تكون خاتمة هذا اللقاء جيدة

بل ممتازة من أجله

أحضرن ، إحضرن ، إحضرن القشدة كثيفة

والجعة مثملة ، ،

(الشواف ١٩٩ : ١٣٤).



شكل (٧٩)

رجل وامرأة في مشهد الزواج الالهي المقدس فوق جذع
شجرة وإلى جانبيهما الحية؛ طبعة ختم مسطح من الألف الرابع ق.م
تية كاورا - العراق

ط . يتجه نحوي تحت حرّ الظهيرة

هذه قصيدة غزل قصيرة توضح كيف أن دموزي أدخل إنانا إلى حديقته وجعلها
تركن معه على زهراء مرتفعة وكيف أنه وضعها تحت شجرة تفاح، ويبدو أنه تركها في
الحديقة فقامت هي بانتاج خضار وحبّ له وعندما جاء سكبتها أمامه

بد ان نعرث عليها ذات يوم . ونرى إنانا تعترف بأنها سببت له هذا المصير القاسي القادم .

«أنا التي بدون شك سببت لك هذا المصير القاسي يا أخي ياذا الوجه الجميل !

لقد وضعت بك اليمنى على فرجي

وكانت بك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين :

ولهذا السبب ، أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة !

هذا ما سيكون يا (ماتهم) النساء ، يا أخي

ياذا الوجه الجميل !

كم كان إغراؤك غلباً ، يا حامل أزهار

يا حامل أزهار ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٤١)

إذن نحن أمام سبب جديد هو ما فعله دموزي مع إنانا من أفعال الحب فهل كانت غير راضية ؟ لا نعتقد لأنها تقول (كم كان إغراؤك غلباً) . . إذأما هو السبب ؟ ما زلنا نرى أن في أصل دموزي يكمن السبب . .

فهل كان دموزي بشراً أو ملكاً ومنح الألوهية . . وكان لا بد بسبب أصله البشري أن يواجه الموت كما يواجه البشر ، ولكنه بسبب من الوهية أيضاً واجه موتاً دائرياً ، يخرج ويدخل إلى العالم الأسفل إلى الأبد كل نصف سنة .

أم أن دموزي من الآلهة الثانوية (ربما الإيجيجي) أو آلهة العمل بحكم كونه راعياً ولذلك كان من المستحيل عليه الزواج بآلهة عظيمة مثل إنانا . . وعندئذ حصل هذا وأحببت النجمة الزاوي وكان لا بد أن تبنت له مصيراً قاسياً ، وفي هذا أيضاً ما يدفعنا للقول بأن دموزي هو الإله الوحيد من نسل انكي الذي تزوج إلهة من نسل انليل فكان لا بد أن يموت .

أم نبتعد أكثر فنقول أن مستوى حب الآلهة كان روحياً ورفيعاً، فعندما هبط به دموزي إلى الأرض ومّرهه بالجنس المكشوف والحاجة الملحة للطعام والشراب، أصبح دموزي هدفاً للموت.

كل هذه الاسئلة وغيرها تثيرها هذه القصيدة وغيرها، لكننا قد نجد مفتاحاً للأسئلة عندما نقرأ مصير دموزي والنصف الثاني من حياته.

القسم الثاني

أساطير ومراثي دموزي

لا شك أن أسطورة نزول إنانا للعالم الأسفل هي الحادثة التي تفصل بين القسمين الأول والثاني من هذه الأساطير، وستتناول هذه الاسطورة لاحقاً حيث تنتهي بخروج إنانا من العالم الأسفل ومعها جنود ذلك العالم (الكالا) الذين يرافقوا إنانا كي تأتي ببدل عنها ليعودوا به إلى العالم الأسفل وحين تمر بمدنها التي تركتها قبل أن تنزل واحدة بعد أخرى ترى أن الجميع كان حزيناً عليها لكنها حين تصل إلى أوروك فإنها تجد دموزي فرحاً ومن هنا تبدأ المأساة.

١. إنانا تختار دموزي بديلاً عنها

في أوروك وقرب شجرة التفاح الكبيرة كان دموزي، زوج إنانا، مرتدياً ملابسه الزاهية من (الامي) وكان يجلس على عرشه العظيم، فعندما رآته إنانا هكذا نظرت إليه بعين الموت وأطلقت ضده صرخة الغضب ونطقت بحقه القرار بالجرم (خذوه! اخذوا دموزي معكم).

«الغالا الذين لا يعرفون ما هو الطعام، ولا يعرفون ما هو الشراب

الذين لا يتناولون تقدمات، ولا يشربون مهراًفاً،

الذين لا يتقبلون هدايا، أمسكوا بدموزي

أجبروه على الوقوف، أجبروه على القعود

وضربوا زوج إنانا

جرحوه بالفأس
دموزي انتحب عالياً
رفع يديه إلى السماء إلى أوتو إله العدل وتضرع إليه»
(الشوك ٩٩٢ : ٩١).

٢. فرار دموزي الأول

يطلب دموزي من الآله أوتو أن يحول ذراعية إلى ذراعي أفعى وكذلك قدميه حتى
لا يمسك به العفاريت فيستجيب له أوتو :
«أوتو الرحيم تقبل دموع دموزي
أحال ذراعي دموزي إلى ذراعي أفعى
أحال قدمي دموزي إلى قدمي أفعى
فهرب دموزي من عفارته
ولم يعد بمقدورهم الإمساكه»

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٢)

ويبدو أن دموزي رحل إلى بيت بلدته حيث بيت اخته كشتن أنا ولكنه قبل ان يصل
البيت حلم حلماً

٣. حلم دموزي

كان دموزي قبل الوصول إلى بيت اخته حزينا وقد رثى نفسه وهو في طريقه إليها
«أيتها البرية ، إعولي من أجلي
أيتها السرطانات في النهر ، تفجعي عليّ
أيتها الضفادع في النهر ، نقي من أجلي
يا أمي ، سرتور ، إيكبي من أجلي
إن لم تجد أرغفة القربان الخمسة

إن لم تجد أرغفة القربان العشرة

إن لم تعلم بيوم موتي

أنت، أيتها البرية، خبريها، خبري أمي

في البرية، ستندرف أمي الدموع من أجلي

في البرية، ستحزن شقيقتي الصغيرة علي،،

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٢).

ومن شدة تعبهِ وبكائه استلقى بين الاعشاب وحلم حلماً مفزعاً. وحين وصل إلى بيت اخته روى لها الحلم :

«أسلٌ يشطأ فيما حولي، أسلٌ ينمو بغزارة حولي

قصبةٌ فريدة نامية اهتزت أمامي

من قصبة ثنائية المنبت، اختفت واحدة أول الامر، ثم الأخرى.

في أجمة أشجار، تعالى رعب الأشجار من حولي

ماءٌ أهرق فوق موقدي المقدس

قعر ممخضتي انفصل عنها

كأس شرابي هوت من مشعبها

عصاي اختفت

نسرٌ خطف حملاً في الخطيرة

بازٌ انقضَّ على عصفور حط على السياج القصبي

شقيقتي، عزاتك تجر ذقونها الفيزوزية على التراب

خرافك تخط على الأرض بحوافر معوجة

الممخضة مهملة هناك : لا حليب يُصب

الكأس ملقاة مهمشة : دموزي لا وجود له

حظيرة الغنم تصفر فيها الرياح ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٤).

هذه الصورة البديعة لحلم دموزي تنبئ عن مصير شديد القساوة فعلاً فقد فُزعت أخته وفسرت له الحلم فقرةً فقرةً وكانت كل فقرة تقول بموت دموزي واخته . .

٤. العثور على دموزي

تقوم كشتن أنا مع دموزي وصديقه بالصعود إلى التل والنظر إلى الطريق وإذا بهم يرون أن الكالا الكبار قادمون ويحملون خشبةً لقيد الرقبة فتقول اخته له اذهب واختبئ ، ويختبئ دموزي بين النباتات الصغيرة والأشجار الكبيرة وفي قنوات أرالي . وتعدده اخته وصديقه بأن لا يكشفها مكانه ويرى الكالا بأن دموزي لا يختبئ في بيت اخته أو صديقه أو صهره ، فيذهبون لأخته ويغروها لتفشي سر مكان دموزي (قربوا السماء نحوها . . قربوا الأرض نحوها ، كشتن أنا لم تحر جواباً لمزقوا ملابسها . . سكبوا قطراناً في رحمها ، كشتن أنا لم تحر جواباً) ثم ذهبوا لصديقه وأغروه بالحبوب كهدية فقال دموزي اختبئ في العشب لكنني لا أعرف المكان ثم بحثوا بين النباتات الصغيرة ثم الأشجار الكبيرة ثم قال صديقه (دموزي اختبئ في قنوات أرالي) وهكذا وشي الصديق بصديقه فقبضوا على دموزي الذي صرخ قائلاً (شقيقتي أنقذت حياتي . . صديقي سبب موتي) .

وهكذا أحاط بدموزي الكالا وقيدوا يديه ورقبته وضربوه ، لكنه رفع يديه إلى السماء وطلب من أوتو إله العدل أن يغير يديه إلى يدي غزال وقدميه إلى قدمي غزال ليدهعه يهرب إلى كويرش حيث العجوز بليلي فيفعل .

٥. فرار دموزي الثاني والثالث والقبض عليه

ويقر دموزي بقدمي ويدي غزال إلى مدينة (كويرش) حيث بليلي العجوز ليلتجئ إليها وتصب له الماء ليشرب والطحين ليأكل ثم تغادر المنزل ، وإذا بجموع الكالا يدخلون المنزل حين خرجت ولكن دموزي يهرب مرة ثالثة إلى حظيرة اخته فيلحقونه .

«عندما شاهدت كشتن أنا دموزي في الحظيرة ، بكت

قربت فمها من السماء
قربت فمها من الأرض
حزنها غطى الأفق كرداء»

وخمشت عينيها وفمها وفخذيها وكان الكالا يتسلقون سياج القصب فوجدوا
دموزي، وتقدم الأول وضربه على خده بمسمار حاد، والثاني على خده الآخر بعصا
الراعي، والثالث هشم قعر المخضبة، والرابع أسقط كوب الشراب من مشجبها، والخامس
حطم المخضبة، والسادس حطم الكأس أما السابع فصاح :
«أفق دموزي !

زوج إنانا ابن سرتور، شقيق كشتن أنا
أفق من نومك الزائف
نعاجك صودرت ! حملاتك صودرت
عنزاتك صودرت ! جديانك صودرت
إخلع تاجك المقدس من رأسك
إخلع رداء الـ (مي) من جسدك
دع صولجانك المقدس يسقط على الأرض
إخلع نعليك المقدسين من قدميك
عريانا، تمضي معنا،

(الشوك ١٩٩٢ : ١٠٦).

وهكذا قبضوا عليه، وتركوا الخطيرة تعزف فيها الرياح وذهبوا به إلى العالم الأسفل
بديلاً عن إنانا.

٦. مرآتي إنانا وتسليم دموزي إلى يدي الأبدية

حين اختفى دموزي حلت الفاجعة في مدينة أوروك، وعلى غير ما توقعت إنانا
بأنها ستكون فرحة بأن يذهب بديلاً عنها إلى العالم الأسفل سباد الحزن كل شيء واقعي

المناحة في المدينة ، وبكت انا بكاءً مرأً على زوجها ومنزلها ومدينتها :

«أسائل التلال والوهاد : أين زوجي

أقول لها : لن يكون بمقدوري بعد الآن أن آتي له بالعظام

لن يكون بمقدوري بعد الآن أن أقدم له الشراب

إبن آوى ينام في فراشه

الغداف يقيم في حظيرته

تسألونني عن مزماره؟

لا بد أن الريح تعزف به الآن له

تسألونني عن اغنياته العذبة ؟

لا بد أن الريح تغنيها له»

(الشوك ١٩٩٢ : ١٠٨).

وتفعل سرتور ذات الشيء وتبكي ابنها بمرارة وتذهب إلى مكانه المهجور وكذلك
تفعل اخته كشتن أنا ، وحين تشاهدها انا تقول لها (ان منزل شقيقك لم يعد له وجود وأنا
لا اعرف مكان دموزي) فتظهر الذبابة وتحوم فوق رأس انا وتقول لها (إذا أخبرتك اين هو
دموزي ماذا ستقدمين لي) فترد انا (إذا أخبرتكني سأجعلك تترددين على حانات البيرة
والحانات حيث تسمعين أحاديث الحكماء واغاني المغنين) فتقول الذبابة انه هناك على
مشارف البيرة فتذهب انا وكشتن أنا إلى دموزي ويجدونهم يبكي ، حينها تمسك انا بيد
دموزي وتقول :

«ستمضي في العالم الأسفل

نصف السنة

وشقيقتك ، حسب ارادتها ،

ستمضي النصف الآخر

وفي اليوم الذي تستدعي أنت ،

في ذلك اليوم سنوف يأخذونك
في اليوم الذي تستدعى كشتن آنا
في ذلك اليوم سيطلق سراحك
إنانا أسلمت دموزي الى يدي الأبدية ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١١٢)

وعند هذا الأمر يتقرر المصير الأخير لدموزي فهو الى الأبد سيقبى أسيراً بين العالم
الأرضي والأسفل يدور بينهما

٧. إنانا والعجوز بليلي (بليلو)

هذه اسطورة غريبة ورائعة في نفس الوقت ، ولها أهمية خاصة في توضيح
جذر فكرة (العشاء الاخير) المسيحية من خلال ما حدث لدموزي وإنانا وبليلي .

تبدأ الأسطورة بوصف حظيرة دموزي وكيف أنها أصبحت خربة وأن البكاء مستمر
عليه فتسأذن إنانا أمها نكال لتسمح لها بالذهاب الى حظيرة أغنام زوجها لترى بنفسها ما
حدث ، وتذهب إلى هناك وهي (العارفة جداً ، الذكية جداً) وتجد أن أغنام دموزي قد
تشبت في البوادي فتقوم بجمعها ، ثم تصوغ مربية لدموزي تدعوه فيها أن يُبعث وأن يقوم
من رقاده :

«أنت يا من ترقد ، أيها الراعي ، أنت يا من ترقد ، قم إرع شؤوني دموزي ، أيها
الراقد قم ارعها

نهاراً ، منتصباً ، فلترع شؤوني

ليلاً ، مضطجعاً ، فلترع شؤوني ،

(كريم ١٩٨٦ : ١٨٨).

ثم تصادف انانا عائلة إلهية في تلك الأماكن مكونة من ثلاثة أفراد هم :

١ . العجوز بليلي (بليلو) وهي قيّمة ، تعرف شغلها وسيدة هبات .

٢ . جرجير : ابنها وهو رجل متوحد سريع البديهة ولص ماشية وحبوب .

٣. سرو : حفيدها وهو فتى لا أصدقاء له يمضي وقته في محادثة أبيه .

ويبدو أن موقف بليلي العجوز من دموزي وهريها من بيتها بعد أن جاء وقدمت له الماء والطحين ، بحيث كان هرويهما سبباً في دخول الكالا والقبض على دموزي ، هذا الموقف هو السبب في جعل إنانا تقرر مصائر جديدة لهذه العائلة وهي :

١ . قتلت العجوز وحولتها (وربما حولت جلدتها) الى قرية ماء بارد .

٢ . جعلت ابنها إلى جانبها ليصبح (اودوج) القفر و(لاما) القفر .

٣ . جعلت حفيدها يجوب ارجاء القفر ويسكب الماء ويرش الطحين ثم يقيم محلين للراحة وأن هذا كله سوف يجعل العجوز بليلي مسرورة .

ويبدو أن ما قامت به انانا يذكر بما قدمته بليلي لدموزي (الماء والطحين) فقد ارادت ان تبقي ذكرى لآخر ما تناوله دموزي وان تعمل ما يشبه الثواب أو ما يذكر به ، فقتلت العجوز وصنعت من جلدتها قرية وجعلت الماء يقدم في محل والطحين يقدم في محل آخر . وإن هذا كله سيكون بمثابة الخبز الرياني الذي يقدم في تلك البرية استذكراً (للحشاء الأخير) الذي تناوله دموزي .

ومن المؤكد أن كل حياة دموزي تذكر بقصة السيد المسيح وأن لنا ما سنقدمه في هذا المجال لتؤكد صلة الأديان ببعضها . . وكيف أن الدين السومري رغم قدمه شحن الأديان اللاحقة بأساطيره وطقوسه الكثيرة حتى وإن كانت هذه الأديان موحدة كالمسيحية .

٣. إنانا وملوك سومر

يعتبر طقس الزواج المقدس وأناشيده وأساطيره واحداً من أهم الطقوس الدينية والدينية، فقد أصبح زواج إنانا ودموزي، مثار اهتمام ملوك سومر منذ القدم وتحديدًا منذ الملك اينمركار الملك الثاني من ملوك اوروك . . . وبقينا ان الكثير من ملوك سومر (بل جميعهم) قد مارسوه وتركوا لنا نصوص الاحتفال به لكننا سنخصص بالذكر ستة نصوص جاءت من أربعة ملوك هم شولجي الملك الثاني لأور (٢٠٩٣ - ٢٠٤٦) ق.م. والملك شوسين الملك الرابع لأور (٢٠٦٣-٢٠٢٨) ق.م. ، والملك إيدين - داجان ملك مدينة إيسين (١٩٧٤ - ١٩٥٤) ق.م. ، والملك إيشمي داجان ملك مدينة إيسين (١٩٥٣ - ١٩٣٥) ق.م. .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن إنانا في هذه النصوص تمثلها الكاهنة العليا التي يتزوجها الملك مع بداية عيد رأس السنة.

ولا بد قبل ذكر نصوص الزواج المقدس الملكية التطرق لاسطورتي إنانا وكلكامش باعتباره ملك اوروك قبل هؤلاء الملوك زمنياً.

١. إنانا وكلكامش

أ. اسطورة الثور السماوي: وهي من القصص السومري الخاص بكلكامش ولكنها ترتبط بالإلهة إنانا، فقد أدهش كلكامش ببطولاته وقررت إغواءه وجعله حبيباً لها وعرضت ذلك عليه، لكن كلكامش رفض عرضها هذا وذكرها بالذين أحببتهم: دموزي الذي نفثه إلى العالم الأسفل وطائر الشقراق المرقش الذي ضربته وكسرت جناحه، والأسد الذي وضعت له المصائد، والحصان الذي سلطت عليه السوط، والراعي الذي مسخته ذئباً . الخ. فشكت إنانا كلكامش إلى الإله أن وطلبت منه جراء هذه الاهانة أن يسلط على أوروك مدينة كلكامش الثور السماوي فرضخ مرغماً لها، وهكذا نزل هذا الثور السماوي على مدينة كلكامش وكانت إنانا تراقب ما يفعله بها من على أسوار المدينة ودمر الثور المدينة، وبث في أهلها الرعب والهلع وقتل الناس وهدم البيوت وتداغت سقوفها على الشيوخ والأطفال.

وحين رأى كلكامش ما يفعله هذا الثور بمدبته قرر منازلته وتصدى له وصرعه في

وسط المدينة وتجمع الناس حول كلكامش، أما إنانا فقد غاضبها ما حصل لثورها السماوي وانتصار كلكامش على ارادتها . ويسمى الثور السماوي بالسومرية (كوآآ) وفي الأكديّة (ألو).

ب. اسطورة شجرة الخوليو: وتسمى شجرة الخلاف ويعتقد أنها شجرة الصفصاف التي كانت لإنانا ترعاهما على شط الفرات حتى هبت ذات يوم الريح الجنوبية واقتلعتها فحزنت إنانا وقدمت بها وغرستها في حديقته المقدسة ورعتها راغبة، إذا كبرت الشجرة، صنع كرسي وسرير لها من خشبها . . وبعد وقت من الزمان كبرت الشجرة وارادت إنانا تنفيذ رغبتها فامسكت الفأس وحاولت قطعها لكنها فرجت أن طائر الصاعقة (زو) قد بنى عشه على اغصانها ووضع فراخه فيها، وأن عذراء الأرض المقفرة الشيطانة (ليليث) التي كانت تهيم في البراري ليلاً قد نخرت وسطها وسكنت فيه، وأن الحية استقرت في قاعدتها . بكت ابنة السماء بكاءً مرّاً لما حصل لشجرتها وحين علم (أوتو) أخوها نصيحها بأن تنادي كلكامش ليعالج الأمر.

وحين جاء كلكامش إلى شجرة الخوليو ورأى طائر الزو فوقها وليليث وسطها والحية في قاعدتها شهر فأسه وضربها فماتت الحية، وذعرت ليليث وهربت، أما طائر الزو ففر من أعلى الشجرة حاملاً صغاره إلى الجبال . وبعدها قام كلكامش بتقطيع الشجرة وحوّلها إلى أخشاب صنع منها كرسيّاً وسريراً لإنانا . . وفي مقابل ذلك صنعت انانا لكلكامش طيلاً اسمه (بكو) ومن اغصان الشجرة صنعت مضرب الطبل اسمه (مكو) وأهدتهما إلى كلكامش ليستمتع بعزف الطبل ومضربه .

وفي النص السومري ثم النص الأكدي لكلكامش يرد ذكر الطبل ومضربه حيث كان كلكامش يستعملها في حياته الخاصة ثم تذكر لنا اسطورة أو قصة كيف سقط الطبل ومضربه في العالم الأسفل وكيف حاول إنكيديو اعادتهما إلى كلكامش من هناك دون جدوى بل أن أنكيديو فقد حياته على الأرض بسبب ذلك (كما في القصة السومرية).

هذه الاسطورة حرّرها كيريم في كتابة عن الأساطير السومرية (انظر كيريم ١٩٧١).

٢. أنانا وشولجي :

تبدأ القصيدة بوصف شولجي باعتباره (الراعي الأمين) وهي أوصاف دموزي، وهو

يحمل نواميس ال(امي) في سفينته متوجهاً من اور إلى اوروك ومعه القرابين والهدايا ليلقى
انانا في معبدها (بيت السماء) ، وحين شاهده الإلهة بهذا المنظر المهيب والمتألق وهي
تتحدث بكلام مليء بالشوق والرغبة :

«عندما ساستحم من أجل الملك ، من أجل الإله

وعندما من أجل الراعي دموزي ، سوف أستحم

ويعد أن أزين ردفيّ

وعندما أدهن شفتي بالمرهم العنبريّ

وأضع الكحل حول عيني

وعندما ستضغظ يداه الساحرتان على قطني

ويعد أن يعمد الاله الراعي دموزي ،

المضطجع بقربي ، أنا إنانا المقدسة

بعد أن يعمد إلى دحك ثدييي اللبني والطلّي ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٦٦).

وبعد أن تتابع ما سيحصل معها وما تبادل ، تقوم بتوضيح وتفصيل المصير المعجيد
الذي تخصصه له وكيف أنها ستكون معه في المعارك وكيف أنه يستحق التاج والعرش
والصولجان وتقرر مصيره الذي لا بديل له (انانا تحبك وأنت مفضل امها نليل) ثم يصف
الشاعر زيارة شولجي لمعبدين سومريين آخرين ويعدها يعود إلى مدينة أور حيث يباركه
الإله نانا أب إنانا وإله مدينة اور .

وفي حوارية بين الملك شولجي وإنانا من أجل إخصاب الحقول والبساتين يطلب
شولجي أن يذهب معها ويرى ما تفعله ، فتأمر احد الفلاحين ليحرق أرض شولجي ثم
يذهب انانا وشولجي الى البستان ويتفقدان اشجاره وفواكهة .

٣. أنانا وشوسين

الملك شوسين معروف بحبه للنساء المكرسات للإلهة إنانا ، وهناك ما يدعوه

للمقارنة بين أناشيد الزواج المقدس لشوسين وإنانا ونشيد الإنشاد لسليمان .

هناك قصيدتان شهيران الأولى مفعمة بالفاظ الحب واللذة

«أيها العريس ، الغالي على قلبي ،

عظيمة هي مسرتك ، حلوة كالعسل

أيها الليث الغالي على قلبي

عظيمة هي مسرتك ، حلوة كالعسل

لقد أسرتني ، أقف مرتجفة أمامك

أيها العريس لو تحملني إلى الخدر ، ،

(كويجر ١٩٨٦ : ١٣٥).

وتمضي القصيدة طافحة بالنشوة والحب والجمال بوتائر متشابهة .

أما القصيدة الثانية التي كانت فيها (كوياتم) الكاهنة هي القائمة بدور إنانا والمقربة إلى شوسين والملقبة بالملكة ، فتبدأ بالإشادة بولادة الملك ثم تطلب منه الملكة ان يدير وجهه نحوها وتمجد شوسين كملك عظيم ثم تعود الحبيبة لاثارة الملك :

«عذب يا الهي هو شراب الساقية!

فرجها هو كالشراب! فرجها عذب كشراب

فرجها وشفثاها هي عذبة كشراب

وشرابها فائق الحلوة ، فائق الحلوة شرابها ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٧٦).

وهناك قصيدة ثالثة وصلت إلى الملك شوسين حيث تستعد الحبيبة للاقتران بالملك الراعي ، ولذلك تطلب من والدتها تسريحة شعر مرفوعة إلى الأعلى مثل الخس :

«شعري هو خسة تنبت بجوار الماء

خسة جاكول تنبت قرب الماء

مشطت تجعيداته ولمعت
شعري جمعته مرضعتي عالياً
كما كثفته بواسطة الماء»

(الشواف ١٩٩٦ : ١٧٧)

ثم تأتي القصيدة على مديح شوسين من قبل الكورس ثم من قبل الحبيبة .

٤. اثانا وإيدن داجان

في هذه القصيدة هناك تفاصيل واضحة عن مراحل الزواج الإلهي وطقوسه ، ان الملك إيدن داجان (١٩٧٤ - ١٩٥٤) ق .م هو ثالث ملك لمملكة إيسين التي تلت مملكة اور .

المرحلة الأولى من الزواج الالهي تبدأ بتهيئة القصر حيث يتم نصب الفراش الذي سيتم عليه الطقس / الزواج الذي تحيط به أغصان واخشاب الارز وياقات الأسل .

ثم تبدأ مرحلة استحمام الاله والملك معاً وهو نوع من التعميد أو الاغتسال قبل الزواج ثم تنقل الإلهة إلى القاعة الخاصة بالزواج حيث تنثر الطيوب على أرضها ثم يتبعها الملك ويقوم بمضاجعتها في الفراش المقدس .

أمر الملك بأقامة منصة لسيدة القصر ،

حيث اضطجع معها العاهل الإلهي

من أجل ضمان حياة كامل البلاد

وللاحتفال بمناسبة اليوم الاول (من العام) ،

ولكي ينفذ بحرص الطقوس المقدسة

ل (يوم المضاجعة)

في رأس السنة ، حلول (تنفيذ) تلك الطقوس

نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي

طهر (الفراش) بواسطة الأسل والارز العاطر،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٧٩).

ويوصف الملك في هذه القصيدة بأنه الملك - الشمس وهذا الوصف ساد طويلاً في حضارات وادي الرافدين والحضارات المجاورة، كذلك يوصف الملك بأنه دموزي من خلال أحد القاب (أما اشموكال أنا) وهو دموزي طلع النخيل واخصاب النباتات، وفي رأينا تؤثر تلك الصفات بدء ترسيخ الصورة الشمسية الذكورية لدموزي بعد أن كانت جذوره غارقة في أصل قمري أنثوي.

ولنستمع إلى السومريين وهم يرددون كلاماً بعد نهاية الطقس :

«وأمام إنانا ردد ذوو الرؤوس السود (قائلين) :

«على وقع الطبل الذي يفوق الرعد هديره

والقيثارة ذات الموسيقى العلبة، التي

تسحر القصر

(وعلى النغم) الرباب المهدي لقلب البشر

أيها المنشدون، إسمعونا انغام البهجة ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٨١).

٥. إنانا وايشمي داجان :

هناك علاقة واضحة بين هذه القصيدة مع قصيدة لدموزي (إذا ما دخلت إنانا الحظيرة) حول مخضّة الحليب ، ويبدو أن صوت الملك ايشمي داجان كان علباً وكان يغني في هذا الاحتفال على صوت البقرة والعجل ومخضّة الحليب، هذه هي الاجواء السومرية الحصرية :

« يا للنغم العذب - مثل (صوت) بقرة !

يا للصدى العذب - مثل (صوت) عجل !

أي إنانا عندما تصلين إلى الحظيرة

وما أن تدخلها ، أيتها الصبية
حتى تسمع المخضّة نغمها أي إنانا
مخضّة حبيبك سوف تسمع نغمها
مخضّة ايشمي داجان سوف تسمع نغمها ، ،
(الشواف ١٩٩٦ : ١٨٢).

٤- إنانا والأنسان

رغم أن صلة الإلهة إنانا بالإنسان واضحة وهامة وبالذات من خلال ممثلاتها
العشتاريات على الأرض ونعني بهن من تتخذ صفة (الكاهنة العليا) . ولكن المقصود هنا
ليس هذه العلاقة بل تحديد أسطورتها مع الفلاح أو البستاني (شوكاليتود Shukaletudai)
والذي يظهر في أسطورة مشابهة على أنه ييلولو (وربما كانت أسطورة قائمة بذاتها) .

وتروي أسطورة (إنانا وشوكاليتودا) في بدايتها كيف أن الإلهة إنانا الموجودة في
السماء وفي معبدها الأرضي في أوروك (أي -أنا) ، هذه الإلهة تقرر النزول من السماء
إلى الأرض وذلك للتفريق بين الأشرار والأبرار ، ولسبر القلوب في البلاد والفصل بين
الحق والباطل ، لقد كانت الإلهة إنانا تمتطي الثور السماوي وهي في السماء ، والأسد
الأرضي وهي على الأرض وفي الحالين كانت معها النوااميس المقدسة السبعة التي حملتها
معهها يوم نزلت إلى العالم الأسفل .

وهكذا في الوقت الذي هيّطت فيه من العالم الأعلى علم بذلك الإله إنكي وهو إله
الأرض فطلب منها بأن يلتقيها مباشرة قبل بدء جولتها ، ولسبب لا نعرفه (بسبب انقطاع
النص) يقوم الإله إنكي باعطاء تعليماته إلى الغراب عن كيفية خلق وزرع شجرة النخيل ،
وهي أول شجرة مثمرة في أول بستان على الأرض :

«أيها الغراب لدي ما أبلغك إياه : استمع إليّ

كحل التعويند في أزيبدو

الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد

والموجود في غرفة بيت الأمير

(هذا الكحل) فتت و نغمه

وازرع حبيباته بين المساكب

بجوار المستنقع ذي الكراث ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ٨٨).

ويقوم الغراب بإنبات هذه (الشجرة الأبدية) كما يسميها النص ، ويعدد فوائدها :
حيث لسانها يمنح اللب ، ولحيثها تنسج منها الحصر ، السعف المحيط بساقها يستعمل
كمساطر قياس ، وسعفها يرافق المراسيم الملكية وأقراط تمورها متقدم كتقدمات للآلهة .

ويعد أن يروي النص قصة النخلة يأتي علي ذكر الفلاح شوكاليتودا الذي يعاني
بستانه من الجفاف وهبوب الريح ولكنه يقوم بتأمل السماء ومعرفة الأفلاك وعلى ضوء
ذلك يقرر كيفية زراعتها حتى أنه في خمسة وعشرة من مواضع البستان يغرس صفاً من
أشجار الصفصاف الكثيفة التي ظلالها لا تختفي في الصباح والظهيرة والمساء .

ثم تعود الأسطورة للذكر انانا التي بدأت جولتها السماوية والأرضية فبعد ان عبرت
عيلام والسويور تعبت واذا لاح لها بستان شوكاليتودا وصلت أو نزلت اليه وتمددت لكي
ترتاح ثم ربطت أمام شقها النواميس السبعة المقدسة ونامت .

وكان الفلاح يراقب كل هذا فقام بحل رباط الستر الواقى (أي النواميس المقدسة
السبعة) وولجها وجامعها ثم عاد الى الطرف الآخر من البستان . وعندما صحت إنانا فجراً
عرفت أنها اغتصبت وكان لا بد لها من الانتقام ل(فرجها المهان) وبذلك بدأت بتسليط
ثلاث كوارث على الأرض : الأولى أنها ملأت جميع آبار البلاد بالدم ثم جرت الدم إلى
أحواض البساتين كلها ، وكان الناس عندما يريدون ماءً لا يجدون سوى الدم (ولم تشرب
الرؤوس السوداء كلها سوى الدم) ، وكان ذلك كله لكي تخرج الفلاح من مخبئه ولكن
ذلك لم يحصل .

وذهب شوكاليتودا إلى الأب الإله إنكي ليتحاشى عقاب إنانا ، فنصحه إنكي بأن

يختفي مختلطاً لأهله وإخوته من ذوي الرؤوس السود (السومريين) ولن نجده إنانا . ولكن إنانا لم تهدأ فقامت بتسليط الكارثة الثانية على الأرض إذ حلت ، وهي راكبة على الغيوم ، وثاق الرياح السيئة واطلقت التفاف الزوابع وارتفعت وراءها الرياح المثيرة للعواصف الرملية الـ (بلي بلي) ودوامات الغبار وساعدها في ذلك (سبعة في سبعة) من السحرة في الصحراء ولكن شوكاليتودا ذهب إلى أبيه فأجابه بنفس النصيحة السابقة .

وحلت الكارثة الثالثة التي يفهم منها سدّ طرق البلاد ربما بالماء أو بتفجير أعماق العالم الأسفل (لا نعرف على وجه الدقة!!) دون أن نجده ولكنها ادركت أنه يختبئ عند إنكي . فرحلت إلى أبسو إنكي في أريدو وطلبت منه أن يسلمها المذنب . ووعدت إنكي بأن تاخذه دون أذى إلى معبدها (أي - آتا) . وهكذا تأخذ إنانا شوكاليتدا من أبسو أريدو إلى إيانا أوروك ، وإلى أعالي السماء حيث تظهر إنانا كقوس قزح ويبدو أنها تستجوبه لتعرف كيف تمكن من ذلك . فيروى لها ذلك شوكاليتودا ببساطة ودون أسف ، فتغضب عليه إنانا وتحكم عليه بعقوبة تحويله إلى نجم سماوي لكن ذكراه ، كما تعده ، تبقى على الأرض في قصائد الشعراء تردد في قصور الملوك وفي أغاني الرعاة وهم يخضون قربه الحليب .

وفي أسطورة (بيلولو) يتحول بيلولو (المشابه لشوكاليتودا) إلى قزم ثم يصغر أكثر من ذلك حتى لا يعود له أي تأثير أو وجود واضح .

٥. إنانا والعالم الأسفل

العالم الأسفل مكان معروف في الدين السومري وهو العالم الذي يحتوي على أرواح الموتى على شكل الجسد الذي كانت عليه إلا إنها مريشة تشبه الطيور ، وتقضي هذه (الطيور الروحية) اغلب وقتها في التراب تأكله ولا تتنفس سوى الغبار . إلا أن هناك مرادفات أو أماكن شبيهة بالعالم الأسفل مثل (كور) الذي وصفناه في مكان آخر ، وجبل ايبخ (Ebich) الذي يبدو وكأنه جبل عدو أو شرير .

١. إنانا وكور

أما قصة إنانا والتنين (كور) فيأتي من المحاولات الكثيرة التي حاولها الآلهة لقهر هذا التنين ، ويبدو أن انانا كانت واحدة من هذه الآلهة حيث تنصدي له وتشغل عليه وتنال لقب (قاهرة كور) ورغم أن الإله أن يحذرهما من المخاطرة إلا أنها بحماس شديد ترميه بالحرية الطويلة ثم تقتله وتطأه أخيراً بقدميها .

" سأرميه بالحرية الطويلة

وسأوجه ضده كل أسلحتي

وبالغابات المحيطة به سأضرم النار

وفي . . . سوف أغرس فأسي البرونزي

وكجبل أراثا سأنزعه عنه هيئته

وكما يفعل جيبيل اله النار المقدسة سأجفف ماءه

وكمدينه لعنها أن لن يعود سيرته الاولى

وكمدينه نبذها انليل ، لن ينهض ثانية ، ،

(السواح ١٩٨٦ : ٢٠١)

ب. إنانا وإيبخ

أما (جبل ايبخ) فيبدو انه مكان يصعب السيطرة عليه لكن إنانا تستطيع ذلك . وتشير هذه الحادثة إلى مكان بعيد وقصي ، وربما عكست هذه الاسطورة نضال السومريين قبل وبعد انتصار اتوحيكال (حاكم أوروك) على الكوتينيين الجبليين البرابرة حوالي ٢٠٦٠

ق. م لأن محورها يدور حول حملة شنتها الالهة (انانا) ضد (ايبسيخ) الذي هو (جبل حميرين) حيث رفض الخضوع لها والاستسلام لها وكأنه مثل عفاريت الأساكوف. ولذلك بدا هذا الجبل وكأنه قطعة من العالم الأسفل (انظر ايزاد ١٩٨٧: ٦٢).



شكل (٨٠)

إنانا تستلم النذور والهدايا وتظهر كآلهة محاربة
تضع رجلها على الأسد وتلبس بزئها المحاربة

ج. هبوط إنانا إلى العالم الأسفل

إن الأسطورة النموذجية بامتياز حول انانا والعالم الاسفل هي (اسطورة هبوط انانا للعالم الأسفل) التي تأتي في سياقها الصحيح بين حب وزواج دموزي من انانا وحكم انانا عليه بعد ان خرجت من العالم الأسفل بأخذه إلى هناك بديلاً عنها ثم مطاردته وموته ومراثيه.

الآن فضلنا معالجة هذه الاسطورة بصورة مستقلة هنا حرصاً على التصنيف الذي وضعناه لأساطير إنانا.

وتبدأ الأسطورة من رغبة أو توق الإلهة إنانا للهبوط إلى (الأسفل العظيم) وهنا آراء كثيرة حول سبب هبوط إنانا إلى هذا العالم ، فهناك من يرى أنها ذهبت لتسيطر علي هذا العالم وتحكمه بدلاً من اختها ارشكيغال وهناك من يرى انها ذهبت لتقيم عالم الأموات كنوع من النشور ، وهناك من يرى أنها ذهبت لتتال الخلود والرأي الأخير فيه ضعف كونه لا يتناسب مع إلهة خالدة أصلاً مثل إنانا .

وفي رأينا أنها نزلت إلى هذا العالم لتجسد وجهها المظلم والمحارب والسفلي في الوقت نفسه ، وأن تقوم بتحدي قوانين العالم الأسفل بحكم كونها إلهة مغامرة .

إنانا أذن هجرت السماء وتركت الأرض لتكمل سيطرتها على هذا العالم . فقد عرفنا من اسطورة شوكاليتودا انها هبطت من السماء إلى الأرض وأصابها نوع من الأذى الجسدي (الأغصاب) ألا أنها هنا هبطت من الأرض إلى العالم السفلي وسيصيبها أيضاً أذى جسدي اكبر هو (الموت) وفي كلا الحالتين يقوم الاله انكي بموعنتها .

وهي قبل الهبوط إلى العالم الأسفل تقوم بعملين : أولهما أنها تربط إلى جسدها النواميس المقدسة السبعة ويبدو أنها نواميس الزينة ، ثم تضع في يدها بقية النواميس المقدسة .

وثانيهما انها توصي وزيرها / وزيرتها (نشوير) بأن يملأ السماء صراخاً وان يبكي في بيت الآلهة ولبس ثوباً ممزقاً ثم يذهب إلى أنليل ويخبره بأن انانا ذهبت إلى العالم الأسفل وان يقوم بمساعدتها والحوّل دون موتها ، وان لم يستجب انليل فعليه بالذهاب الى الاله نانا إله القمر ، وان لم يتسجب هذا فعليه الذهاب إلى الاله إنكي إله الحكمة الذي يعرف طعام وماء الحياة ليعيدها إلى الحياة .

وهذا يعني أنها كانت تعرف مسبقاً بأنها ستموت ولذلك فإنها ذهبت متحدية قوانين العالم الأسفل .

وأول مرحلة من هبوطها لهذا العالم هي انها واجهت البوابة الأولى للعالم الأسفل وطرقتها ، فخرج لها كبير حجاب العالم الأسفل (نيتي) وسألها من تكون فأجابته انها ملكة السماء ، فقال لها (ما الذي أتى بك الى الارض التي لا عودة منها) فأجابته انانا بحجة ضعيفة (أي أنها كذبت) حيث قالت له أنها جاءت لتحضر مراسيم جنازة زوج اختها إريشكيغال وهو (كوآتا) .

فذهب (نيتي) إلى ملكة العالم الأسفل اريشكيكال وأخبرها بذلك وأخبرها بأن إنانا تحمل معها النواميس المقدسة السبعة (التاج، الصولجان، العقد، الجواهر، الخاتم، الدرع، الثوب) فأمرت اريشكيكال حاجب العالم الأسفل بأن يدعها تدخل ويطبق قوانين العالم الأسفل التي تقضي بأخذ هذه النواميس المقدسة منها وكأنه يجردها من قواها.

وحصل ذلك فقد قام الحاجب عند كل باب من بوابات العالم السبعة بأخذ أحد هذه النواميس المقدسة السبعة في حين كانت انانا تستغرب من هذا التصرف كل مرة.

وبذلك دخلت انانا إلى قلب العالم الأسفل وهي عارية مجردة من نواميسها المقدسة، وعندما دخلت الي قصر اريشكيكال كانت الأخيرة بانتظارها جالسة على عرشها يحيط بها (الانوناكي) وهم القضاة السبعة الذين يصدرون الاحكام على كل من يتجاسر ويذهب الى هذا العالم متحدياً، فقاموا بتوجيه نظرة الموت على إنانا ثم اطلقوا كلمة (تعذب الروح) فتحولت إنانا المتعبة إلى جثة وشُدت هذه الجثة على عمود متصب.

ومرت ثلاثة أيام وثلاثة ليال، بعدها قام رسولها بنشور بما أوصته به فذهب الى بيت الاله إنليل (الايكور) وأخبره فاستغرب إنليل كيف ذهبت انانا إلى هناك وهي تعرف قوانين العالم الأسفل وهكذا لم يقف الاله إنليل معها بل خذلها، فذهب الى بيت الاله نانا الـ (ايكيشركال) ولكن نانا خذلها أيضاً، فذهب إلى بيت الاله أنكي في اريدو فأبدى أنكي قلقه عليها، ثم أخذ طيناً من تحت اظفاره فصنع منه كائن الـ (كوكارو) وهو كائن لا جنس له، ثم أخذ من تحت اظفاره المصبوغ بالأحمر طيناً فصنع منه كائن الـ (كالاتور) وهو كائن لا جنس له فاعطى الأول طعام الحياة وأعطى الثاني ماء الحياة. وأخبرهما بالنزول إلى العالم الأسفل وإحياء الإلهة الميتة بأن يوجّها عليها أشعة النار أولاً ثم يشرأها بماء الحياة ستين مرة ويطعام الحياة ستين مرة فإنها ستحيا وتنهض من عالم الأموات.

ويبدو ان الموت في هذه الاسطورة له مدلول واضح وهو الإصابة بستين مرض (وهم رقم كلي مقدس كأنه يعني عدداً لا نهائياً عند السومريين) أي ان هناك ستين عضواً مصاباً وإن كل مرة ستعمل علي إحياء أحد الاعضاء المصابة.

وفعل الكائنات ذلك ونهضت انانا، لأنه فيما يبدو لنا أن قوانين العالم الأسفل صارمة، وكان يجب على إنانا الإتيان ببديل عنها من العالم الأعلى الذي ستعود اليه شرط

أن يرافقها جند العالم الأسفل الـ(كالو) وهم عفاريت صغيرة كأنها من القصب .

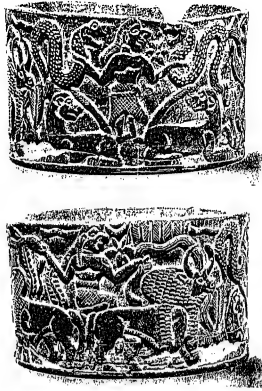
سار العفاريت امام وجنب انانا يحملون في ايديهم العصي ويتمنطقون بالأسلحة وتصف الاسطورة هؤلاء العفاريت بأنهم لا يعرفون الطعام ولا الشراب ولا يأكلون خبز القمح او يشربون خمر القرايين ويخطفون الزوجة من حضن زوجها والطفل من صدر امه اي انهم شياطين الموت .

وعندما خرجت انانا معم رأها ننشوير فرمى بنفسه على قدميها واقعاً على التراب ملطخاً نفسه بالطين فاراد العفاريت حمله بدلاً عنها إلى العالم الأسفل فممنعتهم لأنه ادى ما عليه من واجبات تجاهها اثناء غيابها ، فذهبوا الى الـ(سيجور شاكا) في مدينة (اوما) حيث كان هناك الاله (شارا) الذي فعل مثلما فعل ننشوير ، ثم ذهبوا إلى (ايكوشكالاما) في مدينة بادتيبرا حيث فعل (لتراك) ما فعل السابقان ، ثم ذهبوا إلى مدينة (كولاب) حيث وجدوا (دموزي) وهو يرتدي ثياباً فاخرة ويعتلي على عرشه فانقضّ العفاريت السبق عليه كما يفعلون مع الرجل العليل فانقطع الراعي عن نفخ فايه ومزماره حيث كان يعزف عليهما في ذلكا لوقت . وقامت انانا الغاضبة عليه بتركيز نظرة الموت عليه قم نطقت بالكلمة التي تعذب الروح ، ثم امرتهم بأن يأخذوه بدلاً عنها فيبكي دموزي ويرفع يديه إلى الاله (اوتو) اخ زوجته انانا ويرجوه ان يحول يديه وقدميه الى افاعي لكي يهرب منهم .

عند هذا اُخذ تنتهي اسطورة النزول لكن هناك نصاً آخر يحكي لنا مصير الاله دموزي وجد موزعاً على (٢٨) لوحاً وكسرة تشكل ما تحدثنا عنه في القسم الثاني من اساطير انانا ودموزي : اساطير ومراثي دموزي .

ان اسطورة نزول انانا الى العالم الأسفل السومرية هي من اكثر الاساطير شهرة في العالم القديم ولذلك فإننا نرى اسطورة أكديّة مشابهة لها واساطير قديمة تدور في فلكها وهي معروفة للقراء والباحثين .

ونعتقد أن بعض أفكار هذه الأسطورة السومرية صوّرت على إناء مرمري (شكل ٨١) تظهر في جانب منه إرشيكيغال وهي محاطة برموزها كالشعابين واللبوات ، وفي الجانب الآخر إنانا وهي محاطة برموزها (الماء والنبات والحيوان) ، وهناك من يرى أن هذه الصور تمثل طقس استئزال المطر وهذا أمر بعيد عن مضامين هذه الصور .



شكل (٨١)

إناء مرمرى رسم عليه شكلان

الأعلى : إرشكيكال محاطة برموزها كالثعابين والطيور

الأسفل : إنانا محاطة برموزها كالماء والنبات والحيوان

الفصل الثالث

اللاهوت السومري

(دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية السومرية)



يكون اللاهوت السومري الوجه العقائدي للأساطير والطقوس السومرية وتكاد الأساطير بأحكامها ونواميسها الكونية والالهية والأخلاقية والمعرفية تشكل الرحم الذي ظهر منه اللاهوت السومري .

وإذا كنا قد لمحنا الكثير من أوجه هذا اللاهوت ونحن نقرأ أساطير السومريين ونظامهم المثولوجي العميق ، فلا شك أننا بحاجة في هذا الفصل لفرز منظومات هذا اللاهوت ومعرفة شبكته الروحية والعقلية .

١. الآلهة

عرفنا الكثير من الآلهة السومرية في الفصل السابق ، بل وتوغلنا في أدق تفاصيلها وحياتها وتاريخها وسلالاتها ولكننا لم نعرف على وجه الدقة كيف كان الانسان السومري ينظر إلى آلهته هذه وكيف يتعامل معها وما هي صورتها العقلية والدينية والروحية عنده .

ولنبداً أولاً بفكرة الألوهية التي هي ، فكرة المقدس وقد تهذب وتعالى وأصبحت له طاقة الفعل كما يريد وطاقة الخلود ايضاً . لقد أصبح الإله بعيداً عن الإنسان بعد أن تجسد في أزمان البابليوليت في الحجر وفي النار وفي الحيوان وفي المرأة وفي الرجل . أما العصر السومري فقد أبعد الإله نسبياً عن الإنسان ، لكن فكرة الألوهية ما كان لها ان توجد لولا الانسان ، ولذلك فقد وصف الانسان في النصوص الإلهية نفسه ، ولعبت فكرة الألوهية دوراً كبيراً في توازن الانسان مع الطبيعة والكون ، إذ كيف يمكن له تصور كل هذا الذي حوله دون ان تكون الألوهية هي الحاجز بينه وبين الكون الرهيب اللامتناهي ، وبدون فكرة الألوهية كن الإنسان سينضغط وينحصر ويتهشم عندما يواجه الكون مباشرة ولهذا

فإن وصف الألوهة في هذه النصوص لم يكن سوى وصف مباشر لمشاعر الانسان نحو الكون وجبروته . ولم يكن الحسّ الذاتي بالإلوهة سوى الحسّ بعلاقة كونية حيوية غامرة راح الذهن القديم يفلسفها ويشخص فعلها كتجربة يومية من تجارب وعي الانسان . . ولهذا لم يستطع المفكر القديم تخيل انسان بدون فكرة ما عن الألوهة وبدون ميل للتعبد لها وطريقة للتعليل معها ، بحثاً عن استقراره النفسي ، مبرهنًا بذلك عن أن وعي الانسان لذاته هو دائماً متوازن مع وعيه للكون الكلي» (الخوراني ١٩٧٨ : ١٥٢).

وكان الإنسان يشعر بوجود الآلهة ولكنه لا يراها رغم أنها كان تسيّر الكون وتسيطر عليه وتمرح في أرجائه . والكون من ناحية أخرى مكوّن من أجساد ومادة الآلهة فالسماوات هي جسد أو مادة الاله (أن) والأرض هي جسد ومادة الإلهة (كي) والمياه (إنكي) والهواء (إتليل) وهكذا الكواكب وغيرها . لكننا لا نملك دليلاً (كما في اللاهوت والأساطير الأكديّة والبابليّة) بأن مادة الكون هي من جسد الإلهة الأم تيامت بل ان مادة الكون هي أجساد الآلهة المختصة بكل جزء فيه .

أما الإنسان فقد عرفنا أن مادته وجسده وروحه تتكون من مادة وجسد وروح الآلهة (وهذا ما عبرت عنه أساطير خلق الإنسان) ومن هذا المنطلق رأى السومري أن في كل إنسان روحاً إلهية أو إلهاً شخصياً يرافقه ويرعى شؤونته ويحميه :

«ليس بمقدور الانسان ، بلا إله (شخصي)

أن يكسب خبزه ،

ولا بمقدور الفتى ان يحرك ذراعه ببطولة في المعركة »

« عندما تخطط للمستقبل يكون إلهك إلهك

وإذا لم تخطط للمستقبل ، ليس إلهك إلهك »

(فرانكفورت ١٩٨٠ : ٢٤١)

والإله الشخصي إله صغير يعنى بعائلته الإنسان أو الإنسان نفسه ، وأقرب صورة له هو الحظ والنجاح في الحياة ، الانسان لا يؤثر في الكون والاحداث لانه أضعف من ذلك بكثير ، بل إن إلهه الشخصي هو الذي فعل ذلك وشجعه واهتم به ودفعه للنجاح ولذلك كان يرى السومريون أن الشخص الناجح المؤثر هو (من حصل على إله) .

إن الألوهية هي قوة داخل الانسان ترقى به إلى المثل العليا ، وكلما بحث الانسان عن هذه القوة (عن طريق التدين والتقوى) اقترب منها واستطاع ان يتحاور معها (اي مع الآلهة) كما كان يحصل مع الملوك العظام والحكماء مثل زيود سدر الذي أنقذ البشر من الطوفان . . والانسان الصابر وغيرهم كالكهنة والأنبياء . وإذا كان تصور الآلهة ومكانتها قد جرى في العراق القديم وفق تصورات ذهنية وعقلية إلا أن ذلك لم يخلُ من تأثيرات واضحة من المحيط البيئي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ، ففي الألف الرابع قبل الميلاد مع صعود السومريين وظهور منجزاتهم العظيمة في الزراعة والرعي وبناء المدن والمعابد واستمراراً مع اكتشاف الآلهة الكونية الشاملة ظهر الاعتقاد قوياً بالآلهة الكونية الشاملة (أن ، انليل ، كي ، انكي) ومعها آلهة الكواكب الاساسية (أوتو ، نانا ، إنانا) وكانت هذه الآلهة السبعة هي الاساس في البانثيون الالهي .

أما في الألف الثالث قبل الميلاد ويسب الحروب بين المدن السومرية نفسها وبين السومريين والغزاة من حولهم فقد رجحت كفة العبادة لآلهة المدن والآلهة المحلية لكل منطقة وهذا يؤكد انكماش الناس على أنفسهم . وفي الألف الثاني وبعد انهيار سومر واهتزاز ثقة الانسان بالكثير من آلهته الكبرى والمحلية ظهر مبدأ الإله الشخصي أكثر رجحاناً في العبادة رغم ظهور آلهة جديدة وقوية شمولية ومحلية .

وفي الألف الأول وبعد تداعي الامبراطوريات والدول والمدن واستبدالها ببعضها عم الاعتقاد بالشياطين والخوف من العفاريت بحيث عبد بعضها خوفاً . ورغم ان الانسان السومري اعتقد بأن الآلهة تشبهه في صورتها إلا إنه تخيلها كبيرة وعلاقة بل وتخيلها مضيفة مشرقة ، أما أماكن سكنها فلا شك أن الأعالي كانت هي هذه الاماكن ، فأولاً تصور ان جبل الكون (أن - كي) هو مكان الآلهة الأول ثم نزلت من هناك الى الأرض ، وصعد بعضها الى السماء . واتخذ بعضها من الكواكب والنجوم مساكن ، وذهب بعضها مثل (ارشكيكال ونركال وابناؤهما) إلى العالم الأسفل المظلم المترب ليحكموه ويعيشوا فيه .

وإذا كان السومريون قد عكسوا حياتهم السياسية والاجتماعية (اي وجود مجلسين للشيوخ والشباب بالإضافة الى الملك) في شكل وهيكل اللاهوت الخاص بالآلهة ، فكانت السلطة الإلهية انعكاساً للسلطة السياسية والاجتماعية وكان هناك مجلس كبار الآلهة الذي

يقابل مجلس كبار القوم (الشيوخ) ومجلس الآلهة الشباب (آلهة الكواكب) الذي يقابل مجلس (الشباب، العوام) . . وكان الملك هو سيد السلطة الأكبر والذي يمثل في المجمع الإلهي الإله إنليل الذي يمثل السلطة الإلهية كاملة

«آه يا إنليل

عندما خلقت السموات والأرض

كنت أنت الملك»

(الطعان ١٩٨١ : ٣٦٨).

ثم أصبح الإله إنليل مصدر كل سلطة على الأرض فهو الذي يعين الملك وهو الذي يهب القوة لمن يشاء

«أنت الذي تلفظ اسم الملك، واسم الحاكم

ذلك لأن خلق الإله، والملك

امتياز خاص بك، ،

(الطعان ١٩٨١ : ٣٦٨).

وكان الملوك يتباهون أنهم أبناء آلهة بعينهم، وانهم استمدوا الحكم والسلطات من إله محدد .

وللآلهة أيضاً رموز مرسومة أو منحوتة تدلّ عليهم وتكون في الغالب مشيرة إلى أحد صفاتهم، وكانت رموز الآلهة تتطور من عصر إلى آخر، وقد تبقى ثابتة. ومن الضروري الإشارة إلى أن رموز الآلهة لم تبدأ مع السومريين بل بدأت منذ عصر حسونة وسامراء وحلف حيث أراد الإنسان أن يشير لبعض قوى الكون بالعلامات والاشارات والرموز (انظر الماجدي ١٩٩٧).

وكانت الرموز ضرورية لتجريد الإله ولجعل مفارقاً للعالم المادي الذي كان الإنسان يقع ضمنه، ورغم ذلك لم يكف الإنسان السومري عن تصوير الآلهة رسماً ونحتاً بالإضافة إلى رموزها . وقد جمعنا وفصلنا شرح رموز الآلهة السومرية في الفصل الثاني.

وكان للآلهة الكبيرة رسلاً أو وزراء ينفذون أوامرها ويؤدون المهام المتعلقة بهم وكان
رسل وسفراء الآلهة الذكور ذكوراً ورسل وسفراء الآلهة الاناث إناثاً ونذكر فيما يلي
أهمهم :

- ١ . بيسوكال : رسول الإله آن والاله زيبا
- ٢ . ننشوير : رسولة الإلهة إنانا ، ورسول الإله آن . ويقابل اسمه هنا في الأكديّة
(البرات) ويعادل بيسوكال .
- ٣ . نسكو : رسول الاله إنليل .
- ٤ . أسيمو (ايسمود) : رسول الإله إنكي .
- ٥ . نجو : رسول الإله أبسو .
- ٦ . بوننه : رسول الإله أوتو .
- ٧ . غتار : رسول الإله ارشكيكال .
- ٨ . أشوم : رسول الإله إيرا .

كذلك كانت هناك أرقام خاصة ببعض الآلهة (الكبيرة منها بالذات) وكانت الأرقام
السومرية الالهية مرتبطة بالنظام الستيني الرياضي للسومريين وهذا جدول بسيط بالاعداد
الرمزية او السرية لكبار الآلهة السومرية والفاظها :

الاله السومري	رقمه السري	لفظ الرقم باللغة السومرية
١ . آن	٦٠	كش
٢ . انليل ، ننورتا ، ننگرسو	٥٠	نينو
٣ . إنكي	٤٠	نيمين
٤ . نانا	٣٠	اوشو
٥ . اوتو	٢٠	نيش
٦ . إنانا	١٥	إي أو
٧ . أدد	١٠	أو

٢. القوة الإلهية

كانت القوة الإلهية تتجسد عند السومري بما خلقتة الآلهة من عوالم واكوان وكائنات حية وبشر، ولكن سر القوة الإلهية أو جوهرها كان يكمن في أربع أنواع من القوى الإلهية وهي :

أ. الكلمة (Inim , gü)

حين حلّ العصر الحجري الحديث في العراق القديم، وظهرت المكانة المتميزة للإلهة الام وللمرأة باعتبارهما عنصر الاختصاص في الطبيعة ساد اعتقاد خلقي الهي اساس هو قوة الولادة عن طريق الرحم، وكان هذا المبدأ الإلهي النيوليثي يعتمد في ذلك على ما يلمسه الإنسان من قدرة المرأة على الانجاب .

وما أن حلّ الكالكوليت (الحجري المعدني) حتى انقلبت القوة الإلهية في الخلق وساد مبدأ جديد هو البزر وقوة البذور علي التوالد عن طريق المطر وكان المنّي هو اساس المعتقد الجديد حيث الاله يلقح الكون بمنّيه .

وفي العصر السومري ظهر مبدأ جديد هو (الكلمة) الذي حلّ محل الرحم النيوليثي والمنّي الكالكوليتي . . وصار الإله يخلق لا لأنه يضاجع أو يقدف منه فحسب بل صار له القدرة على الخلق كلما نطق أو قال للأشياء : كن فتكون . وهكذا يرى صموئيل نوح كريم «إن فلا سفنتا السومريين طوروا مبداء صار فيما بعد عقيدة في أنحاء المشرق الأدنى كافة، وهو مبدأ القوة الخالقة الكامنة في الكلمة الإلهية . فكل ما كان على الإله الخالق ان يفعله، وفقاً لهذا المبدأ، هو أن يضع خططه ينطق بالكلمة ويعلن الاسم، (كريم ب.ت: ١٥٢) .

ويمكننا تقسيم قوة الكلمة (آنيم) إلى ثلاثة أنواع هي :

١ . الفكرة (نا)

٢ . الكلمة (كو)

٣ . الاسم (نام)

والفكرة هي القوة الخالقة غير المنطوقة وهي قوة إلهية فاعلة رغم أنها كامنة ، أما

الكلمة المنطوقة فهي المقدسة عند السومريين وبها يخلق العالم فقد كانت كلمة انليل لا تبدل وهي حياة جميع البلاد :

«حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب

كلمتك هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد ،،

(كريم ١٩٨٦ : ٨١).

وكانت الكلمة تأخذ صيغة المنى عند إنكي بشكل خاص، حيث مني إنكي هو المياه التي فيها سر الحياة وفي هذه الصيغة مزج بين عناصر الككوليتية وعناصر سومرية في الخلق.

وقد تطور مفهوم الكلمة عند اليونان وصار (اللغوس) واستعمل للتعبير عن الخلق في الإنجيل يوحنا «في البدء كان الكلمة»

أما الأسم فهو شكل آخر من أشكال الكلمة وكان السومريون يعتقدون أن إطلاق إسم على الشيء هو بمثابة خلق له، ولذلك كان الوليد الجديد يطلق عليه الاسم مباشرة ويعتبر ذلك بمثابة العماد له.

وأعظم ما فعله السومريون إطلاقهم الأسماء على الأشياء وتصنيفها وتويينها حتى أن مدنات الأرض ما زالت تدين لذلك الإجراء، لأن إطلاق الاسم على الشيء هو بمثابة فرزه ومعرفته قياساً لغيره ..

وكان الساحر إذا أراد عمل سحر فإنه يستخدم قوة الكلمة أو الاسم لأن فيها قوة الشيء نفسه. ويمكن لقانون التشابه السحري أن يؤكد هذا فاسم الانسان او الشيء شبيه به ولذلك يستعمل في الطقس السحري على أنه هو ذاته .. وكان على الساحر معرفة اسم المريض الذي يشافيه متلفظاً اسمه بصوت ملائم او كاتباً له بطريقة ملائمة . ولذلك احتلت التعاويذ السحرية مكانة مهمة في السحر السومري لانها كلمات واسماء له المقدرة على التأثير .

(ب) ال (نم) أو سمة الشيء وصفاته :

هذه الكلمة تعني صفة أو صفات الشيء وسماته وطبيعته وتقابلها في الأكدي كلمة

(شمتو) اي سمة الشيء وطبيعته «وكمثال على استعمال الكلمة السومرية نجد لفظة (لولو) لديهم تعني الانسان ، وعندما تقرنه بها كلمة (نم) تصبح (نملولو) وتعني عندئذ (الانسانية) دلالة على السلوك الانساني وليس إلى مجموعة الناس ، (الخوراني ١٩٨٧ : ١٢٠) .

ويبدو أن إطلاق (نم) الاشياء من قبل الإله يعني تحديد صفاته وسماته وتعيين جوهره في ذاته .

ج.الـ (مي) أي النواميس المقدسة

تعني (مي) نواميس الآلهة المقدسة التي يستطيع بها الانسان أن يتحكم ويسيطر ويستخدم الأشياء أو ظواهر الأشياء والطبيعة . فإذا كانت الـ (نم) تحدد طبيعة الشيء ذاته فإن الـ (مي) تعبر عن الشيء كموضوع خارج ذاته اي الوجه الاجتماعي والحضاري والفني الذي يستخدم فيه ولذلك فإن كلمة النواميس الالهية أو المقدسة ترجمة صالحة له .

والمقابل الأكدي لهذه الكلمة هي (فرضو) أو (برضو) أو (برصو) وهي تشير الى كلمة (فرض) العربية وتدل القوانين المفروضة الثابتة للطبيعة (الفروض) .

وقد قدمت لنا (اسطورة انانا وانكي) ونقل نواميس الحضارة الالهية الـ (مي) من أريدو إلى أوروك التي يقال انها في حدود المئة ناموس ولكننا احصيناها فوجدناها ثمانين وهي كما قدمتها الاسطورة متسلسلة بالشكل التالي : (الشوك ١٩٩٢ : ٣١) .

١ . الكهنوتية العليا

٢ . الألوهية

٣ . التاج الرفيع ، الخالد .

٤ . عرش الملكية .

٥ . الصولجان السامي

٦ . العصا

٧ . ذراع القياس المقدس

٨ . العرش السامي

٩ . فن الرعاية

١٠ . الملكية

- ١١ . كاهنة الأميرة (مقام السيادة النسوية الدائم) .
- ١٢ . كاهنة الملكة المقدسة
- ١٣ . كاهن التعاويذ (إيشيب)
- ١٤ . الكاهن السامي (لوماخ)
- ١٥ . كاهن الإهراق (جودا)
- ١٦ . الحقيقة (الصدق)
- ١٧ . الهبوط إلى العالم الأسفل
- ١٨ . الصعود من العالم الأسفل
- ١٩ . الكوركأرا Kurgarra
- ٢٠ . الخنجر والسيف
- ٢١ . الرداء الأسود
- ٢٢ . الرداء الملون
- ٢٣ . إسدال الشعر
- ٢٤ . عقص الشعر
- ٢٥ . الراية
- ٢٦ . الكتانة
- ٢٧ . فن عمل الحب
- ٢٨ . تقبيل القضيبي
- ٢٩ . فن البغاء
- ٣٠ . فن النجاح
- ٣١ . فن الكلام الصريح
- ٣٢ . فن اللسان السليط
- ٣٣ . الكلام المنمق
- ٣٤ . البغاء المقدس
- ٣٥ . الحانة المقدسة
- ٣٦ . المزار المقدس

- ٣٧ . كاهنة السماء المقدسة
 ٣٨ . الآلة الموسيقية المدوية
 ٣٩ . فن الغناء
 ٤٠ . فن رئيس الكهنة
 ٤١ . فن البطل
 ٤٢ . فن السلطان
 ٤٣ . فن الخيانة
 ٤٤ . فن الاستقامة
 ٤٥ . سلب المدن
 ٤٦ . إقامة المناحات
 ٤٧ . إبهاج القلب
 ٤٨ . الخديعة
 ٤٩ . البلاد المتمردة
 ٥٠ . فن الحنان
 ٥١ . السفر
 ٥٢ . المأوى الآمن
 ٥٣ . حرفة التجار
 ٥٤ . حرفة النحاس
 ٥٥ . حرفة الكاتب
 ٥٦ . حرفة الحداد
 ٥٧ . حرفة صانع الجلود
 ٥٨ . حرفة القصار
 ٥٩ . حرفة البناء
 ٦٠ . حرفة ناسج القصب
 ٦١ . الأذن المصغية
 ٦٢ . ملكة الانتباه

٦٣ . طقوس التطهير المقدسة

٦٤ . الخطيرة التي توفر الطعام

٦٥ . تكويم الجمر

٦٦ . الخطيرة

٦٧ . الخوف

٦٨ . الذعر

٦٩ . الفزع

٧٠ . الأسد ذو الاسنان الفتاكة

٧١ . إضرام النار

٧٢ . إطفاء النار

٧٣ . الذراع الناحلة

٧٤ . العائلة الملتمة الشمل

٧٥ . الإنسال

٧٦ . تأجيج المشاحنات

٧٧ . المشورة

٧٨ . تهدئة الخاطر

٧٩ . إصدار الاحكام

٨٠ . صنع القرارات

ويمكن أن نلاحظ أن هذه النواميس تشمل أغلب جوانب الحياة بوجوهها الايجابية والسلبية، وقد كان هذا مقصوداً للإشارة إلى السيطرة على كل ما في الحياة.

٤) لوح القدر (لوح المصائر):

يشكل هذا (اللوح المحفوظ) أقدار ومصائر العالم والناس من قبل الآلهة وتحديداً من قبل الإله انليل الذي يحتفظ به تحت أنفه، وبالرغم من أن الآلهة مصدر السلطة وهي القادرة على منحها وحجبها لمن تريد من البشر، إلا أن لوح المصائر يبقى هو الاماس الذي كتب فيه مصائر العالم.

وقد جرب أحد شياطين العالم الأسفل (في أسطورة سومرية الأصل أكديّة الصياغة) وهو الطائر العملاق (زو) أن يسرق الواح القدر من الإله إنليل . . فما كان من الكون إلا أن بدأ يغرق في العلماء

«عندما مضى إنليل ليستحم في الماء الصافي

وخلع تاجه فوضعه على العرش

خطف ألواح الأقدار فاغتصب السلطة والملك والسيادة

ثم طار زو حيث اختفى في جباله

فساد الوجوم وعم الصمت

إنليل أبو الآلهة، قد شلت حركته

فالحرم المقدس قد سرقت هيئته وضاعت روعته ، ،

(الواح ب. ت. ١٨٣).

وقد خلّدت بعض الأختام الأسطوانية هذه الحادثة (شكل) حيث قبّم (زو) للمحاكمة بعد أن قبض عليه الإله ننورتا ابن الإله إنليل .

٣. التعددية والتفريد والتوحيد في العقيدة الدينية السومرية

لاشك أن التعددية Polytheism هي التي غلبت على العقيدة الدينية السومرية وطبعتها بطابعها الخاص الذي صار من سمات جميع ديانات الشرق الأدنى القديم . . ولذلك ساد الفكر السومري الإيمان بعدد كبير من الآلهة . ولكن هذه الآلهة لم تأت دفعة واحدة بل أن جذورها امتدت إلى فترات الكالكوليت حيث بدأ الانقلاب الذكوري وترسخ الثالوث الإلهي بعد أن كان توحيداً أنثوياً في النيوليت ، ومن هذا الثالوث ظهرت شجرة الآلهة السومرية .

ونرى أن الآلهة الأولى هي (نّمو) التي يعني اسمها ماء الأم وربما كان اسمها القديم (ن) الذي يعني في اللغات المقطعية الأم . ثم الآلهة (آن) الذي يمثل الإله الذكر الأب الذي

أُحييت سلطاته أولاً إلى الإله (إنكي) الذي يجمع بين صفات الأم والأب. ويبدو أن انقلاباً ذكورياً حاسماً حصل مع الإله (إنليل) الذي أصبح يمثل السلطة والقوة والملوكية. وكان هذا مدعاة لأن تتشكل عشرات الآلهة من الأم والأب والابن وتظهر شجرة كبيرة للآلهة ويصير كل اله مسؤولاً عن قضية.

لكن التعددية السومرية وهي تتفرع لا تخلو من آثار تفريديّة Henotheism وتوحيديّة Monotheism . فقد أشار السومريون بذلك إلى أن الإله (آن) هو رب العالم بأكمله ، ورب الناس أجمعين وهي إشارة توحيديّة واضحة . وأن الإله (إنليل) هو رب السومريين حصراً (ذوي الرؤوس السود) فهو إله سومر القومي وهذا ما نرى أنه إشارة تفريديّة واضحة ، ولذلك نميل للاعتقاد أن العقيدة الدينيّة السومرية حملت التعددية بأرجحية واضحة ولكنها حملت أيضاً التفريديّة والتوحيديّة معاً .

ولكي ندلل أكثر على كلامنا هذا نقول أن العبريين الذين أخذوا من السومريين الإله إنليل وأسموه بأحد رموزه (الحمامة السماوية) التي تسمى عند السومريين (اياهو) وهو الإله (يهوه) ، هؤلاء هم الذين ارتبط بهم التفريد ولكن جذوره الحقيقيّة كانت عند السومريين وصفات (يهوه) هي تماماً صفات (إنليل) .

كذلك نرى أن التوحيد الذي نزه الله عن التعدد جاء من الإله (ايل) الذي أخذ من الإله (آن) بدليل أن علامة (آن) هي علامة إيل .

ونرى أن هذا الموضوع يحتاج إلى وقفات تحليلية علمية دقيقة تعتمد على النصوص الحرفية السومرية التي ستقدم لنا حلولاً كثيرة ..

٤. الأرواحية Animism

وهي عقيدة تصور أن كل الأشياء والظواهر في الكون تأتي من وجود روح حيّة فيها ، وأن هذه الروح لها قوة مؤثرة على ما يخططها وعلى الإنسان وهي قوة روحية عاقلة ومفكرة ومديرة ، والشكل الأساس لظهور هذه الروح هو في مفهوم (الإله) .

وقد أخذ السومريون الأرواحية من العقائد السحرية التي كانت سائدة قبلهم واستمرت معهم . فالأرواحية عقيدة سحرية تقف مع الفيتشية والطوطمية في مستويات مختلفة من زاوية النظر الآن ما يجمع الثلاثة الإيمان بوجود قوة power وراء الأشياء

والظواهر ودليلنا على وجود الأرواحية عند السومريين تصوره لقوى الشر والشياطين والعفاريت إلى جانب الآلهة، وذلك لأنهم كانوا بحاجة إلى تفسير الجانب السلبي من الطبيعة . فاستحدثوا له الأرواحية الشيطانية . ومن جهة أخرى تحفل العقيدة الأرواحية بتصور حيوي نشط للعالم والكون والظواهر كونها ترى العالم كقطعة فسيفسائية من الارواح المتصلة المترابطة الموثرة بايقاع منسجم وعميق .

٥. التشبيهية Anthropomorphism

وهي النظر إلى الآلهة وكأنها بشر، وإسباغ صفات ومميزات الانسان على الآلهة فهي تأكل وتشرب وتزوج وتسكن البيوت وتغضب وتفرح . . . الخ ، بل أن صور الآلهة علي الرقم الطينية وغيرها كانت تشبه الانسان تماماً . ورغم أن الآلهة تسكن السماء ولكن إلهاً ييوتاً على الأرض مثل الانسان وهي المعابد التي تبدأ أسماؤها جميعاً بكلمة ((إي ، B) التي تعني البيت بالسومرية .

وقد دلت الأساطير السومرية التي درسناها على هذه الحقيقة ، وكان من الصعب الوصول إلى تجريدات مطلقة للآلهة، البعض التأملات والتراتيل التي نلمح فيها تنزيه الآلهة عن حاجات الانسان الدنيا .

ولكي يتميز الآلهة عن الانسان (رغم أوجه التشابه الكثيرة) كان لا بد من اللجوء لفكرة الخلود التي أصبحت صفة الآلهة وفكرة الموت الختمي التي أصبحت صفة الانسان . ومع ذلك حدثتنا بعض الأساطير عن محاولات خلود الإنسان وتشبهه بالآلهة ، وموت الآلهة وتشبهها بالإنسان . وقد كان الملك والكاهن الأعلى هما أقرب الناس للتشبه بالآلهة ، بل إن بعض الملوك السومريين حاولوا تأليه أنفسهم بعد أن ورثوا هذه العادة من الأكديين .

وهناك من الطقوس الكثيرة التي تشير إلى تشبيه الإنسان بالآلهة وبالعكس ومنها طقوس الزواج المقدس ، حيث يأخذ الملك دور الآلهة وتأخذ الكاهنة العليا دور الإلهة . وأن نواويس الطبيعة والعالم مرهونة بذلك الاتصال الجسدي بينهما لانهما ، ببساطة ، آلهة وقد تصوّر الناس آلهتهم وفق ما رغبوا ان يكونوا « أو أنهم أردوا الاهتداء إلى المجهول اعتماداً على المعلوم ، فقد وجدوا كيف تجري الامور في العالم الأرضي ، وكيف يحكم الملك

ويضبط الأوضاع من خلال القوانين والمراسيم التي يصدرها، كما أنهم لاحظوا أساليب تنظيم الحياة الاقتصادية وأهمية الوسائل المعتمدة، فتصوروا أن الأمور تجري كذلك في عالم الآلهة، بل إنهم رأوا أن هذا العالم هو الذي عمد إلى إيجاد العالم الكوني، وخلق الانسان وجعله في خدمته» (سيدنا ١٩٩٥ : ١٧٠).

٦. الإنسان

عرفتنا الأساطير السومرية أن الإنسان خلق من قبل الآلهة لكي يقوم عنها بالأعمال الشاقة ولكي يخدمها ويكون عبداً لها .

وفي الفلسفة الدينية العميقة للسومريين أن الإنسان هو إله ولكنه إله ضعيف أو عاجز أو ميت ولذلك فإننا نشاهد الإنسان الذي خلقه الإله إنكي والإنسان الذي خلقته الآلهة ننماخ كانوا مصابين بنقص وأمراض كثيرة حالت دون أن يكونوا سوين .

فالإنسان إذن إله ناقص مريض عاجز ميت . ولذلك فإنه لا يتمتع مثل بقية الآلهة بالخلود .

وإذا كانت الآلهة تتنازل عن بعضها بالولادة دون مرجعيات، فإن الإنسان صنع من إله مقتول أو من طين أو من طين وماء أو من كلمة صاغها الرب في فمه أولاً ثم أطلقها . وهكذا يكون الإنسان مربوطاً كلياً بالآلهة فهو لا يستطيع فعل شيء دونهم، كذلك فإن هذا الكون الواسع لا يمكن مجابهته دون آلهة تستطيع إدارته وتعاون الانسان في التعامل معه .

ثم إن الالهوية كانت تبدو في الإنسان كما لو أنها عقله الذي يجعله يميز بين الصواب والخطأ إنها البعد الآخر للإنسان ولا تكون حقيقة إنسانية بدونها، فهي القوة الجسدية والروحية معاً . وقد عبر أحد الطلبة السومريين عن مفهوم الآلهة في سومر القديمة وأوضح كيف أنها فعل وعي حي في الانسان خلال خطاب يخاطب به معلمه لشكره فقال يخاطبه : أنت إله . وحيث ان الإله يصنع الانسان فأنت إلهي لأنك صنعت في الانسان» (الخوراني ١٩٧٨ : ١٥٥) .

كان السومريون يرون في كل صفة غير جسدية وغير مريثة أو محسوسة قوة لاهوتية، هكذا يرى الخوراني، وهذا صحيح إلى حد بعيد فالقوى الكونية كانت قوى

إلهية، وكذلك الإنسانية الخارقة التي يصعب تفسيرها بسهولة فقد كانت بنظرهم نوعاً من القوة اللاهوتية داخل الإنسان فكانوا يعطونها بنسب محسوبة للبشر مثل كلكامش الذي كان ثلثاه إلهاً، وربما الملك دموزي الذي أله بسبب صلتة بالإلهة إنانا وصارت له أفعال خارقة. ولذلك نعتقد أن الملوك الأكديين الذين ألهو (مثل سرجون الأكدي وابنه نرامسين) كان ذلك بسبب أفعالهم الخارقة والعظيمة لأن فيهم جزءاً الوهياً بارزاً غير مرئي، ولم يكن المقصود منذ لك عبادتهم، ولذلك وضعت علامة الألوهية (دنكر) أمام أسمائهم.

إن علامة الألوهية (دنكر بالسومرية، إيل بالأكدية) كانت علامة موحدة تدل على الألوهية أينما وجدت وتوضع أمام أسماء الآلهة. . وفي هذا الاجراء ما يدل على توحيد الألوهية واعتبارها صفة مطلقة لقوة عظمى تسيّر الكون والعالم والإنسان. وكان السومري يرى أن هذه القوة توجد في السماء وأن الإله (أن) هو الرب الواحد المطلق عند السومريين وهو يعيش في السماء السابعة بعيداً حتى عن الآلهة الآخرين الذين ينفذون إرادته وأفعاله، فهو إله العالم والوجود والكون، أما إنليل فهو إله الهواء ولكنه إله سومر القومي حصراً.

«إن اندماج فكرة الألوهة بالعلو والسماء في الزمن القديم - حيث كانت إشارة الألوهة تعني العلو والسماء - كذلك هذا الاندماج هو ذو دلالة هامة على العلاقة التي تعبر عن ذاتها بالمشاعر اللاهوتية المشدودة نحو المطلق الكوني. وهي ذاتها التي أشار لها بيلارد دي شاردين حين قوله: «الإله هو المجموع الكوني في كل إنسان» (الخوراني ١٩٨٧: ١٥٧).

وعلامة الألوهية في أصلها أيضاً تشير إلى الجهات الأربعة وما بينها، أي إلى ثمانية جهات، وهذا يعني أن الإله الأعظم رغم كونه في السماء فهو موجود في كل مكان. وكذلك تشير إلى الضوء اللامع في الفضاء المدللهم الواسع أي إلى النجمة باعتبارها نبضاً في الظلام، فهو روح وقلب اللامتناهي وهكذا وسعت هذه العلامة عدة معاني (السماء، الاعالي، الجهات، الضوء النابض في الظلام).

الإنسان إذا مات ذهب باتجاه عمودي نحو الأسفل إلى القبر ثم العالم الأسفل

وقبعت روحه هناك إلى الأبد . أما الإله إذا ذهب إلى العالم الأسفل فإنه يذهب بحركة دائرية يجوب فيها العالم الأسفل ثم يخرج منه ربما ليعود هو أو البديل عنه بحركة دائرية .

٧. الفقه السومري

الفقه في أبسط تعريف له هو «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية» ، أو هو هذه الأحكام نفسها . والأحكام جمع حكم وهو إثبات أمر لآخر إيجابياً أو سلباً مثل قولنا الشمس مشرقة أو غير مشرقة والماء ساخن أو غير ساخن . والمراد بالأحكام هنا ما يثبت لأفعال المكلفين من وجوب أو نذبة أو حرمة أو كراهة أو إباحة أو صحة أو فساد أو بطلان ، ، (زيدان ١٩٦٤ : ٦) .

لقد اطلق مصطلح الفقه على مثل هذه الأحكام في أزمان متأخرة ، ولكن الفقه موجود منذ أقدم العصور ، فقد ولد من النواهي والمحرمات والتابو والحلال ، وقد ارتبط بالأديان أولاً ثم ظهرت الشرائع المدنية السومرية والبابلية المعروفة ودمج بها .

لقد كان الانسان السومري إنساناً متدينياً ورعاً خشوعاً وكانت المحلات والمحرمات دينية في أصلها ، ولذلك يمكن التعرف على أحكام الفقه السومري من خلال معرفتنا للكثير من جوانب الأخلاق والتشريع والأعراف الدينية المعروفة لهذا الدين . ورغم وجود الكثير من مفردات الفقه السومري متناثرة في النصوص والشرائع والأحداث إلا أننا سنركز على أهمها وأكثرها شيوعاً :

الزواج

تسمى البنت المراهقة قبل الزواج بالسومرية (كي سيكيل تور) ومقابلها بالأكدية (بتولتو) أي البتول أو العذراء ، أما البنت البالغة فاسمها (كي سيكيل) .

وعبر السومريون عن الزواج بمصطلح (نامدام شي ، بأن توكو) وبالأكدية (أخازوا) أي (أخذ) ، وكان من المستهجن الزواج من البنات الصغيرات رغم تحبيذ السومريين الزواج المبكر ولكن في عمر مناسب . وكانت خطوات الزواج تبدأ بأخذ رضى والد البنت ثم والدتها خصوصاً عندما يكون الزوج صبياً (گوروس gurus) عند أول ظهور الشعر في وجهه . وكان والد الخطيب في العهد السومري الحديث (سلالة أور) يؤدي القسم باسم

الملك امام، القضاة وعدد من الشهود ويقول (عسى أن يتزوج ابني ووريثي الشرعي فلان من فلانة ابنة فلان). وكان القاضي كاهناً دينياً (انظر عقراوي ١٩٧٨ : ٥٨).

وكانت موافقة والد الفتاة والدها امراً أساسياً، ثم يتم التعاقد شفاهياً أولاً وإقامة وليمة وعند ذاك تصبح المرأة زوجة شرعية ويعزز ذلك تقديم المهر والهدايا التي سمّاها السومريون (نكدي nig - de - a) وتتضمن مواد غذائية كالخبز واللحوم والزبد والتمر والفاكهة وتحمل إلى بيت العروس في اطباق وتسمى بالأكدية (هريه) وما زال فلاحو الجنوب العراقي يسمون مهر العروس الأول (هريه).

أما عقد الزواج الرسمي فيسمى بالسومرية (كاكيسدا Ka.kesda) الذي يقابله بالأكدية (ركسام) فهو أمرٌ ضروري جداً ولا يتم الزواج بدونه مطلقاً وربما كان يدونه الزوج وتحفظ به الزوجة لضمان حقوق أولادها الشرعيين وهو يسجل على رقيم طيني صغير.

وهذا نموذج من العقود المكتوبة باللغة السومرية والتي تعود إلى عصر الملك سمسو إيلونا (١٧٤٩ - ١٧١٢) ق.م :

« (انليل - أدسو) كاهن الاله انليل ابن (لوكال أزيذا) تزوج من (أما - سوكال) ابنة (نن - اب - مانسي) أعطت (أما سوكال) إلى (انليل ادسو) تسعة عشر شيقلاً من الفضة . وإذا ما قال (انليل أدسو) لزوجته (أماسوكال) في المستقبل (انت لست زوجتي) عليه ان يرد لها تسعة عشر شيقلاً ويعطيها مهراً يعادل نصف منّا من الفضة . أما إذا قالت (أما سوكال) لـ (انليل ادسو) زوجها (انت لست زوجي) فإنها سوف تخسر التسعة عشر شيقلاً وتدفع إضافة الى ذلك نصف منّ من الفضة ، ، (عقراوي ١٩٧٨ : ٦٥) .

ويشير هذا العقد إلى أن المهر المادي تدفعه الزوجة وتسترجه مع مؤخر الصداق (نصف منّ من الفضة) اذا طلقها زوجها، اما اذا طلقته هي فتخسر المهر وتدفع مؤخر الصداق له .

وكان هناك قيل عهد اوروكاجينا تقليد بزواج المرأة من أكثر من رجل في نفس الوقت، لكن هذا المصلح الاجتماعي حرم ذلك وجعل المرأة تتزوج من رجل واحد فقط والأرجمت .

ويسدو أن الزواج كان يتم من قبل كاهن يقوم بسكب الزيت على رأسي الزوج والزوجة عليهما أن يدفعا للكاهن مبلغاً معيناً .

وهناك احكام شرعية تفصيلية للزواج من أرملة الأخ ومن زوجة الأب (الضيزن) وإقتناء الحواري والمرضعات والتبني ، وأحكام الوراثة وأحكام نسخ الزواج والخطوبة والزواج الناقص والزواج بالمعاشرة والزواج بالشراء والزواج بارادة منفردة .

الطلاق

كان الطلاق أمراً معروفاً منذ عصر فجر السلالات وكان الطلاق يعني تنازل الزوج أو الزوجة عن حقوقهما مع فراق الآخر . وقد ذكر أوركاجينا في اصلاحاته انه قبل عهده كان الرجل الذي يريد أن يطلق زوجته فعليه ان يدفع خمس شقيقات من الفضة للحاكم (الإنسي) وشيقلأ واحداً الى كبير الوزراء ، وهذا يعني أن الرجل كان يأخذ موافقة المسؤولين قبل الطلاق .

وكانت الزوجة تطلق زوجها ولكن في حالات نادرة ومحددة . وكان الطلاق يسمى عند السومريين (تاك Tag)، ولم تمنح القوانين السومرية الزوج من طلاق زوجته التي انجبت اطفالاً ولكنها وضعت في طريقه بعض الصعوبات للموازنة بين إرادته وبين مسؤوليته في سبيل ضمان عيش زوجته المطلقة وأولادها، فمثلاً تنص المادة (٥٩) من قانون أشنونا على أنه (إذا طلق رجل زوجته بعد أن ولدت منه اولاداً ، واخذ زوجة ثانية فسوف يطرد من بيته وتقطع علاقته بجميع ما يملك ، وليذهب إلى من يأويه) . وكان طلاق الزوجة العاقر على العكس من ذلك سهلاً ومقبولاً .

وكانت الزوجة تطلق زوجها اذا استطاعت أن تثبت سوء سلوكه معها وانصرافه عنها إلى امور محرمة ، وهذا نص سومري يثبت ذلك «بعد أن قدم الزوج هدايا الزواج وسكب الزيت (أي قام بمراسيم الزواج) قدمت الزوجة (عشتارومي) شكوى إلى قضاة المدينة تنهم فيها زوجها بممارسة عادة اللواط . وبعد ان استطاعت هذه الزوجة ان تثبت للحكام بأنها قد شاهدت زوجها وهو يضاجع رجلاً آخر . اصدر القضاة حكمهم باسم الملك . فحلقوا رأس الزوج ، وثقبوا أنفه ، وأخذوه في مسيرة تشهيراً به . استملت الزوجة مهرها من ممتلكات زوجها وتركته » (Halla 1964: 95) .

التبني

كان التبني أمراً مألوفاً في الحياة السومرية وكانت له احكام وقوانين تنظمه ، ويبدو أن اكثر الدوافع التي كانت تدعو للتبني هو عدم قدرة الزوجة على الإنجاب ، أو عندما لا يكون للشخص قريب يقوم بمراسيم دفنه عند وفاته لان هذه المراسيم كانت تقرر راحته ومرتبته بعد الموت (أي في العالم الأسفل) . وهناك دوافع دينية أهمها تكريس الطفل المتبني للخدمة في أحد المعابد . وهناك التبني لغايات إقتصادية وغير ذلك . وهناك شروط للتبني أهمها منح اسم الرجل للطفل المتبني والإشراف علي تربيته وتعليمه وغير ذلك .

الإرث

كان الارث ينقسم الى نوعين هما توزيع ممتلكات الشخص في أثناء حياته (الهبّة) . أما النوع الآخر فيسمي (التركة) أي توزيع ممتلكات الشخص بعد وفاته ويسمي بالسومرية ايبلا (Ibila) وتسمى حصّة الوريث الواحد في ميراث ابيه هالا (ha-la) وهناك تفاصيل كثيرة تخص البنث والزوجة وغير ذلك .

الزنا

كانت الأعراف والاحكام السومرية تعاقب من يرتكب الزنا بقسوة فقد كانت المرأة المتزوجة التي تمارس الزنا تعطي الحق لزوجها بالزواج مرة أخرى وتلقى في الماء . وكانت هذه العادة كريمة اجتماعياً ، وكان من عادة السومريين اذا عرفوا زانياً وزانية ألقوهما في الماء بعد أن يوثقا معاً . أما إذا عفا الزوج عن زوجته فالملك وحده هو الذي يعفي عن الشريك ، أما إذا اتهمت المرأة بالزنا فقسما يجعلها بريئة .

٨. المؤسسة الدينية

عرفنا هيكل المؤسسة الإلهية وطبقاتها . ولا بد الآن عن معرفة المؤسسة الدينية على الأرض . ويقسم الباحثون هذه الى (الكهان والمعابد)

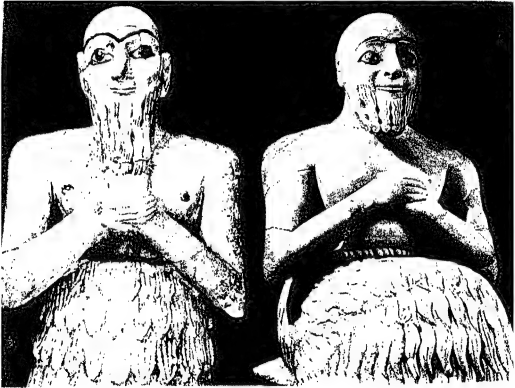
أ- النظام الكهنوتي

كان الكاهن في الحياة الدينية السومرية يمثل الصلة بين الانسان والإله ، ونرجح ان الكهنة ظهروا في عصور مبكرة في حضارة وادي الرافدين ، وربما كان ظهورهم مع عصر

الكالكوليت الذي كان المعبد أهم مظاهر أي ان الكهنة ارتبطوا بالمعبد وكانوا يتزعمون المجتمع على أسس دينية وسحرية وقدرات خاصة وكانت العصور الحجرية تعج بهم ويطلق عليهم الباحثون اسم (الشامان) .

في مزهريه أوروك من العصر شبه الكتابي ظهرت صور لرجال عراة يقدمون الأضاحي وهؤلاء هم الكهنة وكانوا غير مختونين .

وهناك ما يشير بوضوح إلى أن الملوك الأوائل كانوا كهنة ثم انفصلت وظيفة الملك عن الكاهن . لقد كان الحاكم أو الملك الأول يسمى بالسومرية باتيزي أو إنسي ثم انفصلت هذه الوظيفة إلى : الملك (Lugal) والكاهن (En) .



شكل (٨٢)

تمثالان للكهنة نيني والحارس أبيخ
ماري النصف الأول من الألف الثالث ق.م

وكان الكاهن (اين) يمثل أعظم الكهنة ويقع في قمة الهرم الكهنوتي السومري ،
ونحن نظن ان كلمة (عين) أو (العين) العربية هي من بقايا تلك الكلمة السومرية حيث
الأعيان هم سادة البلاد وأعلامها . أما الكاهنة التي تقابل (الإين) فتسمى (إينتنو) اي
الكاهنة العليا (Nin - Dingir) اما الراتب الكهنوتي تحت هذا المنصب فتتقسم إلى :

١- المرتبة العليا : وتتضمن ثلاث درجات

١ . الدرجة الأولى (السانكا) وهم الكهنة الأعلون وتضم الـ (مانخ) وهو الكاهن
الأعلى أو الكبير وهو كاهن يتم ترشيحه وسط شروط خاصة جداً ويعد تكريسه حدثاً
كبيراً ، ولكل واحد من آلهة المدن السومرية كاهن أعلى خاص .

٢ . الدرجة الثانية : وهم كهنة القُداس والمسؤولون عن بوابة المعبد ويسمون كهنة الـ
(اوريكالو) أي الحرس .



شكل (٨٣)

كاهن سومري يمسك اذاءً ويؤدي طقساً

٣ . الدرجة الثالثة : وهم الكهنة المتخصصون ، أي أن كل مجموعة منهم تقوم بأعمال متخصصة بنمط معين يلزمها الاستعداد الشخصي والموهبة الخاصة لادائها على الوجه الأكمل وينقسم هؤلاء الكهنة إلى عدة مجاميع أو أنواع :

١ . المنظفون وهم الذين يعملون في بيت الوضوء وهو حوض ماء يستعمل للوضوء لنظافة المعبد .

٢ . الطهرون (الماشاشو) : وهم الكهنة الذين يمسحون بالزيت الملك أو من يراد مباركته .

٣ . المعمدون (رامكو) وهم الذين يستعملون الماء لغسل الجسد كله .

٤ . الماسحون (باشيشو)

٥ . المعزومون (أشيبو) وهو المعزوم وطارد الارواح الشرير ويأخذ المعزوم دور الطبيب النفسي الذي يلزم دور الطبيب السريري . وكان المعزوم يسمى نفسه رجل الاله (إنكي) لأن الاله إنكي هو اله السحر ولذلك يستعين المعزوم به لطرد الارواح الشريرة والتصدي للسحر الاسود . وكانت مدينة أريدو الموطن الأول لكهنة الأشيبو وقد وردت على لسانهم جمل تؤكد ذلك مثلاً (أنا الأشيبو طارد الارواح الذي خلق في أريدو) ومعروف أن أريدو هي مدينة الإله إنكي .

٦ . العرافون (البارو) وهم المتنبؤون والذين يقرأون الفأل وكانت مرتبتهم رفيعة اعلى من المعزمين ، والكاهن المتنبئ يجب أن يكون من أصل شريف ونسب قديم وأن يكون أباًؤه وأجداده من الكهان ، وهي امور لم تكن تُشترط في الكاهن المعوذ .

وكان هؤلاء العرافون يقرأون الفأل من خلال وسائل عديدة أهمها عرافة الاحشاء وبشكل خاص الكبد Hepatoscopy ، وسكب الزيت في الماء Lecanomancy وقرعة ما يتركه من خطوط وتساعد الدخان Lebanomocy وقراءة خطوط الدخان .

٧ . مفسرو الأحلام (الشائيلو) وهم الكهنة المتخصصون بقراءة الأحلام وتفسيرها ويذكر أن النساء كن الأكثر تخصصاً بهذه الكهانة وإن (الشائلة) كانت تمارس كهانتها خارج المعبد .

٨ . كهنة طقوس الأسرار المقدسة (زاكيكو) وهم كهنة من رتبة خاصة .

٩ . المتدربون (ماري أو ماني) .

١٠ . النادبون (الغالو) وهم الكهنة المختصون بأناشيد وغناء الرثاء والعزاء في حالات الموت والدمار والكوارث . ولهم أدوات موسيقية خاصة بهم .

١١ . المنشدون (النارو) وهم الكهنة المختصون بأناشيد الفرح كالزواج وطقوس رأس السنة والاحتفالات الخاصة ذات الطابع الديني المفرح .

١٢ . الزمارون (زاميرو) وهم الكهنة الموسيقيون المختصون بألة الزمار والذين يؤدون عزفهم في مناسبات دينية خاصة .



شكل (٨٤)

كاهن أو متعبد سومري قديم من عصر العبيد
ربما يمثل (كورثيل)

ب. **المرتبة العادية** : وتتضمن ثلاث درجات أيضاً وتشمل كل أنواع الكهنة أي رجال الدين الذين لا يتميزون بأعمال خاصة بهم :

١ . **الكهنة الخصيان** وهم الكهنة المنذورون إلى المعبد والذين لا يحق لهم الزواج مطلقاً وهم على نوعين (أسينو ، كوركرو) .

٢ . **الكاهنات** : بالإضافة إلى ما عرفناه من نساء كاهنات متميزات مثل الكاهنة العليا و(الانتو) والكاهنة الشائلة (مفسرة الأحلام) هناك عدد كبير من النساء اللاتي كن ينخرطن في سلك الكهانة، فبعضهن منذورات إلى الآلهة . وكان قسم منهن يعيش في ابنية خاصة تسمى بالأكدية (gagu) ويتفق العلماء على أن أصناف الكاهنات التي سنذكرها بدأت منذ العصور السومرية الأولى وسنذكر اسماءها بالسومرية والأكدية .

وقد كان يطلق على الكاهنات تسمية خاطئة هي (كاهنات البغاء المقدس) على اعتبار ان مكانهن الخاص (كاكو) كان يشير إلى كلمة (بيت الدعارة) فقام الباحثون باطلاق فرضية خاطئة هي ان الكاهنات يمثلن الهة الحب (انانا) ولذلك فإنهن يمارسن البغاء المقدس .

لقد بات واضحاً ان كلمة كاكرو مشتقة من الأصل السومري (ga- gi- a) (كاكيا) اي (البيت المغلق وربما (السجن) وعندما تحرى الباحثون حول طبيعة هذه الأيئة وجدوا انها تشبه (الأديرة) وهذا هو المصطلح الدقيق لها ، ولذلك فإن النساء اللاتي يدخلن (الدير) أو (الكاكيا) يتصفن بالعفة والسمعة العالية والحشمة .

وسنرى أن الكثير من أصناف الكاهنات مثل (إنتو، لوكرو) لا يجوز لهن الزواج والإنجاب وهو مما نلمسه إلى الآن عند الراهبات المسيحيات ، ويبدو لنا أن مرد ذلك مرتبط بسبب مثولوجي (اسطوري) عميق يخص الآلهة (ننماخ) التي جاء في اسطورة خلق الانسان انها مع أنكي خلقت وهي في حالة سكر المرأة العاقر وقد قرر الإله أنكي مصير هذه المرأة بأن جعلها تعمل في خدمة الآلهة ، ولذلك تقرر من هذه الأسطورة ان من يقوم بخدمة الآلهة فإنه لا بد أن يكون عاقراً مما أصبح ضمن العرف الديني أن لا تتزوج الكاهنة ولا تنجب (حتى ولو كانت قادرة على الزواج والإنجاب) تمسكاً بهذه الحادثة الاسطورية . وينسحب هذا أيضاً على الكهنة الخصيان الذين ذكرناهم قبل هذه الفقرة والذين خلقهم الإله إنكي .

وقد يكون في الاسم السومري للكهانة العليا (اينتو) وهو (Nin- Dingir) اي (السيدة الإلهة) ما يفسر أيضاً حالة عدم زواج وإنجاب هذه الكاهنة لأنها كانت تعتبر بمصاف الآلهة وأن لها قدسية خاصة تمنعها من الإتصال بالبشر . . وربما لأنها كانت تعتبر بمثابة زوجة الاله .

أما أصناف الكاهنات السومريات فهو كما يلي :

أ) السيدة الإلهة (Nin - Dingir) وتسمى الأكديّة (اينتو) وهذا النوع من الكاهنات لا يقع ضمن المراتب العليا أو العادية للكهنة بل يحتل أرفع وأسمى وأقدس رتبة، ولها مكانة دينية واجتماعية كبيرة جداً توازي طبقة الملوك . وتكون مثل هذه الكاهنة عادة إبنة أو اخت ملك .

وكانت هذه الكاهنة تعتبر قرينة الإله وزوجته ولها غرفة في أعلى زقورة المعبد وفيها سرير واسع ومزخرف ، وكانت هذه الكاهنة هي المرشحة لطقوس الزواج المقدس . وبالإضافة لذلك كانت تقوم باستطلاع الفأل والعرافة . وهناك ما يؤكد أن جميع الملوك السومريين والساميين والعليليين قد وهبوا بناتهم لهذه الوظيفة .

ب. الراهبة (لوكر Luker) وتسمى بالأكديّة (ناديتو Naditu) أي النادية ، وهي المرأة التي نذرها أبوها للخدمة في معبد أحد الآلهة وكان لكل إله نادية مثل نادية ننورتا ونادية نانا وغيرهم وكانت الراهبة تقوم أحياناً بدور الكاهنة العليا في الزواج المقدس وربما كانت الوظيفة الأساسية لها وظيفة إدارية ، وكان هناك ما يشير إلى أنها قد تقوم بطقوس تقديم قربان (البكتو Piqittu) الذي يقام في نهاية الشهر القمري عندما يهبط القمر الى العالم الأسفل ، وأصبح هذا القربان بشير الى تقديم القرابين للموتى . . وكانت الراهبة تقوم به لأجل الراهبات الميتات قبلها ويتضمن الطقس تقديم (اللحم والخبز والبيرة) .

وكانت الراهبة ممنوعة من الزواج والإنجاب ولذلك كانت تعيش حياة طويلة لتجنبها مخاطر الولادة ولأنها تعيش حياة منعزلة بعيدة عن الاوبئة والأمراض .

ج. القديسة (نوگك Nu.gig) وتسمى بالأكديّة (قديشتو Quadishtu) أي القديسة ، وتعني كلمتها بالسومرية (الخالية من الأمراض) وقد ترجمها بعض الباحثين ببغية المعبد وكان متجنّباً وسبب لبساً وسوء فهم كبير في معالجة امر الكاهنات السومريات

وكاهنات العراق القديم بعامة . لقد عالج الكثير من الباحثين هذا الموضوع بمغالطة كبيرة كان الأساس فيها ما ترجمه عالم الآثار (Jensen) للمكان الخاص الذي تسكنه كاهنات الناديتو وهو (gagumi) فقال انه (الماخور brothel) وكان من الطبيعي ان يتبع ذلك الاعتقاد بأن هذا الصنف من الكاهنات كان من البغايا وان هناك عمليات جنسية تجري داخل المعبد طيلة أيام السنة . (انظر Harris, 1964 : 106 f)

ولكن ترجمتها الدقيقة كما أسلفنا هو (الدير) الذي يقلب الفهم كلياً .
ويذكر ان لقب Nu gig كان يطلق على عدد من الالهات مثل (انانا، ننماخ، ننسينا) .



شكل (٨٥)

آلهة وكنهة وكاهنات من سومر
معبد تل اسمر (أبو) النصف الأول من الألف الثالث ق.م

د. المنذورة (نويار Nu. bar) وتسمى بالأكدية كُلماشيتو Kulmshitu ومعناها المنذورة Votaress او المكرسة Devotee وتنحدر المنذورة من العوامل الغنية ولها الحق بالزواج، ولم تكن المنذورة تعيش في المعبد بل في بيت أبيها حتى الزواج.

هـ. المرافقة (سوكي Su. ge) وتسمى بالأكدية شوكتيتو Sugetu وهي الراهبة غير المنذورة او المرأة السجينة، ولم تكن مكرسة او منذورة لإله معين ويبدو أن لها علاقة بالمشاركة باحتفالات الزواج المقدس وكان لها الحق بالزواج، أو بانجاب الاطفال لصالح الكاهنة النادية المحرومة من الإنجاب.

و. الحاجة (سال زكروم Sal. zikrum) وهو نفس الاسم الأكدي - وقد ترجمها البعض الى (المرأة الرجل) (أو الخثى) وهي راهبة لها علاقة بالمعبد وغير منذورة الى إله معين ويبدو أنها تقوم بجلب أو توفير من يقوم بالخدمة في القصر والمعبد عن طريق التبني.

هذه هي أصناف الكاهنات السومريات اللاتي لهن علاقة بالمعبد والآلهة والطقوس الدينية أما ما يسمى بالبغي فهي امرأة عادية كانت تمارس فن الحب والجنس وليس لها بالمعبد أية صلة من قريب أو بعيد، وقد أتى الصاق هذه الصفة بالكاهنات من ثلاثة مصادر:

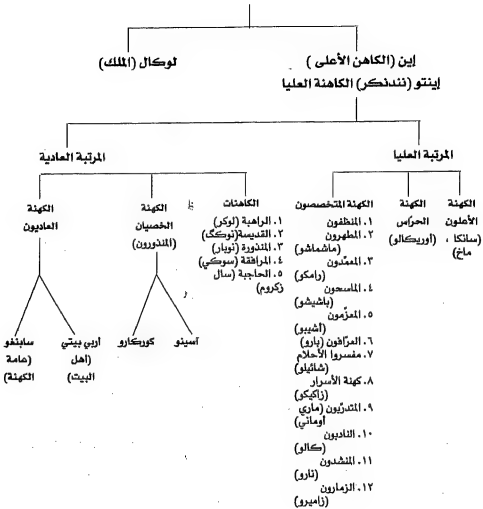
١. ما قاله هيردوتس من أن على الكاهنات البابليات أو النساء البابليات جميعاً ممارسة البغاء ولو مرة في العمر. وقد كان هيرودتس الذي لم يزر بابل بل كتب عنها وهو في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد متأثراً بالبيئة الإغريقية التي كانت تتمتع المرأة وتعتبر المرأة على أن تكون موسماً قبل الزواج.

٢. ترجمة جينسن لدير عزة الناديات ترجمة خاطئة (الماخور)

٣. الزواج المقدس الذي هو طقس مقدس يجري بين اعظم الكاهنات (إيتو) والآله الممثل بالملك، وقد وجود بعض الباحثين الغربيين في هذه الممارسة نوعاً من البغاء عَمَموها على كاهنات العراق القديم. واعتبروا البغي التي تلجأ الى المعبد وكأنها تمارسها الفعل في المعبد.

البغي بالسومرية اسمها (Kar. kid) وتقابلها في الأكدي كلمة (حريميتو Harimtu) التي تقابلها في العربية كلمة الحريم والحرمه ونرى بقاياها في الجنوب العراقي الشعبي بمعنى (الحارمة) أي المرأة التي لا نفع منها غير المدبرة وربما غير الشريفة، «ويظهر من دراسة

إنسي (باتيزي) الكاهن الملك



مخطوط (١٠)

هيكل المؤسسة الدينية السومرية وأصناف الكهنة السومريين

النصوص المسمارية بأن البغايا كن يمارسن البغاء أما في بيوت خاصة بهن أو في حانات بيع الخمر . تعرف حانات بيع الخمر بالسومرية (E. Kurunna) والأكدية بـ (Astamma) وكانت مثل هذه الحانات المكان الاعتيادي الذي تتردد اليه البغايا في وادي الرافدين تدار عادة أمامن قبل صاحب الحانة (في الأكدية Sabu) او صاحبة الحانة (Sabitu) والتي تعرف بالسومرية Mi - Kurun - na ، ، (عقراوي ١٩٧٨ : ١٩٧).

٣. الكهنة العاديون : وهم الصنف العادي أو التقليدي من رجال الدين والذين لا يمتلكون خصوصية كهنوتية مميزة ومجد منهم نوعين :

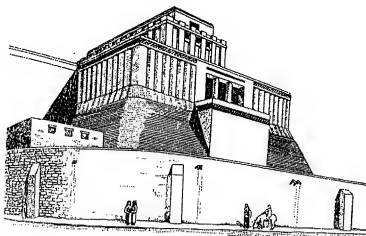
أ- سابغو أي عامة الكهنة .

ب- أربي بيتي أي الداخلون الى المعبد أو الذين لهم الحق في الدخول الى المعبد بشكل دائم وكأنهم (أهل البيت) .

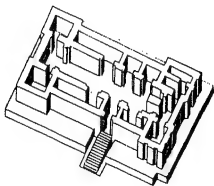
ب. المعابد السومرية

بدأ ظهور المعابد في وادي الرافدين مع الانقلاب الكالكوتيي ، وبدأنا نرى المعبد بصورته البسيطة في جنوب العراق القديم . . حيث كان المعبد نواة ظهور المدينة في المركز وطرد القرية الى المحيط .

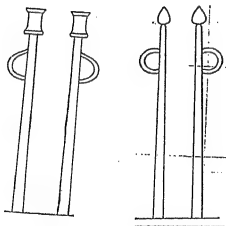
إن أول المعابد ظهر في أريدو (الطبقة السادسة عشر) وهو يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد، وقد كانت هذه المدينة منذ القدم مخصصة للإله إنكي، وهو «معبد ذي تخطيط مشير للإعجاب بالرغم من بساطته . إنه أقدم معبد مشيد تم اكتشافه حتى الآن ويضم عناصر استمرت حتى أزماننا عبر آلاف كثيرة من السنين والحضارات . فهو يحتوي على حرم مستطيل يبدو عليه بأنه كان مقسماً الى منطقتين بجدران فاصلة . وفي إحدى النهايات يوجد مذبح صنع لكي يحتوي على منصة من اللبن، فهنا يتوفر لدينا، كما هو في الواقع، مخطط لكنسية مسيحية نموذجية فيها مجاز مدخل والصحن والهيكل الذي يضم مذبحاً . ولقد كان معبد سليمان يضم تماماً ذات الترتيب الثلاثي : الرواق، والمكان المقدس، وقدم الأقداس . وعلى هذا فإن اثنين من أعظم الأديان العالمية التوحيدية قد أعادوا انتاج هيكل بناء المعبد العراقي » (بارو ١٩٧٩ : ١٠٠) .



شكل (٨٦)
إعادة بناء معبد اوروك المبكر



شكل (٨٨)
معبد سومري معاد التصميم
من الطبقة السادسة في أريدو
(مرحلة العبيد ٤٠٠٠ ق.م)



شكل (٨٧)
رمز بوابة المعبد
١. حوالي ٢٤٧٥ ق.م
٢. خلال العصر الأكدي وما بعده ويرمز
كذلك إلى بوابة السماء وبوابة العالم الأسفل
رسم : علي محمد آل تاجر

ثم وسّع هذا المعبد الصغير فأصبح وسطه محلاً مقدساً للعبادة محاطاً بعدد من الغرف الإضافية . والمحراب الذي تواجهه منضدة النذور يوضع على أحد الضلعين القصيرين ، الجدران مشيدة بالآجر الطيني وعلى طريقة الدخلات والطلعات المتعاقبة على أبعاد متساوية ، وقد شيد المعبد كله على دكة أو مصطبة يصعد بها بمجموعة من السلالم المؤدية الى مدخل المعبد . وقد رمز لوابة المعبد بالعود المزدوج الذي يشبه الرمح (شكل ٨٧) .

ويمكننا أن نقدم إحصائية أولية بالمعابد السومرية المهمة على ضوء التاريخ السومري :

١ . معابد مرحلة الأصول (٢ - ٣٥٠٠ ق.م

١- المعبد الأول في أريدو الطبقة ١٨

٢- معابد أريدو من الطبقات (٩ - ١٦) .

٣- معابد أريدو من الطبقات (٦ - ٨) .

٤- معبد كارا الطبقة (٨)

٢ . معابد مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م

١- معابد إنانا في الوركاء

٢ . زقورة أنو

٣ . معابد أريدو ذات المصطبة العالية في الطبقات (١ - ٥) .

٤ . معبد خفاجي للاله سين (نانا)

٥ . معبد كورا الطبقة (٨)

٦ . معبد تل براك ذو المدخل المزوق

٣ . معابد مرحلة دول المدن السومرية (٣٠٠٠ - ٢٤٧٠ ق.م

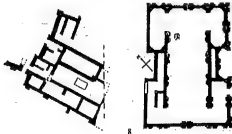
١ - معبد ننخرساك في تل العبيد

- ٢- معبد انليل في نفر
 ٣- معبد أبو في اشنونا
 ٤- معابد خفاجي وهي ثلاثة (البيضوي ، نتو ، سين).
 ٥- معبد شاراف في تل أجرب .
 ٦- معبد عشتار في آشور
 ٧- معابد ماري وهي ستة (انانا، نخرساكك، اوتو، عشتارات، نني زازا، الزقورة) .

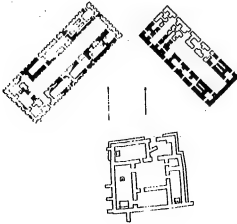
٤- معابد مرحلة سلالة اور الثالثة (٢١٢٤ - ٢٠٠٦) ق.م

وامتازت بظهور زقورات (اور ، اريدو ، نفر ، اوروك)

وظهرت ايضاً المنازل السفلية خصوصاً في أور وهي أشبه بالمعابد السرية، ستناول نموذجاً من كل مرحلة بشرح مبسط، وقد أتينا على ذكر المعبد الأول في أريدو لأهميته التاريخية لأنه أول معبد يشاد على وجه الأرض ويحمل المواصفات الأساسية للمعبد.



شكل (٨٩)
 معبدان من تبة كاورا
 الأول هو المعبد الشمالي في
 نهاية فترة العبيد
 الثاني هو المعبد الواقع شمال
 شرقي نينوى (٤٥٠٠ ق.م).



شكل (٩٠)
 معبدان إنانا في اوروك
 الأول من الطبقة السادسة ٣٢٠٠
 ق.م
 الثاني من الطبقة الخامسة
 ٣٤٠٠ ق.م (المعبد الصخري)

شكل (٩١)
 المعبد المربع (معبد أبو) في تل

آسمر ٢٧٥٠ ق.م

معبد اناثا في اوروك

وهو معبد يمثل المرحلة الثانية من التاريخ السومري، ويسمى (أي . E- annal) ويعني (بيت السماء) وقد كان مخصصاً لعبادة الإلهة إناثا باسمها القديم الأول (إنين) ، ويعتقد أنه كان في نفس الوقت معبد الإله دموزي .

ولهذا المعبد ميزتان معماريتان مهمتان الأولى هي أن مخططة الأرضي كان يشبه الصليب الذي تحيط به جدران مختلفة (انظر شكل ٨٦)

وقد يكون هذا نضحاً لا واعياً من بناء المعبد، حيث أن إناثا عند نزولها الى العالم الأسفل تعلق على عمود بعد ان تقرر اختها موتها . . ثم ان دموزي زوجها يموت كل عام في العالم الأسفل (ولنتذكر مقارنات دموزي واناثا مع السيد المسيح) . أما الوجه الثاني للصليب وهو الأساس فهو انه كان رمزاً للخصب واناثا ودموزي هما خير من يمثل الخصب . الميزة المعمارية الثانية هي الزخرفة الفسيفسائية المذهلة لأنصاف الأعمدة المثبتة على الجدران، وذلك عن طريق تثبيت عشرات الألوف من المخاريط الطينية الصغيرة بعد تغطيسها في ألوان مختلفة حتى تصبح رؤوسها أما حمراء أو سوداء أو برتقالية باهتة «وذلك دون ريب إختراع سومري بكل تمييز ولغرض تنوع الجدران الداخلية والأعمدة الضخمة يلقون في غلاف الطين آلافاً من المخاريط المدببة الصغيرة ذات ألوان سوداء وحمراء وبضياء بطريقة لا تظهر منها سوى رؤوسها حيث تؤلف أشكالاً متكسرة ومقاطعة ومتعرجة من معينات ومثلثات تغطي سطح الجدار بمختلف الألوان . ويكون التأثير العام لذلك أشبه بالطنافس التي تتألف - بدلاً من ان تتسج بأصواف ملونة - من عدد لا يحصى من الحبات الصغيرة المصنوعة من التراب» (بارو ١٩٧٩ : ١١٥) .



شكل (٩٢)

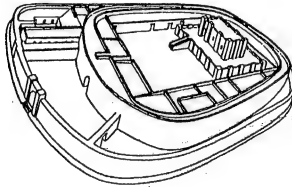
زقورة آن في اوروك

ويبدو أن المعبد كان شيداً فوق منطقة محاطة بساحة مركزية ومخازن وأماكن للأصاحي وجميع هذه المرفقات والمعبد محاطة بسور. ويرى الباحثون الألمان بشكل خاص ان لهذا المعبد زقورة وأنها كانت تتألف في البداية من طبقة واحدة.

المعبد البيضوي في خفاجي (توتوب)

يمثل هذا المعبد نموذجاً فريداً لمعابد مرحلة دول المدن السومرية. تبلغ مساحة المعبد حوالي (٨٠٠٠) م^٢، وأهم ما يميزه أنه محاط بسورين بيضويين يقع بينهما (بيت الكهنة). واشتمل بناء المعبد على دكاكين ومخازن وقدر أقدم في النهاية الأولى.

كان مدخل هذا المعبد سلماً يقع بين درجين. وتظهر خلوة متميزة. وكذلك ما يسمى بالطريقة المزدوجة التي كانت سائدة في النمط المعماري لهذا العصر ويبدو أن المعبد كان مبنياً على مصطبة عالية وما زالت الزقورة غير شائعة كثيراً في هذا العصر رغم وجودها.



شكل (٩٣)

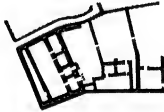
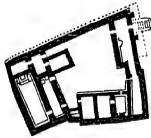
المعبد البيضوي في خفاجي

زقورة أور (معبد إله القمر تانا)

كانت الزقورة ابتكاراً سومرياً عظيماً لفن عمارة المعابد وقد كانت لكل من أور والوركاء ونفر ولارسا وأريدو زقوراتها الخاصة بها «وقد شيدت كل هذه الزقورات التي تتألف من ثلاثة الى سبعة طوابق من الآجر (غير المشوي من الداخل والمشوي من سطحه

الخارجي). فهذه النُصب تذكرنا لأول نظرة بالأهرام المصرية . وبصفة خاصة بما عرف بهرم (سقارة) المدرج « (بارو ١٩٧٩ : ٢٥٤) ويبدو أن الزقورات السومرية كانت حافزاً لبناء الأهرام المصرية ، رغم أن الأهرام اخذت خصوصيتها المصرية وانها كانت بمثابة القبور العملاقة وليس المعابد .

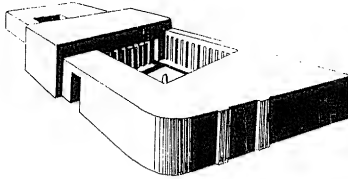
إن زقورة أور التي بناها الملك (أورنمو) ذات ثلاثة طوابق وتعلو الطابق الأعلى غرفة الإله (نانا) وقد وجهت زوايا المعبد الأربع نحو الجهات الأربع ، ورتب التغليف على شكل طلعات ودخلات « أما السلم الذي يهبط بتعامد في اتجاهه مع الضلع الشمالية الشرقية فمن المحتمل أن يؤدي قدماً إلى الطبقة العليا التي شيدت عليها المعبد العالي الحقيقي . وأما السلّمان الجانبيان فانهما يرتبطان عند الطبقة الأولى . بالسلم الرئيس الذي يؤدي بشكل منفصل إلى الطبقة الثانية من الزقورة (مورنكات ١٩٧٥ : ١٩٥) .



شكل (٩٤)

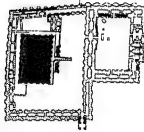
معابد اله القمر (سين)

١. الطبقة الاولى خفاجي قرب ديالي ق.م ٣١٠٠
٢. الطبقة الرابعة خفاجي ق.م ٢٩٠٠
٣. الطبقة الثامنة خفاجي ق.م ٢٧٠٠



شكل (٩٥)

معبد الإلهة نني زازا في ماري ٢٤٠٠ ق.م



شكل (٩٦)

معبد زقورة نانا في أور
سلالة أور الثالثة ٢١٠٠ ق.م

٩. الحكماء السبعة (أبكالو)

أفردنا لمبحث الحكماء السبعة فقرةً منفصلة لإيماننا أن هؤلاء الكهنة لا يشكلون مرتبة كهنوتية معروفة، ولكنهم في نفس الوقت يمتلكون أهمية استثنائية في الماضي السومري وبوجهه الديني بشكل خاص .

الحكماء السبعة هم (ابكالو) وأحياناً يلفظون بـ (افكالو) سومرياً ولكن المصطلح الأكدي لهم هو بُلوكو (Pulakku) . ويشير الأصل السومري لهم أنهم خبراء العرافين، أما المصطلح الأكدي فيعني حصراً (مراقبو النجوم) ومن هذا المعنى اشتقت كلمة (الفلك) فهي قريبة من بولوكو وكذلك كلمة (الأفك) أي الكذب التي تشير إلى فئة الدجالين من العاملين في قراءة النجوم .

وقد أظهر نصٌ مكتوبٌ باللغتين السومرية والأكدية أسماء هؤلاء الحكماء السبعة الذين عاشوا قبل الطوفان، ويعتقد أن كل واحد منهم عاصر أحد ملوك الطوفان . . وكان هو مصدر الحكمة والدين آنذاك (انظر 4 : 1961 Reiner) .

ويأتي ذكر الحكماء السبعة في اللوح الأول من ملحمة كلكامش :

«أعلُ فوق أسوار أوروك

وامش عليها متأملاً

تفحص أسس قواعدها وأجر بنائها

أفليس بناؤها بالآجر المفخور؟

وهلاً وضع الحكماء السبعة اسمها ،

(ياقر ١٩٨ : ٧٤) .

ويطلق على الواحد منهم أيضاً لقب (منتاكو Muntakku) ويعطي معنى المستشار . ويوحى كذلك بكلمة (المنطق) وهي جزءٌ من الحكمة فهم (المنطقيون) أيضاً . وكذلك اسمهم السومري أبكالو Apkallu أي الافكل وتشير إلى جذر سومري أقدم أبكال Abgal . وهناك مصدر يذكر اسماءهم الصريحة كما يلي :

١ . **أدابا :** ومعنى اسمه الحكيم أو العاقل أو العارف وهو كاهن التطهير لمدينة أريدو والذي صعد إلى السماء ، وتذكره أحد القصص الأكديّة تفصيلياً ، بحيث انه كاد يحصل على طعام وشراب الآلهة فيكون بذلك خالداً إلا انه رفض أخذ هذا الطعام والشراب وخسر الخلود ، وأدابا شخصية سومرية عاشت في أقدم عصور ما قبل الطوفان . وتختلط شخصيته بشخصية أخرى هي (أوان Uan) وهي الشخصية التي ذكرها المؤرخ البابلي برعوشا (Berssus) بصيغة (أوانيس Oannes) ، ولكن أوان أو أوانيس هذا على ما يبدو كائن اسطوري نرى أنه الإله إنكي نفسه وقد أخذ اسمه الأكدي أو البابلي (أيا) وصيغ بصيغة يونانية (أيانيس) بدليل أن برعوشا يذكر بأنه كان يلبس ملابس سمكة وهو رداء الإله إنكي الذي كان يلبسه رهبانه وكهنته وتذكرهم النصوص المسمارية على أنهم صنّاع (Um-mianu) وهي تسمية قد تكون مصدر (اوان) .

٢ . **نوبيرغال نون كالدم :** وهو الحكيم الثاني وكان حكيم إنركار الذي جلب عشتار من السماء ووضعها في معبدها في أوروك (أي أنا)

٣ . **بيرغال نونكال :** وهو الحكيم الثالث القادم من كيش والذي أغضب الإله أدد في السماء ، فقام هذا الإله بحبس الأمطار ثلاث سنوات وماتت خلالها النباتات .

٤ . **بيرغال أبسو :** وهو الحكيم الرابع الآتي من مدينة (أريدو) والذي أغضب الإله إيا أو إنكي في الـ (أبسو) .

٥ . **لونانا :** وهو الحكيم الخامس الذي طرد التنين (اوشنكالو) من معبد عشتار (انينكار نونا) .

أما الأثنان الآخران فيصعب قراءة إسميهما (انظر 4: 1961 Reiner) ولكن هناك مصدر آخر يذكر اسماءهم السبعة بصيغة مختلفة ويبدو ان لهم عدة ألقاب وهم حسب هذا المصدر (انظر 327: 1989 Dalley) :

١ . **أدابا Adapa**

٢ . **أوان دوكا U- an - duga**

٣ . **اينمي دوكا En- me - duga**

٤ . **اينمي كلاما En- me - galamala**

٥ . اينمي بلوگا En- me - buluga

٦ . ان إنليليدا An- Enlilida

٧ . أتر أبسو Utu - abzu

ويبدو أن اسطورة الحكماء السبعة السومرية انتشرت في كل العالم القديم فالفرس والهنود والصينيون والاعريق ، كلٌ على حدة ، لهم حكماءٌ سبعة شادوا لهم حضاراتهم القديمة وعلموهم فنون الحكمة والعمران .

وتشير أو تلمح كلمة أبكالو السومرية إلى معنى المخلوقات المركبة أو العفاريت التي تعمل تحت إمرة أبسو المياه العذبة العميقة أو مياه الانهار ، والتي تقع تحت سيطرة الإله إنكي . وتصور هذه المخلوقات بجسم انسان ورأس سمكة وهو الزي الذي يشير الى كهنة الاله انكي لاحقاً . وهذا يعني انهم (رسل) أو مبعوثو أو حكماء الإله إنكي سيدهم أو سيد الحكمة .

أن ما يلفت انتباهنا في حكاية الحكماء السبعة هو تحديهم للآلهة رغم انهم استلموا الحكمة منهم «وهذا يعني أن حكمتهم كانت تدخلاً في شؤون وأنظمة الطبيعة ، التي هي من اختصاص الآلهة حسب العقيدة اللاهوتية البابلية . وهذا التدخل ، برأينا المعاصر ، لم يكن سوى العمل للتحكم ببعض مساراتها ، وهو ما نعبر عنه اليوم باسم الاختراعات العلمية ، التي ليست سوى الإفادة من مسيرة الطبيعة ذاتها . وإن مجرد ذكر تحدي هؤلاء الحكماء للآلهة ذكراً محايداً ، دون نقمة أو شماتة يوضح القيمة الاجتماعية التي كان يتمتع بها الحكماء ، والتي تجعله في مواجهة مباشرة مع غموض الطبيعة وجبروت آلهتها ، وليس في وضع المنبوذ أو المرفوض لخطيئة تمرده» (الخوراني ١٩٩٤ : ١٢) .

إن ظهور الحكماء السبعة مع ملوك ما قبل الطوفان يشير من وجهة نظرنا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن الملوكية عندما نزلت من السماء فلا شك أنها نزلت من أن الذي كان قد سلمها إلى أنليل وهو المسؤول عن الملوكية أو السلطة . أما الحكمة فإنها خرجت من البحر وأخرجها كائن بحري أسطوري هو الإله (إنكي أو (إيا) نفسه إله الماء والحكمة . وبهذا المشهد يتكامل ظهور الآلهة الثلاثة على الأرض من خلال ممثلين لهم من البشر هم (الملوك والحكماء) .

إن تلازم السلطة مع الحكمة في نظر السومريين هي من الأمور الأساسية لكي يحكم الإنسان على الأرض . ونحن نرى دور الحكماء السبعة في ترسيخ وتعميق الدين السومري وال عمران السومري معاً كان أساسياً.

١٠. العود الأبدي

ترتكز فكرة العود الأبدي على أن ما يحدث في العالم وما نفعله مرتبطٌ بحدث أولي ظهر في أقدم الأزمان وأنا نحاول تكرار نموذج مثالي أسطوري ويتبع ذلك رفضٌ حيث للزمن التاريخي وعودة دورية لزم الأحوال الميثية إلى (الزمان الكبير) .

ورغم أن العلامة مرسيا إلياد عالج بكثير من الدقة شواهد حضور فكرة العود الأبدي عند الأقوام البدائية، لكن الأمثلة الرافدينية والسومرية منها بشكل خاص كانت هي أساس هذه الفكرة ومنبعها .

ونحنُ لا نتحدث هنا عن فلسفة العود الابدي عند اليونان أو عند هيجل أو عند نيتشة بل إلى الأصول السومرية لفكرة العود الأبدي وكيفية ممارستها طقسياً وفعالاً.

يرى السومريون أن العالم الذي نحنُ فيه ما هو الأصدى أو تكرار لنموذج سماوي إلهي سبق ظهور عالمنا الأرضي والانساني، أي أن هناك نموذجاً أو مثلاً إلهياً نعمل نحنُ على إعادة التشبه به دائماً ففي أقدم وثيقة حلمية تتعلق ببناء معبد في لكش يرى غوديا في حلمه أن الإلهة (ندابا) أظهرت بناء المعبد على لوح جاء فيه ذكر النجوم النافعة وأحد الآلهة يطلعه على رسم الهيكل . وقد كان لأغلب المدن السومرية والبابلية نماذج سماوية برجية فمدينة سبار نموذجها السرطان ونيوى نموذجها الدب الأكبر وأشور نموذجها القوس . وقد أمر الملك سنحاريب ببناء مدينة نيوى على حسب (الخطة المرسومة منذ الأزمنة السحيقة في هيئة السماء . والمثال لا يسبق التصميم الأرضي في الزمان وحسب، وإنما هو يوجد في اقليم مثالي (سماوي) في الأزل أيضاً (انظر الياد ١٩٨٧ : ٢٤) وكان العراقيون القدماء قياساً على أصل سومري يرون أن لدجلة نموذج سماوي هو النجم (عنونيت) وللفرات نموذجاً هو (نجم السنونو) . وهذا ما نلمحه في بقايا المعتقدات السومرية عند الصابئة حيث (نهر يردنا) هو النهر السماوي لدجلة والفرات .

وهناك نص سومري يحدثنا عن (إقامة أشكال من الآلهة)، حيث توجد ألوهة الماشية والحبوب .

إن العالم الذي نحنُ فيه لا يكتسب شرعية أخرى غير الشرعية التي ترتد إلى النموذج فوق الأرضي الذي جاء هذا العالم على مثاله . أي أن الانسان يبني طبقاً لنموذج، ولا تقتصر النماذج السماوية على المدينة والمعبد وحسب، وإنما تشمل كل إقليم يسكنه وما فيه من أنهار تروي أراضي وحقول تمتد بالغذاء . . الخ، إن مخطط مدينة بابل يرينا المدينة في وسط إقليم دائري واسع يحيط به نهر «عامر» تماماً كما تمثل السومريون الفردوس من قبل (انظر الياد ١٩٨٧ : ٢٨) .

وتشكل رمزية المركز واحدة من أوجه فكرة العود الأبدي التي تظهر من خلال الجبل أو المكان المقدس حيث تتلاقى السماء والأرض والذي يوجد في مركز العالم، وهكذا كان الاعتقاد بمدينة نقر التي كانت مركز العالم حيث انفصلت السماء عن الأرض في منطقة (اوزموا) فيها ولذلك تعتبر هذه المنطقة أشبه برباط الأرض والسماء أو (سرة الأرض) حيث خلق الانسان لأول مرة في (اوزموا) . ويرد اسم (دوكو) وهو (الثل المقدس) عند السومريين ليشير الى مجمع الآلهة (الانونا) عنده وربما أشار حقيقة الى جبل حميرين .

وتظهر رمزية المكان أيضاً في كل معبد أو قصر يشاد من قبل الملوك السومريين ولذلك كانت الزقورات والمعابد تحمل اسماء تشهد على تمثلها للجبل الكوني (جبل البيت، بيت جميع البلاد، جبل العواصف، صلة ما بين الأرض والسماء . . الخ وتقول المدونة الجلمية للملك كوديا أن حجرة الإله التي بناها الملك كانت شبيهة بالجبل الكوني . وقد كانت الزقورة تحديداً جبلاً كونياً . أي صورة رمزية للكون، فالأدوار السبعة تمثل السموات السبع الكوكبية أو هي ملونة بألوان العالم (انظر الياد ١٩٨٧ : ٣٣-٣٤) .

وقد تردد اسم سوميرو Sumeru للجبل المركزي الذي كان يعتقد به اقوام الاورال (الألتايك) باعتباره المكان الذي يتدلى فوق قمته نجم القطب . وهؤلاء الأقوام يرتبطون بذاكرة لغوية مشتركة مع السومريين ولهم صلات أصل مع سومر .

وكانت طقوس الزواج المقدس في سومر مناسبة لآحياء ذكرى كوسموغونية كانت تقوم بها الآلهة، ولذلك كانت استعادة هذه الذكرى في مهرجانات صاخبة تمثل آحياء طقسياً لبداية الخلق الكوني والزواج الألهي، وقد انسحبت هذه الفكرة تماماً على أعياد

رأس السنة الجديدة عند السومريين فقد كان «المغزى الإجمالي لهذه الاحتفالات، ومغزى كل عنصر من عناصرها المكونة لها واضحاً وضوحاً كافياً : وفي اثناء قطع الزمان الذي تشكله السنة، لا نشهد إيقافاً فعلياً لفترة زمنية معينة وبداية لفترة أخرى وحسب، وإنما نشهد أيضاً إبطالاً للسنة الماضية والزمن المنصرم. وهذا، من جهة ثانية، هو معنى التطهيرات الطقسية : حرق، ومحو للخطايا والذنوب التي اقترفها الفرد والجماعة في مجموعها، لا مجرد تطهير . إن التجديد هنا معناه الولادة الجديدة» (الياد ١٩٨٧ : ١٠٣).

لقد كان عيد الأكيتو السومري عوداً دورياً أبدياً لبدء الخليقة، ولحظة شروع في بناء عالم جديد وكانت طقوس غياب دموزي أو نانا (القمر) أو دامو أو غيرهم من الآلهة غياباً مؤقتاً مناسبة للطرد السنوي للخطايا والأمراض والعفاريت التي سببت مثل هذا الغياب وهي - في الأساس محاولة - ولو مؤقتة - لإعادة إنشاء للزمن الميثي والبديهي، الزمن النقي، زمن لحظة الخلق كل سنة جديدة فهي عودة بالزمان الى بدايته، أي تكرار لولادة الكون. «وكذلك كان يحتفل بالعيد المسمى بـ (عيد المصائر)، (زكمك) في الأطوار نفسه الذي كان يُحتفل فيه بـ (أكيتو) في (عيد المصائر) حيث كان يتم تعيين دلالات كل شهر من أشهر السنة الاثني عشر، وهذا يعني خلق الأشهر الاثني عشر القادمة،، (الياد ١٩٨٧ : ١٠٧).

لقد أصبحت كل هذه المداليل العميقة اساساً عملياً لفكرة وفلسفة العود الأبدي التي ظهرت بوضوح في المعتقدات اليونانية العرفانية كالفيثاغورية والرواقية ثم الغنوصية.

ونلمح كذلك جذور فكرة العودة الأبدي في الدورات الكونية الكبرى (السنار) عند السومريين والبابليين حيث ينقسم الزمن الى دورات فلكية تنتهي بحوادث عظيمة كالطوفان أو الحرائق .

وقد شكلت هذه الأفكار اساس الفكر اليوناني حيث أصبحت «فكرتا العود الأبدي» و(نهاية العالم) دورياً ذات حظوة كبيرة عند اتباع الفيثاغورية الحديثة التي اقتسمت مع الرواقية قبول المجتمع الروماني كله لها، في القرنين الثاني والأول قبل المسيح . لكن اعتناق اسطورة (التكرار الأبدي) واسطورة (نهاية العالم) كان يمثل موقفين فلسفيين يسمحان لنا أن نستشف من خلالهما موقفاً معادياً للتاريخ بعيد الرسوخ، وتؤكد إرادة للوقاية من التاريخ (الياد ١٩٨٧ : ٢١٥).

١١. جذور الهرمسية والغنوصية

نرى أن الدين السومري كان ديناً شرقياً أصيلاً بالمعنى العميق للكلمة ، فقد عكس هذا الدين بيئة الشرق القديم تماماً ، وضمّ بذور الكثير من العقائد والاتجاهات التي ظهرت لاحقاً .

لم يكن نشوء الهرمسية والغنوصية مرافقاً لتلاقح الفلسفة اليونانية بالشرق وظهور النزعة الهيلنستية ، بل كانت الهرمسية والغنوصية من التيارات الشرقية القديمة . . بوجود وعدم وجود هاتين التسميتين .

وهناك من يرى أن الهرمسية ترجع الى سومر ، فالأصل البابلي للهرمسية والذي يقول أن هرمس كان بابلياً ورحل إلى مصر وبنى الأهرام هو كلام غير دقيق تماماً لأن المقصود ببابل هنا هو سومر ، فالأهرام بنيت قبل ظهور بابل وبعد ظهور سومر وتستمد الهرمسية أصولها من ديانة الأسرار السومرية ومن السحر السومري ومن فكرة الأصول التي تكمن في سومر قبل مصر . ونرى أن الهرمسية نشأت قبل الطوفان في سومر ، وأن أحد ملوك ما قبل الطوفان كان بلا شك هو هرمس الذي انتقل تحت هذا الاسم أو غيره الى مصر ثم انتقل الى اليونان ثم ظهرت الهرمسية كتيار هيلنستي نشط قبل الميلاد بقرن أو قرنين . . ثم وجدت لها طريقاً في الأديان الموحدة الثلاثة (اليهودية والمسيحية والاسلام) تحت مسميات عديدة .

أما الغنوصية (gnosticism) التي ترجمت إلى (العرفان) والتي يدعي أصحابها المعرفة الكاملة لطبيعة الله وصفاته . وهي نوع من المعرفة العليا والنور الروحي الذي تصل اليه النخبة المصطفاة . والغنوصية كتيار واضح ظهر مع سيمون الساحر ثم على يد ثلاثة من الفلاسفة الغنوصيين الذين عاشوا في أواسط القرن الثاني هم بازيليدس وفالنتينوس ومريون وركز هؤلاء على حقن الفلسفة بالأساطير وبناء هياكل مثولوجية داخل العقل الفلسفي ، وعلى هذا النحو نرى الغنوصية ، التي تمخضت من جهة أولى عن خرافات وحكايات اسطورية تتسع لجميع الصور الدينية التي تسكن عقل الشرقي ، ومن جهة ثانية عن عبادات وممارسات تطهيرية ترامت أنصابتها وآثارها على امتداد الأمبراطورية الرومانية ، نراها لا تعقد إلا صلات غير مباشرة بتاريخ الفلسفة ، (برهيه ١٩٨٢ : ٣١٠)

وتكاد الغنوصية والهرمسية تشكلان توأماً شرقي المنبع أثارت مياحه حجارتان الأولى جاءت من الأديان التوحيدية وبشكل خاص اليهودية والمسيحية . والثانية جاءت من الفلسفة اليونانية التي وفدت إلى الشرق مع الإسكندر المقدوني .

وهكذا تطعمت الأديان الموحدة والفلسفة اليونانية بوشاحي الغنوصية والهرمسية ، لكن اصولهما العميقة تكمن في سومر . . وتحديدأ في ديانة دموزي الشعبية والتي بدأت بالإنحسار والتواري مع مجيء الحضارات السامية ، ولكنها كانت تذهب إلى الأعماق باتجاه الأسرار والباطن .

إن طقوس وأسرار التمزوية وما نتج عنها من عرفان ذوقي في معرفة الآلهة ، وفي الإنسان الأول ، ونزول الإنسان إلى الأسفل ، أو صعوده إلى الأعلى واتصاله بالآلهة . . كانت جزءاً من الدين السومري ذات يوم .

ولعل أقرب الديانات التي ما زالت حية والتي تمثل الغنوص السومري والهرمسية السومرية هي الديانة الصابئية المندائية التي تمثل في جوهرها الدين السومري ، وفي أسرارها الغنوص السومري ، وفي هيكلتها البناء الهرمسي السومري . وستكون لنا وقفة مطولة مع هذا الموضوع في الكتب القادمة (انظر الماجدي ١٩٩٧ ب)

١٢ . الاسكاتولوجيا السومرية

(عقائد الموت والخلود)

يتسع مفهوم الاسكاتولوجيا كثيراً ليتناول عقائد موت الكون والعالم والآلهة والإنسان . . وقد ناقشنا بعض جوانب عقائد موت الكون والعالم وأفكار العود الأبدي والसार السومري في الفصل الأول ضمن مثولوجيا الخليقة . لكننا سنتناول هنا الأوجه المختلفة لعقائد الموت والخلود والروح والعقاب والثواب والعالم الأسفل .

خلود وموت الآلهة

عرفنا أن الخلود كان من نصيب الآلهة وكانت الحكمة في ذلك هي : أن الآلهة مسؤولة عن إدارة الكون بجميع مظاهره المعقدة التي تفوق بكثير عوالم البشر ومن هنا فلا بد من ان تتفوق الآلهة على البشر بقدراتها ويخلودها وإلا فإن الكون يكون عرضة

للفرضى والدمار حين موتها وهو أمر لا يستساغ حدوثه « (حون ١٩٨٦ : ٤٤) ولذلك كانت مادة أجساد الآلهة من الضوء وأجسامها عملاقة ، ولكن التشابه بينها وبين الإنسان شكلاً ومضموناً في السلوك والتصرف والتفكير ، ربما ، كان واحداً من الأسباب التي جعلها تتعرض أحياناً إلى القتل والموت ، فضلاً عن تعرضها للإنتهاك والمرض والإحتجاب .

لا تحفل الأساطير السومرية ، كما هي الأساطير الأكديّة والبابليّة ، بموت الآلهة أثناء خلق الكون أو الآلهة في الآلهة ثمّ التي هي مصدر كل الكون والآلهة تظهر فيما بعد في أسطورة خلق الإنسان وأماً للإله إنكي ، بينما تموت الإلهة تيامت وأبسو ثمّ وكنكو في أسطورة الخليقة البابليّة .

لكن هناك لوحاً مكتوباً بالأكديّة ترجع أحداثه إلى العصر السومري أو ما قبله تشير إلى أن آلهة ، الانوناكي طلبت من الإله إنليل بعد خلق الكون أن يسمح لها بذبح عدد من الآلهة المسماة (لامكا) التي كانت تعتبر آلهة البنائين وقد تمّ ذلك في منطقة (اوزوما) في مدينة (نقر) ليقخلق الإنسان من دمائه .

أما الموت السنوي المؤقت للآلهة فقد كان هناك أربعة آلهة ذكور تعرضوا للنزول إلى العالم الأسفل والموت فيه وهم :

١ . دموزي إله مدينة أوروك جنوب سومر على أثر نزول إنانا إلى العالم الأسفل واختيارها له بديلاً عنها بسبب عدم مبالاته وحزنه أثناء موتها المؤقت .

٢ . ننجشزيديا (جشبندا) في جنوب سومر ويرتبط اسمه بدموزي فهو يقضي جزءاً من العام في العالم الأسفل ثم يصعد إلى السموات ، ويعتقد أن الإله ننجشزيديا إله خصب أيضاً ، وقد جاء رمزه كشعبان مطابقاً لشخصيته لأن الشعبان يغيّر جلده كل عام ، ولأنه يخرج من جحور عميقة في الأرض أي من العالم السفلي .

٣ . دامو : إله مدينة إيسن في وسط سومر ، وإله مدينة جرسو أيضاً حيث يذهب إلى العالم الأسفل وتبكي عليه أمه (نيني - سنا) إله إيسن ، وهو إله الشفاء في إيسن . وتراتيل البكاء عليه تشبه تراتيل دموزي .

٤ . ليل (LIL) : إله مدينة أداپ في وسط سومر ، وهو إله غامض ، أمه الإلهة ننخرساج وأخته أجيما التي تقوم بالتماس العذر له بتراتيل تشبه تراتيل كشتن نا :

،أخاه ، إنهض من قبرك ، أمك تنظر إليك
أمك ننخرساج تنظر إليك
تستمع إلى شفتيك الحلوتين
تستمع إلى فمك الحلو
يا ولد ، لا تدع أمك تجلس وتبكي
لا تدع ننخرساج تجلس وتبكي
لا تجلب لها الخراب ، انهض من قبرك
ليل . . لا تجلب لها الخراب
انهض من مرقلك . .
يقول ليل :

خلصيني ، يا أختاه خلصيني
أجيما ، خلصيني ، يا أختاه
لا تعفيني . . خلصيني يا أختاه
لم أعد قادراً على الرؤية
يا أمي يا نماغ لا تعفيني
لم أعد قادراً على الرؤية
قبري غبار العالم الأسفل
أنا نائم بين الأشرار
نومي عذاب وأنا بين الأشرار
أختاه ، لا أقدر على النهوض من قبري

(Thoro and Dangan 1922 : 175)

٥ . ساتران إله القضاء في مدينة دير شمال سومر ولا يعرف سبب ذهابه إلى العالم الأسفل .

٦ . نكر سويله مدينة لجش في جنوب سومر حيث تقوم الإلهة (بابا) بانتقاذه من العالم الأسفل .

٧ . تشباك إله مدينة أشنونا .

٨ . أبو إله مدينة أشنونا .

هؤلاء الآلهة تعرضوا للموت المؤقت كانعكاس لخصب الأرض وخرابها المتلاحق في فصلي الصيف والشتاء فهو موت دوري ومحسوب .

أما الآلهة التي تعرضت للموت في حالات خاصة غير متكررة فقد شملت الإله إنليل عندما طرده الآلهة وتبعته ننليل ، وهناك أسطورة سومرية حول إشكر ، تذكر اختفاء هذا الإله وكيف أن والده الإله إنليل جمع آلهة الأنوناكي لاستعادته وقد تطوع الثعلب لاستعادته من العالم الأسفل (أنظر 1938 : 339 Tallqvist) وأسطورة إنكي ونخرساج في دلون وتعرض إنكي للموت .

موت وخلود الإنسان

الموت هو الأمر الطبيعي عند الإنسان أما الخلود فأمر نادر جداً وقد ذكر لنا التراث السومري خلود بعض البشر منهم (زيوسدرا) الذي خلص البشرية من الطوفان ، والملك السومري (اينميدر أنا) الذي استدعى إلى السماء وتسلّم هناك أسرار فن العرافة (البارو) وربما يكون قد منح الخلود ، وقد فشل ادايا في الخلود ، ومنح (اتانا) القدرة على الإنجاب فقط .

ونرى أن الموت فرض حتى على الملوك المؤلهين مثل شولكي وخلفاؤه ملوك أور الثالثة ، وفرض الموت حتى على كلكامش الذي كان ثلثاء من الآلهة ولكن ثلثه البشري قاده إلى الموت ولم يمكنه من الحصول على الخلود .

الروح ومصيرها بعد الموت

اعتقد السومريون أن الإنسان مكون من عنصرين مختلطين هما :

الجسد الذي يرجع أصله إلى الماء والصلصال (الطين) وهو العنصر المائي ، والروح التي يرجع أصلها إلى الآلهة التي نفخت في الإنسان هذه الروح من أنفاسها ، والتي لا تُرى .

وقد اعتقد السومريون أن الموت يرجع جسد الإنسان إلى الطين عندما يدفن في القبر ولا يعود له وجود (إلا ما يتبقى منه من عظام) . أما الروح فلائها من الآلهة فإنها تذهب إلى العالم الأسفل وتُحسُّ فيه إلى الأبد .

أطلق السومريون إسم (GIDIM) على روح الميت وشبحه والتي تعني مخلوق الظلام ، وكذلك يمكن إطلاق كلمة آدم (IDIM) وإيدم (EDIM) أي المظلم التي اشتقت منها الكلمة الأكديّة (ادمو ، اطمو) وقد استقرت كلمة (كدم) على أن تكون رديفة لـ (شبح) وانسحب هذا حتى على الآلهة فكانت أرواح (أشباح) الآلهة تمثل برموزها الحيوانية في الغالب (إنليل : حمار الوحش ، آن : الذهب ، تيامت : الجمل)

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن خلود الروح بعد الموت يتوقف على سلامة الجسد الذي كانت فيه ولذلك اعتنوا بتحنيط الأجساد لضمان خلود الروح ، أما السومريون فلم يقيموا علاقة بين حالة الجسد والروح بعد الموت بل رأوا أن طقوس الغسل والدفن الصحيح والأضاحي هي الأساس في راحة الروح (وليس خلودها) بعد الموت في العالم الأسفل ولكنها مع ذلك تبقى إلى الأبد حبسة العالم الأسفل .

إن الروح تدل على الحياة التي كانت تعني عند السومريون بكلمة (ZI) وهي حرفياً هبوب الرياح ولذلك فإن كلمتي (روح ، ريح) في العربية لهما علاقة وثقى لأنهم خرج الروح على شكل آخر الانفاس . وفي الغالب تصوروا أنها على شكل طائر يخرج من صدر من الميت ويتجه بإتجاه الأفق غرباً حيث مغيب الشمس إذا كان الميت غير مدفون ، أو تنزل من القبر إذا كان مدفوناً ، بإتجاه العالم الأسفل وأول من تقابله الروح في العالم الأسفل هو نهر العالم الأسفل (ايلوروكي) (خير) وملاحة الذي يحملها بقارب ، وقد عثر في مقابر مرحلة جمدت نصر على قوارب فضية وقيرية للقيام بهذا العمل .

بعد ذلك تدخل الروح في أول بوابة من بوابات العالم الأسفل وكان ذلك يتم بواسطة وضع روح الميت في عربة تجرها الحيوانات ، وقد عثر على عربات مع حيواناتها

في المقابر الملكية في أور وكيش ، وكان حاجب البوابة الأولى اسمه (نيتي) أو (نيدو) هو الذي يشرف على هذه العملية . ثم تبدأ باجتياز بوابات العالم الأسفل السبعة جميعها .

المرحلة الأخيرة هي وصول الروح (وهي على شكل الإنسان نفسه ولكن مزودة بأجنحة) إلى العالم الأسفل حيث تعيش هناك مع بقية الأرواح ، وتقرر منزلتها على ضوء أمرين أولهما عدد الأبناء الذين أنجبته في العالم الأعلى فكلما كثر الأبناء ارتفعت منزلتها وثانياً سلامة طقوس واضحيات الموت .

وفي العالم الأسفل تُمنع روح الإنسان من ارتداء (التعال ، اللباس) وتمنع من وضع العطور ومسك السلاح وإحداث الأصوات العالية . وهناك بعض الأرواح التي لأصحابها مقام كبير في العالم الأعلى يمكن أن تحظى بامتيازات عديدة قد تصل إلى دخول قصر العالم الأسفل الذي يسكن فيه الها العالم الأسفل الكبير (نرغال ، ارشيكيكال) .

ومعروف أن الذين يقتلون ظلماً والذين ليس لهم قبور تبقى أرواحهم داخل العالم الأسفل قلقاً وغير مستقرة وقد تخرج نتيجة لذلك خارج القبر إلى عالم الأحياء وتسبب لهم الأذى والإزعاج وهي الأرواح التي يحاول طردها الكهنة لأنها تسبب الأمراض والمشاكل لسكنة العالم الأعلى .

أما أهم الأرواح التي أصبحت في مقام الأرواح الشفيعة للبشر فهي أرواح السومريين (ايتانا ، لوكال بندا ، كلكامش ، اورثو) .

الحساب والعقاب والثواب بعد الموت

ليس هناك ما يشير إلى أن الميت في العالم الأسفل يلاقي الحساب ومن ثمّ العقاب والثواب على ما قام به من أفعال في العالم الأعلى ، ولا تشير النصوص السومرية إلى ذلك ، لأن السومريين كانوا يعتقدون أن الموت بحد ذاته أمسى عقوبة للإنسان وليس هناك من ضرورة لمحاسنته عن أعماله في الدنيا ، ولكن استعطاف الآلهة والتقرب إليها عن طريق الأضاحي والتعاويد والصلوات كان أمراً محبباً يبدو لنا من خلاله بأن هذه الآلهة كما لو أنها ستحاسب أو تقيم سيرة الموت .

وعلى العكس من ذلك كان الميت في الاسكاتولوجيا المصرية يتعرض للحساب عسير وللعقاب وثواب .

وهكذا يكون الميت سواء كان خيراً أو شراً دون حساب و «لا يحمل وزر خطايه
معه إلى العالم الأسفل وإنما تبقى يتحملها ورثته وأفراد عائلته ولم يكن وجوده هناك يتأثر
بما اقترفه وإنما بحسب مكانته في عالم الأحياء وبما تقدمه له عائلته وورثته من قرايين وما
تقدمه لروحه من شعائر جنازية » ، (حنون ١٩٨٦ : ١٤٥) .

هل هناك جنة ونار في الفكر الديني السومري ؟

ليس هناك جنة ونار (فردوس وجحيم) في الفكر الديني السومري على غرار ما
تعرفنا عليه في بعض الأديان المتأخره والموحدة بشكل خاص ، فالموت هو الموت ، لا خلود
ولا جنة ولا جحيم فيه ، لكن الروح كما قلنا تبقى خالدة في العالم الأسفل اسيرة الى الأبد
فيه . والجسد يبلى في القبر ويتحول إلى تراب .

هناك من الباحثين من يحاول المطابقة بين الجحيم بمفهومه المسيحي والنار أو جهنم
بمفهومه الاسلامي مع العالم الأسفل السومري وهذه مغالطة كبيرة لأن الجحيم أو جهنم
يقعان في السماء عند المسيحية والاسلام . . ولأنهما ينبعان من مفاهيم الحساب والعقاب
والتواب في هذين الدينين ، اللذين لا أثر لهما في الفكر السومري .

وكذلك هناك من يطابق بين الجنة (الاسلامية) والفردوس (المسيحي) مع العالم
الأعلى السومري أو مع (دلون) و (عدن - ادنو) السومريين وهذه مغالطة ثانية لأن
مفهومي الدين الاسلامي والمسيحي حول ذلك مختلف كلياً .

أما العالم الأعلى السومري فهو عالم الآلهة الذي يتربع الاله آن على قمته (في
السماء السابعة) ويقف على بوابة آن الآلهين دموزي وننكشزيدا كحارسين ، ولا يصل
البشر إلى هذا المكان مطلقاً إلا في حالات استثنائية كما حصل مع (آدابا) و (ابتانا) . ودلون
مكان حقيقي يقع في الخليج العربي وهو على الأرجح البحرين وبسبب من الحياة الهائلة
والجميلة هناك فقد وصف هذا المكان على أنه مكان يشبه الفردوس حيث لا امراض ولا
بكاء ولا شيخوخة ، وكان كل هذا يجري في اطار وجود الآلهة (وليس البشر) في هذا
المكان - راجع اسطورة انكي ونخرساج في دلون .

ولم يصل إلى هذا المكان واحد من البشر سوى (زيوسدرا) وهو الملك الحكيم الذي
انقذ البشر من الطوفان فمنحته الآلهة الخلود ووضعت في دلون . وليس هناك ما يشير إلى
أن هذا المكان يشكل الجنة أو الفردوس السومريين بالمعنى الديني المعروف .

اما (عدن) فهي كلمة عربية عبرية جذرها القديم سومري هو (Bdin) بمعنى السهل، الأراضي الزراعية السهلية) وتظهر لنا وثيقة سومرية من عصر فجر السلالات حوالي ٢٤٥٠ ق. م أن (أدن) كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوب مدينة (أوما) أو (جوخة حالياً) وغربي مدينة لكش وهي المنطقة التي كانت سبب صراع طويل بين هاتين المدينتين. ويبدو أن هذه المنطقة كانت تحفل بالبساتين والمزارع الزاهية وانها كانت مليئة بالأنهار والفاكهة والثمار ولذلك وصفت وكأنها فردوس .

ثم أننا نجد ما هو مشترك بين الكلمة السومرية (إدن) والكلمة العربية (جنة) ويبدو أن كلمة (إدن) كانت جذر جنة ولكن هذه الملاقاة الشكلية اللغوية لا تعطينا المسوغات للمطابقة بين (ادن) السومرية والجنة الاسلامية، إذ ربما هناك لقاءً من هذا النوع بين (عدن) العبرية والجنة الاسلامية وكلاهما متطور عن المفهوم السومري ولا يطابقه.

الحساب والعقاب والثواب في الحياة

هل يوحي عدم الحساب والعقاب والثواب بعد الموت في العالم الأسفل بعدم وجود عدالة الهية سومرية نعم اذا لم يكن هناك بديل عن ذلك . ونقول ان الحساب والعقاب والثواب اشياء كانت تجري في الحياة الدنيا، وليس في الآخرة السومرية .

كان السومريون يطلقون على الخطيئة الدينية مصطلح (نكيك Nig.gig) ومصطلح (سبييدا Se bi. da) وكانت في الأكديّة اكيبو اي الكبوة وخاطو أي الخطيئة .

أما الخطيئة السياسية والاخلاقية فكان السومريون يسمونها (نامتاك Nam. Tag) يقابلها بالأكديّة أنو وارنو اي الاساءة .

وكان الانسان مهيناً دائماً للخطيئة وارتكاب الشرور، عن وعي أو دون وعي، وهناك انواع كثيرة جداً من الخطايا مثل معصية الآلهة واذى الناس واختراق نواميس الاخلاق وعدم القيام بواجبات الانسان تجاه الاله .

وكانت الخطايا مدخلاً لأن يتخلى الاله عن الانسان، وعند ذاك يفقد الانسان التوازن ويصبح مهيناً للكوارث والويلات والاضطرابات والمرض وربما الموت .

ان الخطيئة اذن هي مصدر العقاب .

اما الحياة السوية الفاضلة فكانت مصدر الثواب .

وكان الآلهة يلتزمون ويتعهدون بحماية الانسان من كل سوء اذا قام بطاعة الآلهة واداء القرابين وبناء المعابد وكان متوازناً في حياته مع الآخرين دون شرور أو خطايا . فإنه يمنح السعادة ويتجنب الألم . وقد قادت فكرة الحساب والعقاب والثواب في الحياة الدنيا السومريين إلى التمسك بالحياة ومباهجها من ناحية وإلى الالتزام الأخلاقي والديني من جهة أخرى . . وكان هذا التوازن له دور كبير في تشكيل النظرة الصافية للحياة والدين عند السومريين .

ويبدو أن الظلم والحياة الشريرة التي مزقت المجتمعات البشرية القديمة هي التي قادت مع الزمن إلى ابتكار فكرة الحساب والعقاب والثواب في الحياة الآخرة لتوعد الظالمين بالدمار وتوعد المحسنين بالثواب مما يجعلهم جميعاً ينتبهون لهذا الوعيد قبل موتهم فيحسنون سلوكهم .

تكوين عالم الموت (العالم الأسفل)

يقع العالم الأسفل تحت مياه الأعماق (الأبسو) التي تقع تحت قرص الأرض وهو عالم مغلق يشكل تقريباً قعر النصف الكروي السفلي من الكون وكان هذا العالم يسمى عند السومريين باسماء كثيرة منها .

- ١ . كي . ماخ Ki. Mah وتعني حرفياً (الأرض الكبيرة) وتشير إلى القبر .
- ٢ . كي . غال Ki . Gall وتعني حرفياً (الأرض العظيمة) . تشير الى العالم الأسفل كله .

- ٣ . أراالي Arali وهي تسمية شعبية للعالم الأسفل .
- ٤ . أبسو Apsu وهي تسمية لمياه الأعماق وتشير للعالم الأسفل
- ٥ . كي غال دامال Kigall. Damal وتعني الأرض الفسيحة
- ٦ . كورنوكي أو كورنوكيا Kurnugia , Kurnugi وتعني أرض الالعودة
- ٧ . كي سد Ki. sud الأرض البعيدة .
- ٨ . كي باد Ki. pad الأرض الحصينة

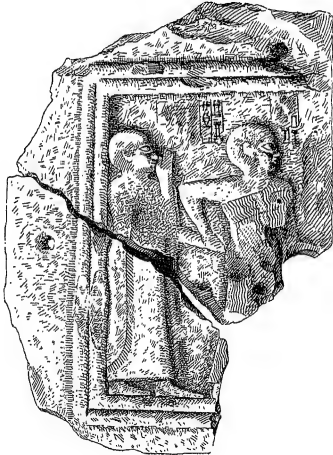
- ٩ . كورساك Kur. sag أرض الموتى
- ١٠ . كور آشي أرآكي Kurashiararki أرض النحيب
- ١١ . عدن edin وتعني الصحراء أو السهل
- ١٢ . كي آريا Ki aria وتعني الفقراء
- ١٣ . كور Kur وتعني الجبل أو المكان المقفر .
- ١٤ . ايكور E. kur وتعني البيت الجبل .
- ١٥ . ايكور باد E. Dumuzi وتعني بيت دموزي .
- ١٦ . ايدموزي E. Dumuzi وتعني بيت دموزي .
- ١٧ . اوروكال - وتعني المدينة العظيمة
- ١٨ . كآنزي آر Ka. an zi ar وتعني (كنزير) البوابة الأولى للعالم الأسفل
- هذه هي أغلب الأسماء السومرية للعالم الأسفل وهو عالم الموت ومعظمها يشير إلى عظمة هذا العالم ويُعده وعدم العودة منه .
- أما مداخل هذا العالم فيعتبر القبر أهم مدخل اليه ، والجهة الغربية من أرض وادي الرفدين حيث مغيب الشمس . وهناك بوابات خاصة تؤدي اليه مثل بوابة الوركاء (اوروك) . . وتعتبر الحفر العميقة في الأرض مداخل لذلك العالم . كما ويجدر الإشارة الى هناك ما يشبه السلم الذي يوصل بين العالم الأعلى والعالم الأسفل لتنزل عليه الآلهة وبالعكس كما اشارت لذلك اسطورة نرغال وارشكيكال .
- ويتكون العالم الأسفل في نظر السومريين من ما يلي :
- ١ . نهر العالم الأسفل (اي - لو - رو - كي) اي النهر الذي يعبر منه الانسان وفيه مراكب وملاح لنقل ارواح الموتى .
- ٢ . اسوار العالم الأسفل السبعة وابوابها التي يحرسها سبعة آلهة من الدرجة الثانية .
- ٣ . قصر ارشكيكال واسمه (اي - كالكيئا) اي قصر العدالة وهو قصر مصنوع من اللازورد .

- ٤ . قصور الارواح المهمة من الملوك الكهنة .
- ٥ . الغبار الذي يغطي كل شيء .
- أما سكنه هذا العالم فهم كما يلي
- ١ . الإلهين العظمين الحاكمين (نرغال ارشكيغال)
- ٢ . الآلهة الأبناء والأحفاد لهما وهم (ننازو ، ننجشزيدا ، دامو ، خندرساج) وأزواجهم من الالهات .
- ٣ . الآلهة الاتباع لهما مثل (نثار ، كشتن آنا ، خمط تبال)
- ٤ . حجاب العالم الاسفل السبعة وهم حراس البوابات السبعة :
- ١ . نيتي
- ٢ . كشار
- ٣ . انداشرما وزوجته ننداشرما
- ٤ . انرلا
- ٥ . اندككا وزوجته نندككا .
- ٦ . اندشبا
- ٧ . انكيكي
- ٥ . الآلهة الذين ينزلون إلى العالم الاسفل بشكل دوري (دموزي ، دامو ، ساتران ، ليل) .
- ٦ . آلهة لا نستطيع تفسير وجودهم (سموكان ، شلباية ، ائمل وزوجته) .
- ٧ . الملوك والكهنة الكبار لسومر وسبق ذكرهم
- ٨ . الشياطين بكل اصنافهم
- ٩ . أرواح الموتى .

الفصل الرابع

الطقوس السومرية

(دراسة في الطقوس والشعائر الدينية السومرية)



الطقوس السومرية هي الشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت وتعتبر عن بعض جوانب المثلولوجيا وتكسبها صفة الديمومة والإتصال مع اللاهوت .

إن الطقوس السومرية بالقدر الذي تشكل امتداداً للكثير من الطقوس القبل تاريخية فإنها لا شك تعبر عن النظام الديني السومري الجديد الذي أسست ملامحة في غضون الألف الرابع قبل الميلاد .

وتتحدّر الطقوس السومرية من ماضٍ بعيد ، ربما ابتعد إلى عشرات الآلاف من السنين ، فالطقوس كانت السبيل الأبسط والأوضح للأديان التي سادت عصوراً قبل التاريخ وكلما توغلنا في القدم أصبحت الطقوس بأشد بساطة . . وأصبح الدين طقسياً أكثر من أن يكون لاهوتياً أو مثلولوجياً .

ولعلنا نلمس الطقوس وهي تتضح بشدة في السحر الذي هو دين بدائي أكثر مما هو مرحلة متعارضة مع الدين ، والسحر هو مثال نموذجي لسيادة الطقس في النظام الديني على حساب اللاهوت والأسطورة .

لقد كان أجداد السومريين في سامراء ، على سبيل المثال ، يمارسون طقوساً عديدة ، استطعنا التعرف على أحدها من خلال نقش خزفي ، ذلك هو طقس الإستسقاء أو إنزال المطر الذي كانت تقوم به أربعة نساء يتقابلن في مواقع كأنها الجهات الأربعة للكون ويقمن بنثر شعورهن إلى هذه الجهات فيتحرك الهواء في منطقة رقصهن ، وتقوم فكرة هذا الطقس على أن الهواء إذا تحرك في هذه المنطقة من العالم فإنه سيتحرك في العالم كله ويجلب

الغيوم التي تجلب معها المطر اعتماداً على المبدأ السحري الأول الذي هو مبدأ التشابه الذي يقول بأن التحكم في جزء من الظاهرة يستدعي التحكم بالظاهرة كلها . ولا يعتمد هذا الطقس على عقيدة دينية مركبة بل على اعتقاد بسيط مفاده أن الإلهة الأم أو المرأة الساحرة هي التي تستطيع ، دون الرجل ، ان تقوم بهذا الطقس ، وهذا جزء من العقيدة النيولثية بالإلهة الأم التي كانت سائدة آنذاك . ولم يكن الأمر بحاجة إلى مثولوجيا مركبة فحضور الإلهة الأم ممثلة بالساحرة وبالعقارب الثمانية التي توطر الطبق الخنزفي يشير الى الإلهة الأم وينتج عن حركة الساحرات الأربع شكل الصليب المعقوف (السواستيكا) الذي كان يرمز به الإنسان للخصب .

السحر اذن طقس^١ أو لامع وشاح عقائدي ومثولوجي بسيط . «فاذا قارنا مثل هذا الطقس السحري بطقوس الخصب في الديانات ذات المعتقدات والأساطير الغنية المركبة ، أدركنا مدى بساطة الفكرة الكامنة وراءه فالساحر هنا لا يقرب الذبائح الى الآلهة العليا ولا يصلي لها ولا يقود دراما طقسية معقدة لإحلال الخصب . وإنما يقوم بالتأثير على مظاهر الطبيعة من خلال تلك القوة الغفلة التي تسري في كل شيء ، والتي من شأنها تحويل الإجراء الطقسي إذ يجري في هذا الجانب إلى فعل حقيقي يتم في الجانب الآخر » (السواح ١٩٩٤ : ٦٣) .

وعلى هذا الأساس يتخفى السحر في نسيج الدين من خلال الطقوس بشكل خاص ، ولا نلمحه بشكل بارز إلا في تلك الطقوس التي نسميها طقوس الاسرار أو الطقوس السرية التي تحكي بوضوح عن السحر والعرافة والتنجم .

إن هذا لا يعني ان السحر يختفي من الطقوس الدينية اليومية والدورية بل هو موجود فيها بشكل أو بآخر طالما كانت طقوساً يمارسها المتعبد بايمان وصدق .

وتنتعش الطقوس وتتعدد ، ليس بوجود السحر أو مظاهره فقط ، بل كلما كانت الأساطير مركبة معقدة وغنية . . وتهبط الطقوس نحو البساطة ؛ كلما مالت الأساطير الى التوحيد والتفريد والتجريد . ولذلك يمكننا الحكم على الطقوس السومرية والقول بأنها كانت طقوساً شديدة الغنى والتركيب لأن هناك نظاماً مثولوجياً غنياً ومتعدد كان يقف خلفها وكان يشدها الى لاهوت غني ومركب ايضاً .

١. الطقوس اليومية

كان السومريون شعباً متدينياً بالمعنى العميق لهذه الكلمة ، وكانت تسير هذا الشعب خشيتته من الآلهة وتحسبه من ارتكاب الخطيئة ، وتوازنه العقلاني والأخلاقي أمام متطلبات النفس ومتوفرات الطبيعة .

كانت الطقوس الدينية اليومية بمثابة الدليل الذي يقدمه السومري على تقواه أمام الآلهة والكهنة والناس وإمام نفسه قبل ذلك كله .

وليس المقصود بالطقوس الدينية اليومية الطقوس التي يمارسها السومري كل يوم بل الطقوس الدينية الشائعة والتقليدية .

الوضوء والغتسال

كان الوضوء السومري طقساً لازماً وواجباً ليس للقيام بالصلاة فقط بل لممارسة أي مرسوم ديني وكان يصحب الوضوء كلام أو تمتمات دينية مختلفة ، ويبدو أن الوضوء كان يقتصر على غسل الأيدي فقط . ويبدو أن البركة أو الخوض الطقسي الذي كان يسمى (أيسو) والذي كان في أغلب المعابد السومرية وضوحاً في (أريدو) وفي (لغش) هذا الخوض كان متصلاً بقنوات مياه جارية خارج المعبد (انظر Burrows 1932) ، ولذكّرنا هذا الإجراء بأحواض التعميد في (مندي) الديانة الصابئية المندائية .

ونعتقد أن الوضوء كان يجري وفق شعيرة دينية للتقرب من الإله (إنكي) الذي هو إله الماء والحكمة . وخالف الإنسان وإن مسّ مياهه لجسد الإنسان ويديه كان يعني بمثابة إعادة خلق مطهر لهذا الجسد .

الصلاة

ليس هناك ما يثبت أن الصلاة السومرية كانت تمارس بشكل يومي منتظم وعلى أوقات معينة ، ويبدو أن الصلاة السومرية لم تكن ثابتة النص بل كانت نوعاً من النصوص الدينية الابتدائية المرفوعة لإله محدد ، وكان الإنسان يردد ما كان في المعبد أو أمام تمثال إلهة في البيت أو القصر أو في أي مكان آخر .

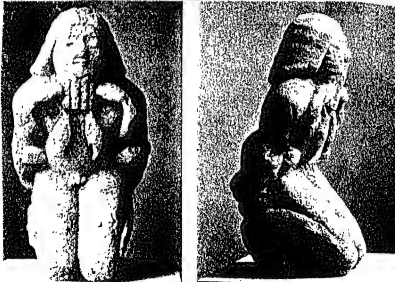
وتختلف الصلوات (Prayers) عن التراتيل (Hymns) في أنها تضرعات

وتوسلات للإله ولا تؤدى مع الموسيقى، أما التراتيل فهي مدائح وتعظيمات للإله وكان الكثير منها يؤدى على آلات موسيقية .



شكل (٩٧)

الطحان ايدي ناروم وهو يصلي
(النصف الأول من الألف الثالث ماري)



شكل (٩٨)

متعبّد سومري وهو في حالة ركوع

وكانت الصلاة تؤدي أما بصحبة كاهن أو منفردة يؤديها العابد لوحده أمام تمثال
إلهة .

وهناك صورٌ لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفهم فوق بعضها عند أداء الصلاة
خشوعاً وتقديساً للإله .

لقد رافقت الصلاة شعائر طقوسية وقد وصفت هذه الشعائر باتقان في مقطع عند
نهاية الصلاة، حيث تخاطب الشخص المصلي أو الكاهن الذي يقدم واجباً بحركات
وأشارات واهتمام بما يقدمه من قرايين حسب الزمان والمكان . «لقد ظهر في الصلوات
موضوعان رئيسيان، ناطقان بالكلمات الكهنوتية ومقدمان تجربة ذاتية للمتعبدين بأسلوب
أسطوري . وهذا الموضوعان هما الطلبات والشكر ولكن الصلوات لا تتضمن إشارة
لتفصيل موضوع رئيسي محدد ، مثل موضوع الفرد وعلاقته بغرائز روحية أو أدبية
وكموضوع الموت والبقاء بشكل شمولي أو موضوع الإتصال المباشر بالإله » ، (أوبنهام
١٩٨١ : ٢١٩) .

الصوم

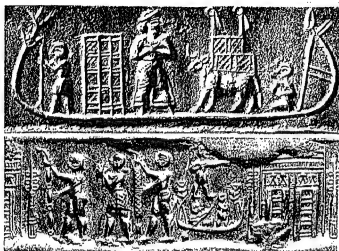
كان الإمتناع الديني عن تناول بعض الأنواع من الأطعمة نوعاً من الصيام وكان
السومريون يمارسون هذا الإمتناع . وقد كان الكهنة (ربما لأسباب إقتصادية بحتة) يوصون
الناس بالإمتناع عن أكل نوع من اللحوم أو الفاكهة أو الخضار . . وكان ذلك يجري لوقت
محدد ويغلف بمبررات دينية أو مثولوجية .

التراتيل

كانت التراتيل طقوساً لأنها كانت تؤدي بطريقة طقسية ووفق ضبط موسيقى في
الكثير من الأحيان ، وكان السومريون يسمون الترتيل بـ(شير SHIR) وربما في هذه
الكلمة ما يشير إلى الشعور رغم أن كلمة شعر بالسومرية هي (سر SIR) ، ويقابل كلمة
تراتيل بالأكدية (ZAMARU) أما كلمة شعر بالأكدية فهي (شيرو SHIRU) . وكانت
التراتيل متفاوتة الطول وهناك منها ما هو غير ديني خصوصاً التراتيل الموجهة للملوك .

وتختلف التراتيل عن الأدعية والتعاويذ في كونها ، أناشيد طقسية روحية يشحنها
التأمل في صفات الإله والتبرك بقواه ومناشدته الحب والاتصال .

أما الأدعية فتقوم على أساس التوسل بالإله ومطالبته بشيء محدد كالصحة أو النجاح أو رفع الظلم وغيرها . في حين تبدو التعاويذ نوعاً من النصوص الطقسية التي تطرد الشياطين باستحضار الاله وتطرد الأذى باستحضار الروح الحيرة للإله .



شكل (٩٩)

متعبدون ذاهبون إلى معبد الإلهة إنانا

وتنقسم التراتيل السومرية إلى قسمين أساسيين هما التراتيل الكهنوتية والتراثيل الملكية .

تتضمن التراتيل الكهنوتية مدائح تقديس وتمجيد للآلهة السومريين العظام منهم بشكل خاص ، أما الملكية فقد نظمت بحق الملوك وتمجيد أعمالهم إلا أنها لا تخلو من المديح والاطراء على إله معين لا سيما إله عاصمة الملك أو الإله المسبب لدوافع المديح .

وكانت التراتيل بصورة عامة تتكون من أبيات منظومة كل بيت ينقسم إلى شطرين ، بوزن متشابه ومعنى متقارب ولكل منهما رفعتان صوتيتان أو ثلاث رفعات لغرض الغناء وكثيراً ما تزداد هذه الارتفاعات الصوتية فتبلغ الستة رفعات في شطر واحد ، ولكن يعقب

كل رفعتين صوتيتين إنخفاض صوتي واحد أو إنخفاضان وبعض الأحيان ثلاث خفضات صوتية .

وكانت التراتيل تؤدي وفق الحان معنية معروفة على ضربات الموسيقى بين دق الطبول ونقر الدفوف ، وأحيان القيثارة تتعالى منها نغمات العذارى من راقصات المعبد .
(انظر فالكشتاين ٩٥١ : ١٩٢) .

التطهير

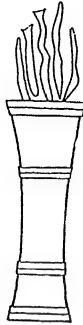
كان التطهير عند السومريين (ومن ثم عند البابليين والآشوريين) يجري بعدة طرق هي احراق البخور وسكب السوائل كالماء والزيت والحرق والدفن والاعتسال والأضاحي .

وكانت فلسفة التطهير تجري على أساس أن الانسان محاط بالشور والأرواح الشريرة ، وكذلك المكان ، ولكي يتصل الانسان أو المكان بالمقدس فلا بد من مواد دالة على الآلهة لكي تطهر هذا الانسان وذلك المكان من الشرور والأرواح الشريرة ، وكان الماء والزيت يمثلان الإله إنكي ، والنار تمثل الاله نسكو والسكايب والأضاحي والقربان تمثل الاله شول شاكا إبن الإله ننگرسو وكان الدفن يشير إلى الاله دموزي ، اما الحرق فيشير إلى الإله الإيجيل (كيبيل) لعلاقته بالنار والعالم الاسفل معاً .

إحراق البخور

كان طقس إحراق البخور طقساً يومياً يجري في المعبد ، وكان الكهنة المطهرون هم الذين يقومون به بالدرجة الأساس ، ولكن كهنةً من أصناف أخرى كانوا يقومون به مثل الكاهن المعزم (اشيبو) فقد كان إحراق البخور يلزم التعزيم وذلك لاعتقادهم بأن مادة البخور (وخصوصاً الحرمل) كانت تقوم بطرد الأرواح الشريرة لأن مادة البخور عندما تملأ المكان فإنها تحاصر هذه الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والشبابيك خصوصاً أن البخور يشبه الاشباح التي كان يعتقد أنها شكل الأرواح الشريرة .

وكانوا في المعابد يقيمون مذبح بخور وهو دكة عالية يوضع عليها ما يشبه الموقد وفي هذه الموقد تطرح مادة البخور كطقس يومي أو مرافقة لطقوس أخرى أو أنهم يستعملون الموقد المقدس (شكل ١٠٠)



شكل (١٠٠)

الموقد المقدس ويرمز كذلك بالإله نيسكو أو نيكشريدا
رسم: علي محمد آل تاجر

وكان هناك أوعية خاصة خاصة بالبخور يمسكها الكهنة بأيديهم عندما يقومون
بعمليات التعزيم .

سكب السوائل

لم يكن البخور لوحده هو الوسيلة الوحيدة للتطهير وطرده الأرواح بل كان سكب
السوائل (الماء والزيت بشكل خاص) هو السبيل إلى ذلك أيضاً، وكان سكب الزيت يتم
بشكل خاص عند الزواج حيث يسكب على رأس العروس، وربما كان يصاحب ذلك نوع
من الاغتسال ويأتي ذكر هذا الطقس في إصلاحات أوركاينا الذي خفف ضرائب الحاكم
عندما يقوم بهذا الطقس، ولا شك أيضاً أن سكب الزيت والمسح به كان يجري عند
تنصيب أو تتويج الملك وكان هناك إناء خاص لسكب الماء المقدس (شكل ١٠٢)



شكل (١٠٠)
طقس سكب السوائل



شكل (١٠٢)
إناء سكب الماء المقدس
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (١٠٣)
كاهنان بينهما الإناء المقدس

طقس فتح فم الاله وغسله

كان هذا الطقس يجري على أساس أن التماثيل الجديدة للإله تمنح الحياة بهذا الطقس ، وكان طقس غسل الفم يجرى بعد أن توضع جرتان ملوستان بالماء المقدس في مكان التمثال وقطعتان من القماش حمراء وبيضاء إلى جانبه ، ثم تقدم الأضاحي إلى ذلك الاله ويرافقها غسل فمه بواسطة أعشاب كالأثل وسبعة اعواد من الارز وقطعة قماش وملح وصمغ الارز ودهون واحجار كريمة وزبد ودبس ويتم ترديد بعض العبارات الطقسية الخاصة بذلك ، ثم يقود الكاهن بيد الاله كبشاً ويخرج معه (من مكان صنع التماثيل) ويذهبون الى شاطئ النهر حيث يوضع التمثال على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة وتقدم هنا الاضاحي مرة ثانية وتسكب البيرة مع الطعام ويسلخ جلد الكبش وقد يوضع في الجلد سمكة وسلحفاة من الذهب والفضة وفأساً برونزية وملقطاً نحاسياً وترمى هذه الاشياء كلها داخل جلد الكبش في النهر ، وتردد عبارات طقسية في ذلك وتقدم سكبيرة من البيرة واللبن والدبس ويبدأ غسل فم الاله مرة ثانية ، وينقل التمثال بعد ذلك إلى بستان ووجهه نحو الغرب أمام الكاهن الاعلى وتقدم أضاحي أخرى وتلى الأدعية وتقرأ الأقداح بالماء ، ثم يوضع التمثال في المعبد المقرر وبذلك تكون هذه الطقوس بمثابة عمليات حقن التمثال الذي صنعه الحرفي (النحات أو النجار أو الفنان) بالحياة والروح التي يصنعها الكهنة (انظر الأحمد ١٩٨٠ : ٥٦ وكذلك انظر Heidelberg 1942: 9-48).

طقس إطعام الآلهة

كان الكهنة المسؤولون عن تماثيل الآلهة يقومون بهذا الطقس يومياً حيث يتضمن تقديم مختلف أنواع الأطعمة إلى الآلهة ويبدو أن هناك وجبتين من الطعام كانتا تقدمان لتماثيل الرئيسية ، ويعتقد أن الأولى وجبة الظهر والثانية وهي الثانوية قبل إغلاق المعبد .

ويبدو أن الكهنة كانوا يقدمون الطعام للآلهة من التقدّمات التي كانت ترسل إلى المعبد من أحسن الحقول الزراعية والبساتين وقطعان الماشية والأغنام والماعز وكانت أيضاً مصدرًا للغذاء للكهنة والإداريين العمال في المعبد .

ويبدو أن مائدة كانت توضع أمام تماثيل الإله عليها عدد من الأواني التي تحتوي على الماء والسوائل والشراب والشرائح والفاكهة . . وفي الغالب كانت هذه المائدة تقدم إلى الملك بعد ذلك لكي يتبارك بها أو ليتم الإحياء بالصلة بين الإله والملك .

طقس الفوهو (البديل)

تدور فكرة هذا الطقس حول امكانية انتقال الشر (الذي يعاني منه الشخص أو الذي سيعاني منه) من هذا الشخص الى شخص آخر وكان هذا الطقس السومري يعتمد في اساسه على لتورجيات (طقوس) دموزي وأساسها المثلولوجي .

ولأن الأساس الذي يقوم عليه هذا الطقس سحري فإنه يلجأ إلى مبدأي السحر (الاتصال أو التشابه) .

فإذا كان الفوهو يجرى عن طريق الاتصال فإن الشخص المصاب بالشر يختار هو أو كاهنه من سيكون بديلاً عنه في حلول هذا الشر ويحتك به مباشرة مع طقوس وتعزيمات خاصة وكان هذا نادراً .

ولكن الطقس غير المباشر (التشابه) هو الذي كان شائعاً فقد كان يستخدم لهذا الغرض دمية من العجين أو الطين أو الشمع أو الخشب وكانت تمثل العدو الذي يراد نقل الشر (المرض مثلاً) اليه وكانت تبقى بجانب المريض نفسه ثم يلقى بها في الماء مع رقية تعزيمية اسمها (غمبوربو) (انظر بوتير ١٩٩١ : ١٨٦) .

وكان أحياناً يستخدم الحيوان كبديل حيث يقوم المريض باصطحاب عنزة معه في فراشه طيلة الليلة التي تسبق اجراء الطقس ، ثم في اليوم التالي كانوا يحفرون حفرة كالقبر يمد فيها المريض مع عنزته الصغيرة ، وكانوا يقومون بذبح صوري للمريض بسكين من خشب وذبح حقيقي للعنزة بسكين من معدن .

ثم يقومون بمعاملة جثة العنزة بقدسية خاصة حيث تُغسل وتُعطّر وتُوشح بقطع ثياب المريض نفسه .

بعدها يقوم الكاهن بتلاوة صلاة الحداد ويقرر فيها موت العنزة ولكنه يعني المريض (مع مرضه بالطبع) ثم تنظم وجبات طعام جنائزي تقدم للإلهة أرشكيكال اكراماً لها وتهدة لحاظها .

ثم تقام طقوس دفن الميت (العنزة) وكانها المريض وبذلك يرمز لدفن المريض الذي أصبح الآن معافى .

كانت هذه الطقوس تجمع بين الاتصال (الاحتكاك بالحيوان) ثم التشابه (و الذبح المتزامن والثياب المتبادلة ومعاملة الجثة وإعلان الموت وغير ذلك) .

وإذا كان السومريون (قبل سلالة أور الأولى) قد عرفوا دفن حاشية الملك لأسباب تتعلق بطقوس ما بعد الموت ، فإن طقس الفوهو تطور لاحقاً ليكون بديلاً عن هذه الأضحيات البشرية . أي ان الملك عندما كان يشعر من خلال الفؤول المقدمة له بأنه سيموت أو أن خطراً ما سينوبه كان فإن الكهنة كانوا يقومون باختيار (سخلو) أي بديل عنه أيام ظهور ذلك الخطر وكان البديل يقوم فعلاً بحكم البلاد وليس ملابس ورموز الملك . اما الملك الحقيقي فيتوارى تماماً ريشما يزول الخطر . وكان مصير البديل في الغالب الموت لكي يذهب بالشرور المهددة بالملك الى العالم الأسفل . وقد تطور هذا الطقس الديني الاساسي كثيراً في الدولتين البابلية والآشورية حتى ان طقوس تكريس الملك البديل كانت تجري بدقة وانتظام (كوزيو) وكانت تقام أيضاً طقوس الموت والدفن بعد اعدام البديل (تكليمتو)

وكان البديل في بعض الأحيان يمسك بالحكم ويرفض الموت ويعزل الملك الحقيقي ويستلم الحكم بدله .

الأضاحي

تراوحت الأضاحي الطقسية السومرية بين أن تكون بالدرجة الأساس أضاحي نباتية وحيوانية ، أما فكرة الأضاحي البشرية السومرية التي تحدث عنها السير ليونارد وولي (L. woolley) بعد أن اكتشفت في اور في منطقة المقابر الواقعة جنوب زقورة الإله (ننا) مجموعة من المقابر الملكية . حيث وجدها بعد أن دخل إليها بممرات مائلة وهي مغطاة بحصران وهناك هياكل بشرية يتراوح عددها بين (٣ - ٧٤) شخصاً ، وكان قسم من تلك الهياكل البشرية لنسوة يرتدين الملابس الحمراء ويتزين بالخلي والاحجار الكريمة وبحانب بعضهن قيثارات ذهبية . أما الهياكل الأخرى فكانت لرجال مسلحين ورجال ممدنين الى جوانب عربات كانت تجرها الثيران . وقد اعتقد وولي بأن هذه العربات استخدمت لنقل رفاة الملك ونفائسه ، وكان مشهد الدفن يدل على مراسيم وطقوس احتفالية (انظر Woolley 1963) .

وقد فسر وولي هذه الظاهرة بأن ماشية الملك كانت تدفن معه في طقوس احتفالية لتضمن له بعد الموت حياة هائلة . ولكن قلة ظهور مثل هذه المقابر في سومر ووادي الرافدين جعلها محل ريبة ، وقد فسر ها كيرير باللجوء الى النص السومري (موت جلجامش) بأن القبر كان يعتبر بمثابة (المطهر) أو (القصر المطهر Purified palace) وإن الملك الميت كان يصطحب معه عدداً كبيراً من حاشيته ومن النذور والهدايا . وهذا ينسحب على مقابر أور التي أتت بزمن محدود بعد وفاة كلكامش . أي أن هذا الطقس (الأضاحي البشرية الجماعية) كان طقساً ملوكياً معمولاً به في تلك العصور ، ولكنه انقرض بعد الألف الثالث قبل الميلاد .

أما الأضاحي النباتية فكانت تقدم بكثرة الى المعابد لإطعام الآلهة والكهنة ومنها الفاكهة . والحيوانية كانت تتألف من الثيران والماشية والماعز والغزلان والأسماك والخنازير وأنواع الطيور ، ويمكننا عقد صلة بين القرابين الحيوانية والرمز الحيواني للإله فالإله أنليل كان يقدم له الثور لأن رمزه هو الثور الإلهة نانشة الأسماك وننورتا الخيول وهكذا .

٢. طقوس المناسبات

إذا كانت الطقوس السابقة تجري بشكل شبه يومي عند المتعبدين أو الكهنة فإن طقوس المناسبات كانت تجري وفق أحداث محددة تمر بالإنسان وأشهر هذه المناسبات هي (الولادة البناء، الزواج، الموت).

١. طقوس الولادة

كان حمل المرأة حدثاً مهماً ، وكان يُحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب كان ، وهناك عدد من التعاويذ والصلوات التي تقدم للمرأة الحامل (أريتو Britu) وكانت هذه المرأة تقدم خلال حملها مقدمة للعفريتة الشريرة (لاماشتو) خلال أشهر الحمل حتى تضمن ولادة سهلة وطفلاً كاملاً . وكانت الولادة تجري عادية أو تقوم بها القابلة (شازو Sha-zu) التي غالباً ما كانت تأتي إلى بيت الحامل حين تحين ساعات الولادة (Aladu) وهي تردد الصلوات والتعاويذ لتسهيل الولادة ومن إحدى هذه الصلوات (عسى أن تلد هذه المرأة التي تعاني الأم المخاض بسهولة كما ولدت البقرة السماوية (كيمي سن) وعسى أن لا تؤخر عمل القابلة).

ويبدو أن الولادة كانت تجري على مصطبة من اللبن تحضرها القابلة التي أخذت هنا دور كاهنة أو دور الآلهة تنتو إلهة الولادة والمساعدة في الانجاب وربما اورورو وهما وما صورتان من صور الإلهة السومرية الأم ننخرساج .

وكذلك تقوم القابلة بتعصيب رأس المرأة أثناء عملية الولادة وكذلك تقوم باحضار بعض الأدوية والعقاقير . وتقوم القابلة بعد الولادة بقطع حبل السرة وإثبات حدوث الولادة وتأييد نسب الطفل الى الأم وكانت الأم تعتبر نجسة بعد الولادة لمدة ثلاثين يوماً . وكانت تقوم برضاعة طفلها بنفسها أو بواسطة المرضعة .

ويطلق الاسم على الطفل بعد الولادة مباشرة لأن الاسم كان بمثابة الخلق أو الولادة أيضاً.

وقد عرفت الآلهة (كاتم دوك) كمرية للأطفال وهي الآلهة ننخرساج أيضاً التي عرفت بأنها مرضعة الملوك والأمراء ، وكان الأمير إيانتم يفخر بأنه سقي من الحليب الطاهر لها (انظر عقراوي ١٩٧٨ : ١٥٥ - ١٦٢).

ب. طقس البناء

كان بناء البيوت والمعابد والقصور يجري أيضاً وفق طقوس معينة وكانت هذه الطقوس في المراحل السومرية تجري على أساس وضع اشياء في اسس المعابد والمباني ضد العناصر الشريرة كالتعاويذ والتماثيل ورموز الآلهة والمسمار الحجري المعروف الذي كان يوضع في هذه الاساسات منقوشاً بالتعاويذ والرموز .

وكانت تدفن عند عتبات البيوت الحروز وتماثيل الآلهة والعفاريت والحيوانات لحماية أصحابها من الشر ، ومن الجائز وضع مثل هذه التعاويذ والاشكال عند واجهات البيوت أو على الأبواب مثل رمز الهة العين أو رمز الإلهة سبيتو (العيون السبعة) الدرء الشر .

وقد تطورت طقوس البناء في مرحلة لاحقة واخذت ترافقها الأضاحي .
ويأخذ بناء المعبد بعداً روحياً خاصاً عند السومريين لأنه قرينٌ بالحياة المزدهرة عندهم ، ولعل حلم كوديا ببناء معبد الاله ننگرسو الذي يخاطبه في منامه يشير الى ذلك :

«بتأسيس بيتي، سوف يأتي الفيض
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك
الأقنية سوف تفيض عن حوافيها من أجلك
في الروابي التي لم يرتفع إليها ماء
سوف يرتفع الماء من أجلك
وسومر سوف تسكب كثيراً من الزيت من أجلك
وسوف نزن لك الكثير من الصوف
في اليوم الذي تملأ فيه مصطبتي
في اليوم الذي تضع بك الأمانة على بيتي
سأضع قدمي في الجبل
حيث تقيم ريح الشمال

وكإنسان ذي قوة هائلة ، ربح الشمال
من الجبل ، المكان الظاهر
سوف تهب رأساً نحوك
(لأنه) بعد أن أكون اعطيت نسمة الحياة للناس
سوف يقوم رجل واحد بعمل أكثر من عمل رجلين .
في الليل ، نور القمر سوف يضيء من أجلك
في النهار ، الشمس الساطعة سوف تشع من أجلك
البيت سوف يبنى من أجلك في النهار
وسوف يرتفع عالياً في الليل ، ،
(كريم ١٩٨٦ : ٥٢ - ٥٣) .

وكان يعتبر تهديم المعبد إشارة شؤم او خطر قادم .

ج . طقوس الزواج

تستمد طقوس الزواج عمقها الديني ، عند السومريين ، من تظهيرها اللاهوتي
والثنولوجي الخاص بطقوس الزواج المقدس الذي كان بمثابة الاحتفاء بالقوى المخصصة
والإنسان والحيوان ، ولذلك كان يجب ان يكون هذا الاحتفاء جزءاً من احتفاء الآلهة
ببعضها وإعلان زواجها المقدس ، وقد كان لعلاقة الآلهة انا ديموزي مثل هذا العمق
فاتخذت مثلاً نموذجياً علياً لهذا الزواج المقدس . وإنا التي كانت عبادتها في إحدى
كبريات المدن السومرية ، وهي مدينة ايريك منذ حوالي ٣٠٠٠ ق.م أو أقدم من هذا
التاريخ ، هي التي أوحى بذلك حيث لم يمض زمنٌ على هذا التاريخ «حتى راح بعض
الكهنة ورجال المفكرون وذوو المخيلة في مدينة ايريك يعتقدون فكرة تدخل الإطمئنان
والبهجة على القلب ، وهي ان ملكهم قد أصبح عاشقاً وزوجاً للإلهة إنا ، وبذلك
يشاركها قوتها وقدرتها على الأخصاب التي لا تقدر بشمن ، كما يشاركها خلودها ، هذا
مذهبنا في كيفية ظهور طقس الزواج المقدس الذي يضم ديموزي ، الذي يعتقد أنه كان أحد

حكام إيريك المرموقين ، والتهتها انانا الشهوانية الشهية التي تحظى باحترام عميق» (كريم ١٩٨٦ : ٨٩).

وبالفعل تحول طقس الزواج المقدس من الآلهة الصرفة (انانا ودموزي) الى الآلهة والملوك (انانا والملوك) وقد ناقشنا ذلك في علاقة انانا بالملوك ثم تحول نهائياً إلى طقس بين الملك كممثل لدموزي والكاهنة العليا كممثلة لإنانا.

ولكن آثار الزواج المقدس الإلهي والملوكي انعكست إيجابياً على طقس الزواج بصورة عامة . فقد كان الزواج يبدأ بالاتفاق الشفوي والعقد العرفي المصاحب ببراسيم وطقوس معينة مثل تلاوة بعض العبارات المقدسة من قبل العروس ، وربما كانت هذه العبارات مشابهة لبعض العبارات الإلهية ، فمثلاً كانت عشتار تخاطب كلكامش وتقول له :

«تعال يا كلكامش وكن عريساً لي

تعال وامتنحني ثم ترك

فتكون انت زوجاً لي وأكون أنا زوجة لك»

ويؤدي الزوج القسم ، وتزف الزوجة له ، ويقوم برفع قلنسوة عروسته ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها ، وكانت هناك طقوس اغتسال للمرأة ثم سكب الزيت على رأسها ، وكان من طقوس الزواج ان يقدم الزوج وأهله بعض النذور والحاجيات الثمينة الى المعبد .

وفي يوم الزفاف تقام وليمة تقدم فيها المأكولات التي جلبها العريس الى بيت العروس ، وكان يقام بسكب الخمر على الأرض أو على جسد الضحايا تكريماً للآلهة ويسمى هذا الطقس بالسكب أو كرم *Kirum* .

كانت هذه الطقوس الفرعية للزواج تجرى تحت رعاية الكهنة وكان للمعبد دور هام فيها .

د. طقس الموت

اذا كنا قد تحدثنا عن الفصل الثاني في مثولوجيا الموت من خلال أساطير العالم

الأسفل، وفي الفصل الثالث عن عقائد الموت من خلال اللاهوت الخاص بالموت فإن صورة اسكاتولوجيا الموت (عقائد ومثولوجيا وطقوس) لا تكتمل إلا بذكر الطقوس والشعائر الخاصة بالموت كالدفن والشعائر الجنائزية السومرية.

١. مواضع الدفن وأنواع القبور

لنبالغ إذا قلنا أن أول بدايات ظهور الدين عند الإنسان كان متصلاً مع تصوراته عن الموت وإدائه لطقوس وطرق الدفن أهمية ما، فمنذ أن بدأ الإنسان بدفن موته بقصد وعناية انعطفت تاريخ المعتقدات الدينية وقد حصل ذلك في عصر الباليوليت الأوسط (انظر الماجدي ١٩٩٧ : ٣٨-٤٠).

وفي سومر أصبحت طقوس الدفن واختيار المدافن جزءاً حيوياً من العقيدة الدينية . وكانت أماكن الدفن عند السومريين تتراوح في درجتها وأهميتها بين الدفن تحت أراضي البيوت أو في القصور الملكية أو المدافن الكبرى .

فقد مورس الدفن تحت أراضي البيوت في دور الوركاء ونقر منذ عصر فجر السلالات، وفي مدينة كيش منذ عصر فجر السلالات الأول سواء كانت تحت أرض غرف الأحياء أو الغرف المشيدة خصيصاً للدفن وكان القبر يحتل زاوية الغرفة . ويسمى قبر البيت بـ (كيماخ Ki Makh) وهو مصطلح سومري يعني حرفياً الأرض العظيمة وكان الملوك يدفنون في القصور الملكية كنوع من الامتياز الخاص بهم ، أما في المقابر المخصصة للأموات فقد كان يجري أما داخل المدن السومرية في قبور مفردة كالذي حصل في (نقر) أو بصورة مقابر منتظمة كما هو الحال في (اور) . وهناك مقابر موجودة خارج المدن كما في نقر وأريدو .

وهناك أيضاً الدفن في الأماكن المقدسة وهو ما مارسه السومريون من عمليات دفن كبرى في مدينة (دلون) حيث كانوا يعتبرونها أرضاً مقدسة للآله إنكي وهو شفيعهم بعد الموت فقد وجدت في دلون (البحرين حالياً) مقابر لمئات الآلاف من السومريين .

وهناك أيضاً الدفن في الأضرحة المستقلة الخاصة بالملوك كما في أضرحة ملوك سلالة أور الثالثة حيث دفنوا تحت مزارات خاصة تحتوي على العديد من الغرف التي كانت

تمارس فيها الشعائر الجنائزية وتقدم النذور للملوك الراقدين، في أضرحتهم (انظر حنون ١٩٨٦ : ٢٢٣ - ٢٢٣).

أما أنواع القبور وطرق الدفن فقد كانت تتفاوت كثيراً بين ما هو مخصص للعامة وما هو مخصص للملوك والامراء والحكام، فقد كانت قبور العامة على شكل قبور بسيطة كحفر دخل الأرض وبعمق غير ثابت، وقد كان هذا النوع هو الأكثر شيوعاً.

وهناك القبور المشيدة باللبن والآجر التي بدأت بالظهور منذ عصر العبيد ثم ظهرت في أريدو وكانت تحفر بشكل حوض ضيق منتظم ومبطن بالآجر الذي شيد منه السقف أيضاً وقد عثر عليها في أريدو وكيش ونفر، وكانت القبور بشكل عام موجهة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وكان لبعضها أراضي مرسوفة بالآجر كما أن بعضاً منها كان مغطى بالآجر. النوع الثالث من القبور العامة هي الأقبية وهي اشبه بالانفاق تحت الأرض كالتي وظهرت في أور.

كان جثمان الميت قديماً يوضع في حصران تلف على جسد الميت وتثبت بدبابيس، وكانت حصران القصب هي التي تستخدم انطلاقاً من مبدأ مثولوجي يخص الطوفان فقد كان كوخ القصب الذي سكن فيه زيوسدرا (بطل الطوفان) هو المثال الأعلى لأنقاذ الإنسان من الشر.

وكان تابوت القصب هذا أما يطرح في الحفرة مباشرة أو يوضع على أرضية من الآجر المرتفعة قليلاً ويغطى بحصير قصب يغطي بقطع آجر.

كما أن التوابيت الخشبية كانت تستعمل لدفن الموتى في مقابر أور وشروباك، واستخدمت الجرار الفخارية وخصوصاً للأطفال الذين يوضعون كما موضعهم في الرحم، وكان هذا المبدأ يستند الى اعتقاد مثولوجي له علاقة بخلق الانسان من الطين وعودته الى رحم الطين في شق أرضي.

وقد عثر في نقر على جرار مزدوجة حيث يوضع جثمان الميت في جرة كبيرة ويوضع جزؤه الخارج عنها في جرة اخرى مقابلة وتغلق الفوهاتن المتقابلتان للجرة بالطين، واستعملت السلال أيضاً للدفن.

وكانت طرق الدفن تختلف في الاتجاه وفي وضع الميت وترتيب جسده واعتاد

السومريون على دفن العديد من حاجيات ولوازم وحلي واسلحة الموتى معهم وكان هناك تركيز على الأواني الفخارية للطعام والشراب وبعض الأختام والحجر المرقش .

وكانت تدفن بعض التماثيل الصغيرة مع الموتى ويمكن اعتبارها تعاويذ تساعد على حماية الميت من الأذى (انظر حنون ١٩٨٦ : ٢٥٠) .

النوع الثاني من القبور هو القبور الملكية التي لم تصل منها سالة سوى اضرحة ملوك اور قبل عصر فجر السلالات التي اكتشفها ليونارد وولي وملوك سالة اور الثالثة (لثلاثة ملوك فقط) .

اما مقابر ما قبل عصر فجر السلالات التي وولي بانها تعود الى (٣٥٠٠ - ٣٢٠٠) ق. م والتي قدر حديثاً تاريخها الى حوالي ٢٥٠٠ - ٢٤٠٠ ق. م اي قبيل سالة اور الأولى لمؤسسها الملك ميسانيدا فقد عثر فيها على ما لا يقل عن (١٦) قبراً ملكياً .

ويشكل عام يتكون كل قبر من هذه القبور الملكية من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي، نقش على ختم اسطواني قرب اسم عليه في بعض الحالات، وهناك مجموعة من هياكل الرجال يبدو أنهم من الخدم وهياكل لنساء يحمل بعضهم تاجاً من الذهب، وهناك عدد كبير من الأواني واللقى والخرز والاسرجة والتعاويذ والحلي الشخصية والخناجر . وقد يصل عدد الحاشية الى حوالي ٤٠ شخصاً . وهناك في بعض القبور عربات ملكية ربط الى كل منها ثلاثة ثيران او حمير مع حوزيتها والسائس امامها وهناك قيثارات موسيقية . . وغير ذلك .

وهناك تفسيران وضعهما الباحثون لظاهرة القبور الملكية في اور وهما :

١ . تفسير ليونارد وولي مكتشف المقبرة وخلاصته أن ما وجد في هذه المقبرة ما هو النموذج للتضحية بأتباع الملك وحاشيته ودفنهم مع الملك حين وفاته . أما الطريقة في ذلك فهي ان تنزل جثة الملك الى الضريح وينزل معه اتباعه وحاشيته ويستقرون على الأرض أو على رفوف موضوعة على الجدران وبعد أن يقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدأون بتناول السم من قدر مليء به ، وفي هذه الأثناء يكون الموسيقيون مستغرقين بالغرف على القيثارات ومن المحتمل ان تكون هناك ترانيم جنازية خاصة يرددها المضحي بهم ، وحين يسري مفعول السم بأجسامهم يضطجعون كل في مكانه ثم يدخل أحد الأشخاص

ويرتب الجثث ومحتويات القبر ويخرج لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل متعددة وضمن احتفال ديني خاص بالمناسبة . ويرى وولي أن سبب دفن اتباع الملك معه راجع الى اعتبار الملك شبه إله وأنه حين يموت ينبغي أن يدفن معه اتباعه ليتقبلوا معه الى العالم الآخر حيث يواصل حياته الأخرى فيه (انظر المرجع السابق ص ٢٦١ وانظر Woolley 1965 : 60) .

وما زال رأي ليونارد وولي صامداً أمام الزمن لدقته وعلميته ، خصوصاً أن عمليات الموت الجماعي والتضحية الدينية الجماعية ما زالت تظهر حتى في عصرنا هذا بشكل دراماتيكي حيث يكون الشخص المشابه للملك زعيم تلك الجماعة الذي يجتذبهم الى الموت والتضحية الجماعية املاً في عالم آخر أكثر سعادة .

٢ . تفسير انطوان مورثكات الذي يذهب الى أن هذه التضحيات البشرية هي جزء من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس الذي كان يقام سنوياً ويلعب فيه الملك دور الاله دموزي في حين تقوم الكاهنة العليا أو الملكة بدور الإلهة إنانا ثم يُسمَّان مع اتباعهما ويُدفنان في احتفال ديني ثم يخرج جسد الملك من سقف الضريح بينما تبقى قرينته في القبر . وهذا رأي معارض تماماً للرأي السابق وتنقصه الأدلة العلمية الدقيقة على ذلك .

ويبدو أن عادة التضحية البشرية شملت عصر فجر السلالات السومرية اي الى حوالي (٣٠٠٠ ق . م) ثم انقطعت بعد ذلك ، ونرجَّح أن تكون هذه الطقوس السومرية القديمة حافزاً لتشكيل فكرة الخلود المصرية وما رافقها من طقوس حفظ الجثث والتحنيط للفرعنة المصريين القدماء حتى أنها اخلت بعداً دينياً مصرياً عميقاً ، أي أنها كانت عادة سومرية انقطعت في وادي الرافدين في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد واستمرت بعد هذا التاريخ في مصر القديمة .

أما قبور ملوك أور الثالثة فلا تحتوي على جثث بل على أختام ملكية وغمائل صغيرة وهي أضرحة معقودة بالأجر ، وقد أقيمت فوق سراديب الدفن مزارات أو معابد جنائزية تحتوي على العديد من الغرف على غرار محطات المعابد المألوفة .

وهذه القبور أشبه بالبيوت ولكنها مخصصة للدفن وليس للسكن .

٢ . الشعائر الجنائزية السومرية

كان السومريون قد ورثوا التقاليد الحضارية للدفن شعائر الموت من التراكم

الحضاري الذي ساد في جنوب وادي الرافدين منذ الألف الخامسة قبل الميلاد ، وكانوا يعتبرون اقامة مثل هذه الشعائر دليل رفعة حضارية ولذلك فانهم كانوا يصفون بدو مارتو (الأموريين) كما في الاسطورة او الحكاية التي يسأل فيها أحدهم عن هوية مارتو فيقول :

« من يكون مارتو هذا . . وهو الراعي الذي لا بيت له

والذي يأكل اللحم نيئاً

والذي حين يموت سترمى جثته في العراء ولا يدفن

فلماذا تريدان الزواج منه ، ،

(كريم ١٩٧١ : ٣٠).

وكانت الشعائر الجنائزية في سومر تقام من أجل إرضاء آلهة السماء وآلهة العالم الأسفل معاً حتى يعتنى بالميت وللجسم غضبها وتقسم هذه الشعائر الى ثلاثة أقسام :

١ . طقس الكسبا : وهي الطقوس التي تقدم فيها مختلف الأطعمة إلى أرواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيل الأبيض والفاكهة .

وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة الأطعمة والاشربة هذه وتوضع عليها وترتب مقاعد حول المائدة ويترك مقعد واحد فارغ لروح الميت الذي اقيمت الوليمة لأجله وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية كرسي الروح (كش كوزاديا) ويسمى بالأكديّة (كسو أطيمو) وكانت القرابين الجنائزية تقدم أمام تماثيل الملوك بصفة خاصة .

٢ . طقس المي نقو : وهي طقوس سكب الماء لإرواء ضمناً الميت وكان الماء يسكب عبر انبوب فخاري ينزل من سطح الأرض الى العالم الأسفل ، فقد عثر فقد عثر في أحد الأبنية العائدة الى الملك السومري شولكي ، ثاني ملوك سلالة أور الثالثة ، على أنابيب فخارية تحت الأرض الى الأسفل بصورة عمودية ، كذلك عثر في الأضرحة الخاصة بالملوك في أور على منافذ خاصة لهذا الغرض .

٣ . طقس الشومازكارو : وهو طقس (ذكر الاسم) والمقصود منه تطمين الميت بأن ذكره ما زالت قائمة بين الأحياء وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسم يتحقق له .

وكان هناك تقليد آخر يوفي بهذا الغرض وهو إطلاق اسم المتوفي على الوليد الجديد . وكذلك ذكره المتصل في طقوس الحداد .

وكان عدم دفن الميت وعدم اداء هذه الطقوس تؤدي الى صعود روح الميت بهيئة شبح مؤذٍ من العالم الأسفل إلى عالم الأحياء .

أما طرق اقامة هذه الطقوس الجنائزية فكانت تقام برىقتين الأولى اما من قبل عائلة الميت وتشترك فيها بشكل خاص النساء القربيات من الميت وكان يطلق على من يقيم هذه الشعائر بالسومرية سواء أكان من أقارب الميت أم من غير أقاربه (لوساك إيتار Lusag En-tar) أما الطريقة الثانية فكانت تتم بتكليف بعض الأشخاص والكهنة الموكول لهم اداء تلك الشعائر فيقومون بتلاوة التعاويذ التي تعمل على تحسين حالة روحه في العالم الأسفل ومنهم كاهن الـ (ماخ) وكهنة الـ (كالو) .

وكانت الطقوس الجنائزية تقام بعد الوفاة مباشرة أو / وفي أوقات محددة ومختلفة ولفترة طويلة بعد موت الشخص . وكان اقامة هذه المواعيد شهرياً في اليوم التاسع والعشرين من الشهر وهو اليوم الذي يختفي فيه القمر كلياً (محاق) ويسمى bubulu حيث تتجمع فيه أرواح الموتى ويقوم الأحياء بتقديم القرابين والشعائر وكان يسمى (يوم وليمة الموتى) أو (يوم الكتابة) أو (يوم الندب) .

أما الموعد السنوي لأقامة الشعائر الجنائزية فكان يحصل في شهر آب حيث تقدم القرابين بصورة جماعية وترفع المشاعر لأرواح الموتى وتبدأ مع بداية هذا الشهر وتبلغ ذروتها في اليوم التاسع منه .

٣. شعائر الحداد والحزن

كان الحداد شعيرة أو طقساً لأنه كان يخفف من التوتر الذي كان يعاني منه أهل وأقارب الميت من جهة ، وطمأنينة وراحة للميت بسبب عدم نسيانه من جهة أخرى .

وكان هناك عدد من الكهنة الذين يؤدون هذه الشعائر وهم كهنة (كالو - ماخ) أي (الكاهن العظيم) وكهنة الـ (كالو) أي الناديين وكهنة الـ (كالو - تور) .

وكان كاهن الكالو يعزف أما على طبل هلهلاتو Halhallatu او على القيثارة أثناء ندبة واناشيده الحزينة .

والكاهنات كذلك يؤدين هذه الشعائر وهن من نوع (لوكر) و (ايتتو)

وكان أهل الميت يعبرون عن حزنهم بترك الشعر اشعث او بتفثه والنواح باصوات عالية والطم على الوجه ، والقاء الديدن على الأرض وضربها وتزيق الثياب ، وربما كانت عادة تلطيخ الرؤوس بالطين وطأطأة الرؤوس من ضمن هذه التقاليد .

ومن المراثي السومرية الخاصة بالحداد مرثية (لودنكرا) التي يرثي فيها أباه المدعو (نانا) :

« يا ابتي ، الذي مات في عدوان ، يا نانا الذي حُمل الى العالم الأسفل بالشر المخطط ضده ،

زوجتك - واعجبا : كانت من قبل زوجة والآن صارت أرملة
انها تدور حولك كالزوبعة

ومثلي (عاصفة) إندفعت نحوك ، نعم : فقد أفقدتها صوابها

واطلقت صرخة ألم كما كانت في المخاض

لقد مزقت (ثيابها) وأخذت تنن كالبقرة ،

.. واطلقت صرخة ألم وذرفت الدمع السخي

وغطت بها ما هو صحيح ،

بالظلام الذي يجمع (الحزن)

يلمسك ، القلب (وهو) مغمورٌ بالهم ،

الذي (كان) ينهضُ ميكراً

من بين (الكاهنات) اللواتي يسكن في (المعبد) كاهنة الإله ننورتا من صنف لوكر
ألقت بنفسها في الوحل

ومثل إله حزين

إن صيحاتها المتألمة .. شرٌ

في وسط الرواق .. جعلت الناس المنتشرين (يشرون) حبوباً وماءاً ، فوضى

المعارك، كاهنة الاله (نسكو) من صنف اينتو . . مزقت إرباً (ثوبها) لأجلك (ولست)
طرف ثوبك .

أبناؤك الذين كانوا يعاملون كأبناء ملك، يأكلون

كلما يشربون . .

العسل والزبدة . .

ملأوا المائدة بالزيت لك

والدموع التي ذرفوها من أجلك تستحق الرثاء

وحدادهم عليك هو حداد القلب الصافي»

(جنون ١٩٨٦ : ٢٩٣).

٣. الطقوس الدورية (الأعياد)

تستند فكرة الطقوس الدورية ، في جانبها العميق ، إلى ما يمكن أن نسميه بأسطورة أو عقيدة العود الأبدي . فقد كانت الطقوس الدورية مناسبة لاستحضار زمن الخلق الأول معاً ، ولذلك فإن هذه الطقوس كانت تأخذ طابعاً مطلقاً ، وسواء كانت الأعياد أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية فإنها كانت جزءاً من الدورات الكونية التي أسماها اليونان الساروس مستثنين إلى المصطلح السومري (سار) التي تعني سنة ، دورة ، ملك .

يرى مرسيا إلياد أن هذه الإيقاعات الطقسية المتكررة تعني الولادة الجديدة وهي محاولة لإعادة إنشاء الزمن الميطيقي والبدئي ، الزمن النقي ، زمن لحظة الخلق «كل سنة جديدة فهي عودة بالزمان الى بدايته ، اي تكرار لولادة الكون Cosmogony ، وما المبارزات الطقسية التي تجري بين فريقين من الشخصين وحضور الموتى ، وما أعياد الفحش والدعارة ، الأعناصر تدل على أنه في نهاية السنة ، وفي انتظار مقدم العام الجديد ، يجري تكرار اللحظات الميطيقية التي تم فيها الانتقال من العماء الى ولادة الكون ، ، (إلياد ١٩٨٧ : ١٠٤).

إن طقوس الأعياد هي من أكثر الطقوس قداسة لأنها ببساطة ، تحاول أن تذكر بالزمن المقدس الأول ، وفي ذلك اتضاح لقدسية الحياة والخلق والآلهة فهي لم تكن أعياداً اجتماعية أو اقتصادية (لزرع أو حصاد) بل كانت أعياداً روحية بالمعنى العميق للكلمة « في العيد يوجد البعد المقدس للحياة كاملاً ، فتختبر القداسة للوجود البشري بصفتها خلقاً الهياً . وفي بقية الزمن نحن معرضون لنسيان ما هو جوهري : أما الوجود فليس «معطى» بما يسميه المحدثون (الطبيعية) وإنما هو خلق للآخرين ، الآلهة أو أنصاف الآلهة ، وعلى العكس فإن الأعياد تعيد تجديد البعد المقدس للوجود ، وبالتالي كيف خلقت الآلهة أو الأجداد الاسطوريين الانسان وعلمته مختلف أنواع السلوك الاجتماعي والاعمال التطبيقية » (إلياد ١٩٨٨ : ٧٠)

وإذا كانت الطقوس السومرية الدورية (الاعیاد) ذات جذور أقدم تمتد الى العصور الحجرية الحديثة (النيوليت) فإن ذلك لم يحل دون منح هذه الأعياد صبغة روحية وطقسية جديدة .

تعني كلمة (إيزن Ezen) بالسومرية الفرصة والاحتفال الذي لا يرتبط بوقت محدد من أوقات السنة، لكن كلمة آسنو Isinnu الأكادية ومعها كلمة آسنو I's'sinnu تدل على العيد الدوري الموقوت .

ويتضح لنا أن الكلمة الأكادية مشتقة من الكلمة السومرية وأن إعطاء الصفة الدورية للكلمة جاء من الأكديين، ونرى أن كلمة إيزن أو آسنو تحمل ما يدل على الـ (سنة). أي العيد الذي له علاقة بنهاية أو بداية السنة، وبذلك أصبحت هذه الكلمة تدل على الأعياد بمعناها الدوري وغير الدوري .

ولعل أهم الأعياد السومرية أربعة هي :

١. عيد إش إش

وهو العيد الأسبوعي المرتبط بالقمر، فقد كان السومريون يعتمدون على القمر في تدوين تاريخهم، ونرى أن كلمة تاريخ اخذت من (ورخ) وهو الاسم السامي للقمر الذي كان السومريون يعتبرونه أساس تدوينهم التاريخي. ويرى مرسيا إلياد أن مراحل القمر الأربعة (الظهور، التعاضد، التناقص، الغياب) ثم الظهور الثاني للقمر بعد ثلاث ليال من الديجور لعبت دوراً كبيراً في صوغ المفاهيم الدائرية Cyclic (انظر الياد : ١٩٨٧ : ١٥٥).

وكان السومريون يسمون كل مرحلة باسم ويضعون سبعة أيام لكل مرحلة يكون اليوم السابع هي يوم الـ (إش إش) أي يوم الاحتفال بانجاز مرحلة من مراحل القمر. وهذا بالضبط مصدر فكرة عطلة نهاية الأسبوع ومنها جاءت كلمة السبت وأصلها سبتو بالبابلية أي (السبعة) ففي يوم السبت كان الناس يرتاحون من العمل ويحتفلون بنهاية مرحلة جديدة من مراحل القمر .

وينسحب هذا المنظور القمري على العمق الإنساني كله حيث كانوا يرون موت أو سبات الإنسان مثل موت البشرية الدوري، هو موت ضروري، كضرورة موت القمر في أيام المحاق الثلاثة التي تسبق (عودة ولادة) القمر لأن في هذا الموت تهيئة لاعادة الولادة. وينطلق هذا الفهم من أن كل شيء، مهما كان، بسبب من كونه موجوداً وباقياً فإنه معرض للأصابة بالضعف والاهتراء، ولكي يستعيد قوته يجب أن يعود لكي يمتصه اللاشك الذي لا يدوم غير لحظة، يعود إلى الانضمام إلى الوحدة البدئية التي صدر عنها، أي الدخول

ثانيةً في العماء على الصعيد الكوني بانتظار ظهور جديد من هذا العماء وإعادة خلق دورية .

ويرى مرسيا إلياد أن ما يسيطر على جميع هذه المفاهيم الكوسمو-ميطيقية القمرية هو العودة الدورية لما كان موجوداً فيما مضى ، أي (العود الأبدي) هنا أيضاً نعود فنجد الباعث على تكرار بادرة نموذجية يقذف بها على صعيد : كوني ، بيولوجي ، تاريخي ، بشري . . . الخ لكننا نتبين في الوقت نفسه بنية الزمان الدورية ، إن هذا (العود الأبدي) يكشف عن أنطولوجية غير ملوثة بالزمان والصيرورة (انظر إلياد ١٩٨٧ : ١٥٩) . ومن الناحية المثولوجية كان السومريون يعتقدون أن المحاق كان يعني هجوم الأرواح الشريرة والشياطين على القمر واقتياده إلى العالم الأسفل لينغيب هناك ثلاثة أيام (لتتذكر اسطورة هبوط إنانا إلى العالم الأسفل وغيابها ثلاثة أيام هناك) .

إن أسطورة إنليل ونليل وولادة القمر تشير إلى إرتباط القمر بالعالم الأسفل (ولومؤقتاً) وأنه لا بد أن يخرج بعد أن يفتدى بالقرايين ولذلك كانت أعياد إش إش مشفوعة بالقرايين والأصاحي .

٢. عيد زاموء (a - mu - za) :

(زاموء) إصطلاح سومري ويرادفه بالأكدية زاكموكاً (عيد الزكمك) (zag - muk - ka) وهو من الأعياد المؤقتة الذي يمثل عيد رأس السنة ، وكان السومريون يحتفلون مرتين بهذا العيد الأول في الإعتدال الربيعي (عيد زاموء الأول) وهو عيد الحصاد والخضرة وكانت تقام فيه أعراس الإله دموزي وإنانا وطقوس الزواج المقدس ويصادف تحديداً في ٢١/ آذار من كل سنة وهي بداية السنة السومرية .

أما العيد الثاني فكان (عيد زاموء الثاني) الذي كان يجري في الإعتدال الخريفي وهو عيد البذار والصفرة وكانت تقام فيه طقوس الحزن الجماعي على موت دموزي وذهابه إلى العالم الأسفل وكان يصادف في ٢١/ أيلول من كل سنة وهو منتصف السنة السومرية .

وبالمناسبة فإن طول الليل وطول النهار يتساويان تماماً في هذين اليومين من السنة فقط . وهذا يشير إلى رهاقة الروح السومري وإيقاعه الحميم مع الطبيعة .

وفي أواخر العصر السومري الحديث (عصر سلالة أور الثالثة) وبعد هذا الوقت أصبح السومريون والأكديون يطلقون على (عيد الزاموء الأول) اسم (أكيتو) ومع إختفاء السومريين السياسي اضحمل تدريجياً عيد الزاموء الثاني .

وأصبح هناك عيد دوري واحد هو عيد الأكيتو يحتفل به السومريون في ٢١ / آذار من كل سنة وهو بداية التقويم السنوي عندهم ، أما الأكديون ومن ثمة البابليون والآشوريون فكانوا يحتفلون بعيد الأكيتو في بداية شهر نيسان حيث بداية التقويم السنوي عند الساميين عموماً وكان يستمر عندهم (١٢ يوماً) .

٣. عيد الأكيتو Akitu :

كلمة اكيتو «تعني بشكل خاص اسم أحد الاعياد العراقية المهمة وكذلك المكان الذي تقام فيه احتفالات العيد المذكور، وظهرت كلمة اكيتو في النصوص السومرية بالصيغ التالية :

á - ki - te , á - ki - ti , á kitg - a , (ezen-) a - ki - tum

وفي النصوص المتأخرة ظهرت الكلمة على شكل a - ki - it ، أما في النصوص الأكدية فقد ظهرت كلمة اكيتو بمعنيها بصيغة :

akutum أو bit akitim ، ، (النعيمي : ١٩٩ : ١١٢).

ويعتقد أن الكلمة سومرية الأصل مركبة كما يلي : a - ki - (e) - ti - a وأن أقدم ذكر لها في اللغة السومرية ورد في لوح اقتصادي عثر عليه في مدينة اور ويعود الى الفترة التي سبقت العهد الأكدي بقليل . وقد قامت الباحثة راجحة النعيمي بتحليل هذه الكلمة كما يلي :

« a » هي كتابة مقطعية لـ a التي تعني الماء ومجازاً المطر و KI بمعنى أرض و e هي أداة ظرف المكان المهم التي تعبر عن القرب المباشر ، وقد اختفت كلمة أكيتو لاندغامها مع حرف الـ a السابقة لها و ti بمعنى يقرب . ان اعطاءنا الفعل ti معنى يقرب يعتمد على المصطلح الاقتصادي su - ti الذي يعني حرفياً تقرب اليد الى شيء ما اي بمعنى يتسلم ، وعليه تكون كلمة (a - ki - ti) بمعنى تقرب الماء الى الأرض إي انزال المطر لأن (ti - a) هي

صبغة المصدر ويمكن ترجمتها بمعنى (إنزال) ولهذا السبب نعتقد أن عيد أكيتو كان موجوداً في العراق قبل ظهور الكتابة المسمارية بفترة طويلة ، وخلال الفترة التي ظهرت فيها الكتابة المسمارية صار العيد المذكور طقساً دينياً بعيداً عن أصله الأول لذلك ابدلت على ما اعتقده (a-â) لأن القسم الجنوبي من العراق لم يعتمد علي المطر كاعتماده على جهد الانسان في الانتاج والزراعة ، (النعي ١٩٩٠ : ١١٣) .

في زمن سلاله أور الثالثة وحسب تقويم أور كانت احتفالات الأكيتو تحدث مرتين في السنة، الأولى في الشهر السادس والثانية في شهر حصاد الشعير الذي يصادف الشهر الثاني عشر (اذار - نيسان) ونادراً في الشهر الأول من السنة ، وللعيد الذي يحتفل به في الشهر السادس اسم خاص هو (أكي شونون من su - mumun - ki - á) أي فترة بذر البذور وكانت تقاليد الإستسقاء القديمة التي ظهرت في سامراء ما زالت حاضرة الى حد ما .

ويبدو أن عيد الأكيتو السومري كان مرتبطاً بالآلهة إنانا ودموزي وكانت تقدم الضحايا الكثيرة لـ (إنانا) في اليوم الحادي عشر من العيد الذي يبدأ في اليوم الأول من شهر أكيتو ، ويمكننا على هذا الأساس افتراض ان عيد الايام الاثني عشر الذي هو الاكيتو في بابل كان قادماً من عيد الأكيتو السومري .

ومعروف كيف كان هذا العيد يقام في بابل ، وكان مركز طقوسه تجرى حول مردوخ ونبو وتجديد ملوكية ملك بابل .

ومن نصوص تعود الى العصر البابلي القديم نستطيع تلمس مضمون عيد الأكيتو الأول في أور أو سومر (الذي كان جذره عيد زاموؤ الأول) وهو عيد الربيع ، حيث كان يتضمن تقديم الطعام للآله نانا والاحتفال بزواجه الآلهة ننگال وهذا يعكس استبدال دموزي وإنانا بالآلهة المحلية للمدينة . أما عيد الاكيتو الثاني الخريفي فكان يتضمن عيد سفينة نورو ولعله القمر وغيباه في سفينته في العالم الأسفل ثم احتفال البكاء الكثير ثم احتفال التجول في المدينة ثم احتفال المشاعل أو عيد المراثي الذي كان بمثابة ختام العيد الحزين بعد البكاء على موت الآله المؤقت (انظر النعي ١٩٩٠ : ١١٤ - ١١٥) .

وهنا نتمسك بالحلقة المفقودة بين عيد الاكيتو السومري وعيد الاكيتو البابلي اذ يبدو ان طقوس الفرح الربيعية التي كانت تقام في سومر من اجل دموزي وإنانا تحولت إلى إله

والهة المدن منذ أو بعد سلالة أور الثالثة وكذلك طقوس الحزن الحريفية . . ولأن أور كانت عاصمة الدولة السومرية الأخيرة . فإن هذه الطقوس ارتبطت باله القمر وهو اله مدينة أور (نانا) وزوجته (ننكال) ويسبب من الغياب المؤقت (ثلاثة أيام) للاله القمر في العالم الأسفل ، وهي الفترة بين اختفائه في نهاية الشهر القمري وظهوره في بداية الشهر القادم ، انتقل ثقل الطقوس باتجاه إله مثل دموزي يغيب في العالم الأسفل ولكن لمدة قصيرة وبذلك أصبحت الأرضية ممهدة لانتقال هذا التقليد إلى (مردوخ) إله بابل الذي نسجت له اسطورة غيابه في العالم الأسفل لثلاثة أيام أيضاً أو لفترة قصيرة وأصبح كل هذا النسيج الاسطوري ملائماً لجعل الملك السومري ثم البابلي في وسطه باعتباره (سين) أو (مردوخ) وقد كان دموزي في بدايات العصر السومري .

وهنا ازداد عيد الاكيتو تركيئاً وأصبح عيداً لتتويج الملك وزواجه المقدس مع خلفية اسطورية تذكر بالاله مردوخ وقصة الخليفة .

٤. عيد إيژنماخ Ezen - mah: وهو العيد الكبير الذي ذكرته بعض الرقم السومرية وكان احياناً يختلط مع العيد الربيعي .

٤- الطقوس السريّة (طقوس الأسرار)

ليس المقصود من الطقوس السريّة ممارستها في الخفاء وبعيداً عن أعين الدولة (باستثناء السحر الأسود) بل المقصود عدم ممارستها إلا من فئات خاصة من الكهنة وكونها تنطوي على شغائر ذات طبيعة سحرية بالدرجة الأساس . . ولها من الخصوصية ما لا يمكن تعميمه كما في بقية الطقوس .

وقد كان أغلب هذه الطقوس خارج الشكل الرسمي للديانة السومرية، ولكنها دخلت في جوهرها بسبب من انطوائها على الكثير من الأسرار والغموض وشحذها لفضول الناس وتعلق الناس ببعض من امكانياتها التي كانت تدعي السيطرة على قوى الكون والآلهة والانسان .

إن طقوس الأسرار تعتمد في أساسها على مبدأ سحري جوهري يقتضي وجود قوة في الكون أو في الآلهة أو في الشياطين أو في الإنسان وأن هذه القوة يمكن ان تتناغم مع قوة أخرى عند الذي يقوم بهذه الطقوس وهي قوة الساحر أو العراف أو المنتجم أو مفسر الأحلام الذين يستطيعون تحريك تلك القوى وتفسيرها بالشكل الذي يريدون، ونحن نعتقد أن ظهور قوى بارسايكولوجية عند بعض الأفراد أمرٌ واردٌ وأن امكانيات تسخيرها في مختلف الاتجاهات أمرٌ لا تشوبه الشكوك في تلك العصور التي ما زال فيها الانسان خارجاً للتو من مرحلة البدائية .

والقوة البراسايكولوجية غير القوة النفسية التقليدية التي تعتمد التأثير النفسي العادي الشعوري عند الانسان، لأن القوة البراسايكولوجية قوة خارقة لا تعمل وفق القوانين الطبيعية بل تعمل على ايقاتها والتأثير عليها ولذلك تخفّت هذه القوى، من خلال أصحابها، تحت أشكال عديدة مما كان يعرف بالسحر ومعرفة الغيب والتنجيم وتفسير الأحلام .

لقد كانت طقوس الاسرار السومرية موثلاً هاماً للديانة السومرية بالاتجاهين الايجابي والسلبي . . فقد كرست هذه الطقوس مجموعة من التقاليد التي سادت في الديانات اللاحقة وعززت مكانة الدين، ولكنها في الوقت نفسه أنتجت ضرراً فادحاً حيث سادت الشعوذة والحيل واصطناع الخوارق مما أثر سلباً على طبيعة العقائد الدينية بسبب

عدم امكانية الفصل الحاد بين السحر والدين حتى في العصور السومرية وما تلاها خصوصاً السحر الأبيض أو الحلال الذي كان مسموحاً به دينياً.

اننا إجمالاً يمكن أن نقسم طقوس وممارسات الأسرار إلى أربعة أركان اساسية هي (السحر، العرافة، التنجيم، تفسير الأحلام).

١. السحر

لا شك أن الإنسان عرف السحر منذ العصر الحجري القديم (الباليوليت) لكن سحر العصر الحجري الحديث (النيوليت) امتزج مع عناصر الطبيعة والخصب والجنس بسبب ظهور الزراعة وفكرة الخصب معها. . وكانت المرأة هي التي تقود عمليات السحر الزراعي. أما عند حلول العصر الحجري المعدني (الكالكوليت) فقد قام الرجل بتنحية المرأة وأصبح هو الممارس الأكبر لطقوس السحر.

وقد عرف السومريون السحر وورثوه من الفترات السابقة التي ذكرناها. ويقوم السحر على مبدئين أساسيين الأول هو مبدأ التشابه الذي هو الاعتقاد بامكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وإن بالامكان صنع اشياء مشابهة للشيء الاصلي وإحداث التأثير على هذه الأشياء المشابهة فإن ذلك يؤدي إلى إحداث التأثير في الشيء الاصلي. فمثلاً صنع دمية لعدو أو حيوان يراد إيقاع الأذى به، وإحداث الأذى على هذه الدمية يؤدي إلى إحداث الأذى بذلك الحيوان أو العدو.

أما المبدأ الثاني فهو الاتصال وهذا يقوم على أن الاشياء التي كانت متصلة وأصبحت الآن منفصلة يمكن التأثير على أي منها بمعزل عن الأخرى، فإن التأثير ينتقل الى التي لم يصيبها الأذى مباشرة. ومثال ذلك ان بمقدور الساحر اذا امتلك خصلة شعر رجل او قلامة ظفر او سنة المقلوع أو حتى خرق ملابس فانه يستطيع ايزال الأذى بها لكي يسبب الأذى للشخص نفسه وهو بعيد عنها.

وكان السحر بصورة عامة ينقسم الى نوعين الأول مفيد وحلال ويسعى لنفع الناس وهو (السحر الأبيض) الذي كان يسمح لبعض رجال الدين بممارسته وخصوصاً كهنة (الآشيبو) او المعزومون (طاردو الأرواح).

أما النوع الثاني فقد حرّمته الأعراف والقوانين السومرية ووقف الدين السومري

ضده وهو السحر الضار المؤذي الحرام الذي هو السحر الأسود حيث كان يمارسه بعض رجال الدين سرّاً ويسمى بالأكدية (الكشفو) أو (الكشبو) والذي حرمه الأمير السومري كوديا ثم حرّمته الشرائع اللاحقة كشريعة حمورابي .

إن السحر الأبيض يستعين بالآلهة المعروفة وخصوصاً الإله إنكي وهو إله السحر أيضاً وابنه الإله اسارلوكي الي كان يكرس لهذا الغرض عند السومريين ، وكان ماء إنكي وغيوم اسارلوكي مادة إطفاء نار السحرة والأرواح الشريرة .

أما إذا أراد السحر الأبيض الاستعانة بالنار فإنه يستعين بالإله نسكو وهو إله النار الهوائية وكيرا إله النار السماوية والنجيبيل إله النار السفلية وربما الإلهة شالا (أم جرو) إلهة النار الكواكبية هذه الآلهة الأربعة كانت تملك النار القادرة على حرق السحرة الأشرار أو الشياطين والأرواح الشريرة التي يتفقون معها .

أما السحر الأسود فهو سحرٌ سرّيٌ وخفيٌ ولذلك كان يهرب من الآلهة ويستعين بالشياطين والأرواح الشريرة وأرواح الموتى وكان يتصل بهم ويحرضهم ، على أحداث الشر والأذى بمن يريد ، عن طريق وسيلتي التشابه والاتصال بشكل خاص .

شياطين السحر الاسود :

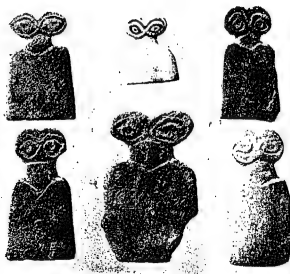
إن الإيمان بقدرة الشياطين والشعوذة كان أساس السحر الاسود وكان ذلك يستدعي إبعاد الآلهة حتى يتسنى للساحر اختراق الحاجز ليتصل بالشياطين التي كان السومري يعتقد بوجودها .

لقد كان الكون السومري مليئاً ، بالإضافة إلى الآلهة ، بالشياطين والعفاريت الطيبة والخبيثة ، فالعفاريت أو الجن الطيبة هي أبناء وبنات الآلهة العظام (آن ، انليل ، إنكي) وكانوا يتميزون عن غيرهم بوجود أجنحة على اكتافهم وهم ذات وجوه كوجوه الآلهة لكنهم لا يملكون قوتها وعزمها وكانوا يسكنون العالم الأسفل يستخدمهم الناس كملائكة حارسه لهم شخصياً أو لبيوتهم ومدنهم وهم جذر ما اصططح عليه فيما بعد بالملائكة (الشيديو والماسو) . أما الشياطين العفاريت أو الجن الخبيثة والشريرة فهم مخلوقات لا نسب لها بل هي كائنات ظهرت في الاماكن المهجورة والمتسخة والمظلمة واصبح بعضها جنوداً في العالم الأسفل ، ودخلت في جيوشها ارواح الموتى الذين لم يدفنوا او لم تقدم لهم طقوس جنازية جيدة .

وكان شكل الشياطين الخبيثة وصورهم مثل وحوش مخيفة أو حيوانات مركبة أو كائنات مرعبة وكانت لهم أطراف غريبة وقد تكسو جلودهم الحراشف والاشواك والأصداف .



شكل (١٠٤)
عين الإلهة الطاردة للشر
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (١٠٥)
تماثيل الهة العين الطاردة للشر في معبد تل براك

ومن أنواع الشياطين السومرية الخبيثة هي (انظر الماجدي ١٩٩٦).

١ . الكالا : وهم جنود وجيوش العالم الأسفل وقد وصفتهم أسطورة نزول انانا الى العالم الأسفل بأنهم (لا يعرفون الطعام والماء) و(لا يأكلون ولا يشربون) و(الذين يسلبون الزوجة من حضن الرجل والطفل من حضن أمه) وشبهتهم بأنهم مثل (نصل الرمح) أو (القصب) وهم عامة الشياطين .

٢ . الأوتوكو : وهم الاشرار المعروفون بالشعبة الخنثى قادة لشر

٣ . التاموتو : وهم شياطين الأمراض وأصواتهم أشد من عضتهم وهم يدخلون البيوت والاسطبلات بقصد الأذى والقتل .

٤ . السبعة الأشرار : الذين يقتلون الاطفال الرضع ويؤخرون ولادة النساء .

٥ . العين الحاسدة : وهي شيطانة العين التي تسبب الاذى والشر والتي خصص معبد تل براك لعبادتها واثقاء شرها (شكل ١٠٤)

٦ . الأشباح وهم الذين لا ملامح لهم ونعني بهم أرواح الموتى المقتولين غدراً أو غير المدفونين أو غير المقامة لهم طقوس جنازية مناسبة .

وكان للشياطين أسماء دالة على أفعالهم مثل الماسك والرابض والقابض . الخ . وكانت ليليث شيطانية سومرية ورد ذكرها في اسطورة انانا وكلكامش (شجرة الخلبو) فقد حطم كلكامش شجرة الصنوبر التي يبدو انها كانت بمثابة (الشجرة الخبيثة) في أوروك وطلع منها ثلاثة كائنات شريرة هي (الأفعى من الجذور ، ليليث من الجذع ، زوطائر الصاعقة من الاغصان) . وكانت ليليث توصف بانها شيطانة الليل صاحبة الاجنحة التي ترافقها العقبان والنمور والأسود وهي متخصصة باغواء الرجال وجذبهم من بيوتهم في الليل ليهيموا وراءها في البوادي والسهود والتي تشبع رغبتها منهم ثم تتركهم فريسة مجونها وغرامها الشارد وقد وصفها الادبيات العبرية بانها (حواء) وكان صنف ليليث من الجنيات يسمى (اردات ليلي) .

أما الليلو فهم شياطين ذكور عكس ليليث ، ويوصفون بأنهم عفاريت نصفهم بشر ونصفهم شيطان ويلاحقون البنات والنساء البشريات ويلحقون بهن الأذى وربما الغرام الشديد المولّه .

و الشياطين الشريرة عند السومريين لا تؤذي الإنسان فقط بل تؤذي الطبيعة وتسبب عدم توازن فيها فالكوارث والزلازل والفيضانات والقحط والرياح كلها بفعل هذه الشياطين .

إن غياب القمر بعد المحاق شهرياً كان أيضاً بسبب مهاجمة الشياطين السبعة الكبار له ، ولذلك كانت الأيام الثلاثة بين اختفاء القمر وظهوره هي بمثابة نوع من خطف القمر من قبل الشياطين إلى العالم الزسفل . وهذا هو جزء من أعياد الـ (إش إش) السومرية . وكذلك كسوف الشمس وخسوف القمر كانا بسبب الشياطين ولذلك كانت هناك شعائر لإنقاذهما من قبضة أو فم الشياطين .

مضادات السحر الأسود

كان للسومريون طرقاً خاصاً لمعالجة السحر الأسود أصبحت ، فيما بعد ، أساس معالجات السحر الأسود في الماضي القديم كله وكان جوهرها يستند على أساس أن السحر الأسود أو المرض أو الخطيئة بشكل عام سببها الأرواح الشريرة (الشياطين) فكان طردها وتخليص الحياة منها بمثابة علاج لها .

ويظهر تدخل الآلهة أولاً ببعثها لآشارات نبوية (أشابوت) تكون بمثابة علامات على إمكانية حدوث الكوارث والأمراض ، وهي بمثابة تشخيصات لهذه الشرور ، وكان كاهن الأشيبو هو الذي يكشفها ويفسرهما (انظر الأحمد ١٩٨٨ : ٦٣) .

في مجال الإنسان كان سقوط حية من الشجرة أو ظهور غراب أو كلب في الطريق أو حلم بالسقوط . . الخ هي إشارات المعزّم (الأشيبو) ليحللها ويعرف إمكانية شفاء الإنسان من مرضه .

أما في مجال الطبيعة فكان ظهور البرق والصقيع والمطر وتكسر الآثاث ولدغة النحلة وسقوط الشيء من مكان مرتفع بمثابة الإنذارات على وقوع الكارثة .

وكان كاهن الأشيبو يقوم بعد ذلك بمجموعة من الطقوس المضادة وهي :

١ . الرقى والتعاويذ العامة : كانت التعاويذ (الشيتو) هي الوسيلة العامة التي يمكن أن يقوم بها (الأشيبو) أو (المشمشو) وهي عبارة عن كلمات ملفوظة تتعوز من الشياطين

وتحاول إبعادها، ويؤديها الكاهن وهو يلبس ملابس حمراء (وهو اللون الذي تخشاه الشياطين) أو ملابس على شكل جلد ورأس السمكة حيث يتمثل فيها الكاهن شخصية انكي الذي ترمز السمكة له. أما الرقية فتتضمن صنع تماثيل صغيرة تعذب وتطمم بتلاوة جملة عليها والمعزم جالس داخل دائرة اختطها بعصاه ممسكاً بخشبة أو غصن نخلة.

وكانت التماثيل عبارة عن أشكال سحرية قد يكتب فيها ما يريده الساحر ولكنها تعلق على زند أو على صدر الشخص للدرء المرض والشر عنه. وتأخذ شكل الشياطين مثل بازوزو.

وكانت التعاويذ والرقى مصحوبة ببعض الأعمال الرمزية مثل حرق مواد تشبه الارواح الشريرة وحل العقد التي تعتقد أن المريض قد ربط بها.

٢. التعاويذ والرقى الخاصة وهي تعاويذ وجدت بصيغتها الأكيدة ويعتقد أن لها جذوراً سومرية واسماؤها كما يلي :

أ. الشربو وهي تعاويذ مضادة لتعاويذ السحر الاسود المسماة المقلو، وتصاحبها نار وحرق دمي.

ب. آتوكي لمنوتي : تعاويذ الطرد لكبار الشياطين

ج. أشاكي مرصوتي : تعاويذ لطرد شياطين الامراض

د. لابارتو : تعاويذ لطرد شياطين خاصة .

٣. طقوس الماء والزيت والدفن التي تعتمد على مبدأ الإتصال بشكل خاص حيث يأخذ المعزم شيئاً من شعر أو أظافر أو ملابس المريض، ويرش الماء عليه أو الزيت، ويتلفظ باسم العفريت، وربما يقوم بالتبخير أو حرق بعض أدوات المريض أو دفنها لكي يطرد العفريت عن المريض .

٤. طقس القوهو (البديل) الذي شرعناه في الطقوس اليومية والذي كان يعالج به المرضى حيث يستند الى مبدأي السحر (التشبيه والاتصال) معاً حيث يدفن الحيوان البديل عن المريض مع المرض في النهاية.

علاقة السحر بالاسطورة

كان السحر قديماً يمثل أول الأديان لاعتقاده بوجود قوة في الأشياء والعالم يمكن

التحكم بها ، وبعد أن أدرك الإنسان أن أصحاب القوى الخارقة فقط هم القادرين على التحكم بهذه القوى أبقي الانسان معتقده في وجود هذه القوى ولكنه خضع لها هذه المرة وتوسلها فنشأ الدين بالمعنى الذي نعرفه .

وإذا كان السحر ، كدين بدائي ، يرجع الطقس أساساً على الاسطورة التي يعتبرها هي الكلمة بدل القصة المقدسة والمعتقد هو الايمان بوجود القوى الكونية والبشرية ، فان الدين أعطى مستويات متقاربة لكل من الطقس والاسطورة والمعتقد .

لكن السحر نفذ الى الدين من خلال الطقس التي شرحنا بعضها ومن خلال الاسطورة أيضاً (رغم ان السحر يمارس خارج الاسطورة) وهناك الكثير من الأساطير السومرية ما زالت تحتفظ بالمشاهد السحرية فمثلاً في أسطورة انليل ونليل في العالم الأسفل يقدم البديل (الفوهو) عن الآلهة الثلاثة (الزوجان وابنته القمر) ليرقد ثلاثة الهة سفليين في العالم الأسفل ويتمكن ثلاثة آلهة عليون من الخروج الى الأعلى وقد اعتمد على مبدأي التشبيه والاتصال السحريين .

وفي نزول انانا الى العالم الأسفل يخلق الاله انكي المخلوقين (كوركالا) و (كولاتور) ويسلم الأول طعام الحياة والثاني ماء الحياة فيقومان برشهما على جثة انانا ستين مرة (بطريقة سحرية ولا شك) لتعود انانا الى الحياة .

إن طعام الحياة (بلخو) ولعله (البلح) وماء الحياة (ميلامو) ولعله ماءً مقدس يرشان بطريقة سحرية لستين مرة وهو عدد مقدس وسحري في ان .

وفي اسطورة / تعويذة السن السومرية يظهر السحر واضحاً . . وهناك أمثلة اخرى عديدة .

٢. العرافة

العرافة في أبسط تعريف لها هي (التنبؤ بالغيب) ، وإذا كان السحر ينطلق من وجود قوى خارجية يمكنه السيطرة عليها فإن العرافة تنطلق من فكرة وجود قوى داخلية (عند العراف) يمكنها ان تلتقط إشارات الكون والطبيعة وغيرها لتكشف بها ما سيحدث من أحداث .

ولعل أقدم عَراف سومري هو ملك سبار قبل الطوفان (إثنين دور انكي) الذي تعلم العرافة من الإله انكي فعينه عارفاً لفنونها ومعلماً لها واعتبر حامياً العرافين، وكذلك بطل الطوفان زيوسدرا . ويذكر ان أورنانشة أول حاكم لكش كان عرافاً (انظر الأحمد ١٩٨٨ : ٦٩).

وكان العَراف قارئ خطوط وإشارات بإمكانه تأويلها بالشكل الذي يراه لمعرفة ما سيحصل في المستقبل .

وسمى السومريون العَراف (آزي I. Zi) وتعني (الذي يعرف) وهو ما يقابل في الأكديّة (بارو) الذي اعتبر أحد أنواع الكهنة المتخصصين عند السومريين والأكديين معاً . وبصورة عامة يمكن تقسيم العرافة السومرية حسب مصدر نشوئها الى الاقسام التالية :

١ . عرافة الطبيعة وقراءة حركاتها وتبدلاتها ولعل أهم جزء في هذه العرافة هي قراءة السماء وظواهرها والنجوم وحركاتها وهو ما يعرف بالتنجيم الذي سنفرد له فقرة كاملة .

اما بقية أشكال وخطوط وإشارات الطبيعة المعبر عنها بالبرق والزلازل والبراكين والفيضانات وخطوط الجبال والسهول وحركة المياه فقد كانت مصدر الهام العرافين لكي يعرفوا بها مصائر الناس والبلدان .

٢ . عرافة الحيوان وقراءة ما يصدر عنه من حركات عفوية في وقت معين وهناك نوع آخر يعتني بقراءة الأجنة والولادات المشوهة عند الحيوان ليستدل بها على حدوث أمور مستقبلية .

وأهم أنواع هذه العرافة قراءة أحشاء الحيوانات التي تُذبح بمناسبة ما وبصورة خاصة قراءة خطوط وتغيرات الكبد (Hepatoscopy) فمثلاً عندما تختفي المرارة من الكبد فإن ذلك يعني إشارة لكارثة تخص الملك أو البلاد وهكذا .

٣ . عرافة الانسان وتشمل قراءة شكل الانسان وخطوط وجهه ويده وقدمه وجسده وحركاته بل والولادات المشوهة له وطبيعة الأجنة المسقطه منه .

٤ . العرافة العملية وهي العرافة الاصطناعية التي تعتمد على بعض الاعمال التي يقوم بها العراف ليتتج خطوطاً وأشكالاً يقرأ بها ما سيحصل في المستقبل . وقد عرف السومريون نوعين من هذه العرافة وهما سكب الزيت في الماء ثم مراقبة حركة الزيت وهو يطفو على الماء ويشكل حلقاته ومنها يعرف الفأل الحسن من الفأل السيئ ، أما النوع الثاني فهو قراءة حركة الدخان المتصاعد من المبخرة .

لقد كان الإله (أوتو) إله الشمس ، والإله (أشكر) هما اللذان يرعيان طقوس العرافة وكان العرافون يتوسلونهما عند إجراء طقوس العرافة .

ولم تكن العرافة محرمة بل كان الشخص الذي يقوم بها من نوع خاص يجب توفر بعض الصفات الخاصة به ، وكان العراف يرافق الملوك والامراء ويقرأ لهم طالعهم .

وجاءت أقدم نصوص العرافة من العصر السومري القديم بعنوانين مختلفة هي :

- إذا كانت مدينة على ارتفاع معين .

- عندما الإله آن وانليل

- إذا ضرب أو بنى .

٣. التنجيم

التنجيم Astrology هو الوجه السحري والشعبي لعلم الفلك Astronomy . ولم يبدأ التنجيم بداية سحرية بل كان في بدايته محاولة من الانسان النيوليثي لرصد الكواكب والنجوم في السماء وتحديد أوقات سقوط المطر وهبوب الرياح وتبذل الفصول « ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم ، ولا سيما التقويم الشمسي ، أوحتهما للإنسان الدورة الزراعية ، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر الى وقت بذر آخر او من حصاد إلى حصاد آخر ولعل انسان ذلك العصر استعان في ضبط مثل هذه الدورات والمواسم وتعاقبها ومواعيدها باقترائها بطلوع بعض النجوم والكواكب ، على نحو ما يمارسه الفلاحون الآن في العراق وفي غير العراق » (بافر ١٩٧٣ : ٢٠١) .

ولما كانت تقلبات الجو (وعلاقتها الكواكب والنجوم) تؤثر على مصادر الغذاء بهذا الشكل فلذلك أصبح « ارتباط مصير الملوك بالتقلبات الجوية راجعاً الى أن الكهنة والحكام

الذين مارسوا سلطاتهم السياسية والدينية خلال الفترات التي سبقت ظهور نظام الري كانوا مسؤولين مسؤولية مباشرة عن توفير الغذاء لمجتمعاتهم ولذلك فإن النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكس سلباً علي الحكام وعلى مصيرهم ولذلك أصبحت حركة الكواكب علامات دالة على مستقبل البلدان وحكامها ، ، (رشيد ١٩٨٧ : ٩).

ولعل أول المظاهر التنجيمية والفلكية في الدين السومري هو تقسيم السماء الى مسالك إلهية أو طرق معينة بأسماء عظام الآلهة السومريين فقد اطلق على خط الاعتدال السماوي طريق آن ويقع شماله خط الشمال وهو طريق إنليل إما جنوبه فخط الجنوب وسمي بطريق إنكي (ايا) .

ومنحت الآلهة الكبيرة أرقاماً رمزية ذات طابع فلكي ، ولعل أهم إنجاز قدمه السومريون للفلك والتنجيم هو إدخالهم النظام الستيني السومري على النظام الرياضي الفلكي . وهذا النظام يصلح للأشكال الدائرية والمقوسة وهو ما كان يحتاجه التنجيم ليتحول الى علم فلك يقوم على الرصد والقياس وتنظيم الجداول .

النصوص التنجيمية السومرية

ظهرت النصوص التنجيمية والفلكية السومرية أثناء تكون دويلات المدن السومرية وكانت النصوص التنجيمية منها بشكل خاص على شكل نصوص فال وعرافة ، وقد اشتهرت مدينة سبار (مدينة الاله الشمس) بمثل هذه النصوص واهتمامها الفريد بالطب والتنجيم . وكذلك مدينة أور (مدينة الاله القمر) . وتخبرنا المكتشفات الاثرية بوجود نصين تنجيمين مهمين يعودان إلى الفترة السومرية هما :

١ . نص (حينما أنو إنليل Enúma Anu Enlil (EAE)

وهو نص تنجيمي لأغراض الفأل يرى عددٌ من الباحثين أنه يعود الى ما قبل الفترة الأكديّة السرجونية ، ويرى آخرون أنه يعود الى هذه الفترة ولكنه مكتوب باللغة السومرية ويعتبر هذا النص من أكثر النصوص التنجيمية قدماً وقد جمعت معه نصوص اخرى تكمله وظهرت على شكل سلسلة نصوص تنجيمية تقتطف منها هذا المقطع إذا حدث خسوف في شهر سيوان في اليوم الرابع عشر وكان الإله القمر في ظلامه الدامس على الجانب الشرقي من فوق ، والنور على الجانب الغربي من تحت ، وهبت ريح الشمال في

ليلة المراقبة الاولى وخفت في منتصف ليلة المراقبة . فسيغطي الإله القمر ذو الظلام الدامس على الجانب الشرقي من الأعلى وذو النور على الجانب الغربي من تحت قراراً لمدينة اور وملك اور .

(أما بالنسبة) الملك أور فسيقاومه ابنه ، أما بالنسبة للأبن الذي سيقاوم أباه فيقبض عليه شمش (اله الشمس) وسيموت لعقوفه والده ويسعتلي العرش ابن الملك الذي لم يعلن عنه للملوكية ، ، (ساكر : ١٩٧٩ : ٥٢٥) .

وبوضح هذا النص علاقة بين مصير مدينة وسكان وملك أور وخسوف القمر والانواء الجوية ، وقد كان المنجمون في ذلك الوقت يقرأون مصائر الناس والملوك والمدن والدول من حركة الكواكب لارتباط حركة الافلاك بالزراعة والغذاء ولأن الآلهة هي التي تتحكم بهذه الكواكب ولذلك يقدسون غضبها ورضاهما من خلال هذه الكواكب ولأن الملوك على صلة مع الآلهة فلا شك (في نظرهم) ان هناك علاقة بين الكواكب ومصائر الملوك .

٢ . نص المشتري (ساكميگار) Sagemegar tablet

وهو من النصوص الفلكية الاقتصادية السومرية من عصر الملك السومري شولكي وهو ابن الملك اورغو من سلالة اور الثالثة وقد دُوّن اسم الملك و« على يسار اللوح دونت سنوات حكم الملك ، ثم أسماء الشهر واليوم في الشهر وفي بضع الحالات عبارة تتعلق بهذه الأمور الثلاثة وللأسف فان الكسر الذي فيه لا يعطينا تعريفاً كاملاً به لكنه يسجل سنوات ظهور واختفاء المشتري ، ، (Walker 1982) .

وتوجد خلف اللوح تسجيلات تنجيمية وتاريخ مختصر للملك السومري شولكي « شولكي ابن اورغو ملك جميع البلاد أخذ كرهينة بضائع البلد العدو ، لقد سلب كرهينة ملكية ايساجيل وبابل ، ، (Ibid)

ويقول القسم الآخر من النص « لقد فعل ما لا يحمد عقباه وسلب ملكية ايساجيل وبابل كرهينة ، ، (Ibid) .

ولأن اللوح الذي جاءت فيه هذه المعلومات هو لوح يخص كوكب المشتري الذي يسمى بالسومرية (ساكميگر) واسمه وعلامته الدالة عليه وما يحمل من معلومات لذا يعتقد أن شيئاً ما قد حصل للملك شولكي مع وقت وظهور واختفاء هذا الكوكب

خصوصاً ان شولكي سلب كرهينة ملكية ايساجيل وبابل .

الآلهة وأيام الاسبوع وأبراج السماء

اتبع السومريون النظام القمري في تقويمهم وقسموا السنة الى اثني عشر شهراً قمرياً وقسموا الشهر القمري إلى أربعة اسابيع بحسب حركة القمر وقسموا الاسبوع الى سبعة أيام .

ولم تصل اسماء ثابتة للأشهر السومرية القمرية بل كانت كل مدينة سومرية تتخذ تقوياً خاصاً وأشهرأ خاصة « وقد تمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر تثبيت هويتها بصورة كاملة هي خمسة تقاويم وتعود الى المدن التالية : لكش ودريهم (صيلوش دكان) واوما ، نقر واور وبالتأكيد هناك تقاويم أخرى غير التي ذكرناها لم تسنح الفرصة بعد للتعرف عليها وذلك لأن تنقيباتنا لم تشمل جميع المناطق الأثرية ، ، (رشيد ١٩٦٨)

وقد عرف السومريون كبس الأشهر القمرية ليتلافوا النقص الواضح في الزمن قياساً للسنة الشمسية . ولذلك كانوا يضعون أسماء اشهر مضافة بعد سنوات محسوبة .

أما أيام الاسبوع فقد أطلق السومريون عليها أسماء الآلهة والكواكب المرتبطة بها وأخذ عنهم البابليون هذا وما زال الى اليوم نظامنا في تسمية أيام الاسبوع مرتبطاً بالكواكب وهي كما يلي :

أيام الاسبوع	الكوكب الخاص به	الإسم السومري للكوكب	الإله السومري الخاص به
الأحد	الشمس	أوتو	أوتو
الاثنين	القمر	سو أين	ننار
الثلاثاء	المريخ	آن	آن
الأربعاء	عطارد	كو إود	إنكي
الخميس	المشتري	سكميكار	إنليل
الجمعة	الزهرة	نانسي آنا	إنانا
السبت	زحل	تور دش (جينا)	ننورتا

جنول (١١)

أيام الاسبوع السومرية وكواكبها وآلهتها

ولذلك كان المنجمون عندما يقيمون طقوسهم ويحاولون قراءة النجوم في يوم معين فانهم كانوا يتوسلون إله ذلك اليوم ونجم ذلك اليوم لكي يتمكنوا من قراءة دقيقة، وكذلك كانوا يأخذون بنظر الاعتبار الإله الخاص بالمدينة التي هم فيها فاذا توافق إله مدينة ما مع يومه في الأسبوع فإن ذلك يعتبر الحالة المثالية لعلم المنجمين .

والسومريون هم الذين قَسَمُوا السماء إلى اثني عشر برجاً سماوياً على أساس حركة القمر فيه خلال السنة ووقع نجوم بعينها في هذه البروج والدليل على ذلك بدء البروج من ٢١ آذار من السنة وعلى التوالي حيث ٢١ / آذار هو بداية السنة السومرية وهو يوم الاعتدال الربيعي حيث كانت تقام احتفالات رأس السنة السومرية .

ولتسهيل معرفتهم بالأبراج أطلقوا عليها أسماء الآلهة أو رموزها الحيوانية واستعملوا النجوم التي تقع في كل برج كنقاط دالة لأنها لا تغير موقعها سريعاً وبذلك كانت البروج في بدايتها عند السومريين أشبه بخطوط الطول والعرض السماوية .

ولكنها استخدمت فيما بعد، وبسبب ربط المصائر بالنجوم، لأغراض تنجيمية وما زالت إلى يومنا هذا تستخدم بهذا الشكل .

وقد أسموا مثلاً برج الثور (كو)، وبرج السرطان (ناكار) وبرج العقرب (كر) وبرج القوس (بابل) وبرج الجدي (ماش) . . وهكذا .

وقد طَوَّر البابليون فكرة الأبراج السماوية واستخدموها بشكل أوسع في الحقلين التنجيمي والفلكي .

الزقورات كمراصد فلكية وتنجيمية

استعمل الفلكيون والمنجمون السومريون الزقورات العالية كمراصد لمراقبة حركة الأفلاك والنجوم، وكانت هناك غرفة عالية تستخدم لمراقبة النجوم تسمى (بيت المراقبة) أو (بت تمرتي) .

وواضح أن سبب اتخاذ الزقورات كمراصد كان ارتفاعها الذي قد يصل إلى (٧٢ قدم) ولارتباطها بالآلهة التي كانت لها صلة بالكواكب والنجوم كما عرفنا .

٤. تفسير الأحلام

آخر طقوس وممارسات الاسرار هو تفسير الأحلام الذي كانت الالهة (نانشة) مسؤولة عنه بالدرجة الاساس ، وتخصصت به الالهة (مامو) ابنة اله الشمس (اوتو) وكلمة (مامو) بالسومرية تعني الحلم

وكان الكاهن المسؤول عن تفسير الأحلام هو السائل (شائيلو) والكاهنة المسؤولة عنه هي السائلة (شائيلتو)

وكان تفسير الأحلام يحضى بأهمية خاصة عند الملوك والامراء ، أما الكهنة الذين يعملون فيه فهم من ذوي الامتيازات الروحية الخاصة .

ارتبطت الأحلام بالليل وكانت كلمة مامو ، مامود تعني الليل والحلم في الوقت نفسه ، أما كلمة (ماش جي) فتعني نتاج الليل وتدل على الحلم ايضاً .

هناك نوعان من تفسير الأحلام الأول بواسطة الإلهام (الإلهامي) والثاني بواسطة الاستنتاج (استنتاجي) .

كان تفسير الأحلام الإلهامي هو الأقدم وقد ارتبط بالآلهة حيث كان يعتقد ان الآلهة تختار الحلم صيغةً لنقل ما تريد الى انسان ما تختاره هو . فعلى سبيل المثال يرى زيوسدرا حلماً يرسله له الإله إنكي ليتجنب دمار الطوفان وفي النسخة البابلية يقول الإله إيا (اني أريت أترأخاسيس حلماً ، وهكذا تعلم سر الآلهة) .

أي إن تفسير الحلم كان سرّاً إلهياً يعلمه إله الحكمة لمن يشاء وقد كان «مثل هذا الاعتقاد بالإحياءات الإلهية في الحلم قديماً جداً في بلاد الرافدين القديمة . وأقدم مثل عنها جاء في «مسلة النسر» الشهيرة العائدة اليملك لكش (اي اناثوم) الأول في نحو سنة ٢٤٥٠ ق.م في صراعه ضد أوما وهو يروي كيف أن الإله ننكرصو ظهر له في نومه لكي يطمئنه بهذه العبارات عن النتيجة السعيدة للحرب : حتى كيش لن تساند أوما . فالأله أوتو سينحاز اليك ، ، (بونرو ١٩٩٠ : ١٤٦) .

وتظهر الالهة كشتن أنا في أسطورة موت دموزي ونزوله الى العالم الزسفل كمفسرة أحلام من الطراز الرفيع فهي تؤول حلم دموزي (راجع أساطير ومراثي دموزي

في هذا الكتاب . الفصل الثاني) حيث يذكر دموزي ما يقرب من (١٢) مفردة حلمية هي (الأسد، القصب، الأشجار، الماء، المخضّة، كأس الشراب، العصا، النسر، الباز، العنزات، الخراف، حظيرة الغنم) فتقوم كشتن أنا وهي اخت دموزي بتفسير حلمه وتأويل هذه المفردات واحدة تلو الأخرى :

» إن حلمك غير حميد ذلك الذي أخبرتني به

إن تفسير الأسل الذي يرتفع حولك يعني

إن مجرمين يقومون ويهاجمونك

وإن القصب التي تقوم وحدها تحني رأسها لك

تعني أمك التي ولدت وسوف تخفض رأسها من أجلك

أما القصب القائم مزدوجاً وتنزع منه واحدة يعني

أنا وأنت وواحد منا سوف ينزع من الحياة

أما الأشجار العالية فتعني الظلام الذي ستغرق فيه

أما موقدك فسينطفئ

ستسقط كأسك من المشجب وتضيع عصاك

وتموت طيورك وعنزاتك وشياهاك

وحظائك سيعم بها الخراب

وستمزق مخضّة لبنك ويندلق لبنها

ويحطم كوكب ، ،

ولعل حلم كوديا وتفسيره من قبل الإلهة نانشة خير مثل على التفسير الإلهامي

فحين يحلم كوديا يحلم يذهب إلى الإلهة نانشة ويسمّيها (مفسرة الآلهة وأم الرؤى والأحلام) ويروي لها حلمه كما يلي :

» في منامي - رجل

كالسمااء في عظم جرمه ، كالأرض في عظم جرمه ،

هو رأسه رأس إله

جناحاه جناحا طائر امدوجود

قائمناه قائمتا عفريت طوفان

عن يمينه وشماله اسدان يريضان

أعطاني الأمر بتعمير بيته

لا أرى ماذا يريد

الشمس طلعت لي من الأفق

أمرأة - من هي ليست تكون ! من هي تكون !

وضعت على الرأس

أمسكت قصبة اللوح الفضية المضببة باليد

أسندت لوح لحجم على الركبة

تتشاور معه

ثم ، بطل

لوى الذراع ، أمسك كتلة من جحر اللازورد

للمنزل ، رسم مخططاً عليها

أمامي سلة مقدسة زُرعت ،

قالب قرميد مقدس أقيم مستويًا ،

قرميد القدر وضع في قالب القرميد من أجلي ،

في عوسجة «إلداغ» المزروعة أمامي ،

عصافير «تبيو» ما برحت تغرد طرباً .

ومهر حمار نبيل ، «اليد اليمنى» للمليكي، كان يضرب
الأرض بقائمتة نافذ الصبر ،

(كريع ١٩٨٦ : ٤٦-٤٧) .

هذا الحلم الجميل بوصفه هو الذي حلمه كوديا وطلب من آلهته نائشة التي يرى أنها
أمه بتفسير هذا الحلم ، وبعد أن سمعت نائشة الحلم قامت بتفسيره :

« يا راعي ، أنا منامك سأفسر :

الرجل العظيم الجرم كالسما ، العظيم الجرم كالارض
ورأسه رأس اله

وجناحه جناح طائر امدوجود ،

وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان

وعن يمينه وشماله اسدان يربضان

إن هذا لهو أخي ننجرسو

أن تعمّر له معبد أنينو

الشمس التي طلعت لك من الأفق ، هي إلهك

ننجشزيدا

مثل الشمس طلعت لك من الأفق

الجلراء التي وضعت .. على الرأس ،

وامسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد

وأسندت لوح نجم على الركبة

تتشاور معه

إن هذه لهي أختي ندابا

لكي تعمر البيت طبقاً للنجوم المقدسة

دعتك

ثم ، بطل -

لوى الذراع ، امسك كتلة من حجر اللازورد

إن هذا نندوب يرسم مخطط البيت عليها

السلة المقدسة التي زُرعت أمامك

قالب القرميد المقدس الذي أقيم مستوياً ،

قرميد القدر الذي وضع في قالب القرميد

إن هذا قرميد أنينو الذي يقاوم . .

في عوسجة إلداج المزروعة أمامك ،

عصافير تيبو ما برحت تغرد طرباً

في أثناء تعمير البيت ، لن يأتي الرقاد والحلو الى عينيك

مهر الحمار النبيل ، اليد اليمنى للمليك ، الذي كان يضرب الأرض

بقائمه نافذ الصبر

إن هذا أنت ، كمهر الحمار النبيل سوف تضرب الأرض في أنينو ، ،

(كبر ١٩٨٦ : ٤٧ - ٤٩).

إن هذا التأويل الحلمي يعتبر واحداً من أقدم ما ذكره التاريخ وهو يشير بوضوح الى تأويل إلهي ذي طبيعة الهامية . . ولننظر الى كوديا العظيم الذي كان يحلو له ان يتشبه بالحمار بسبب حبه للعمل وتواضعه أمام شعبه وهكذا كانت الإلهة نانشة تراه .

ويمكن ان نضع تفسير الإلهة (نسون) أم كلكامش لحلم ولدها في نفس السياق وكذلك حلم أنكيدو الذي كان نذيراً بمرضه ثم موته .

أما النوع الثاني فهو تفسير الأحلام الإستنتاجي فهو الذي يعتمد على القدرة

التأويلية لكاهن أو لكاهنة الشائيلو/ الشائيلتو على فك الرموز والصور الخلمية ووضعها في سياق الواقع، ولا شك ان هناك ما يشبه الثوابت التي درج الكهنة على وضعها نصب أعينهم وقد ذكرها بالتفصيل لاحقاً الكهنة البابليون والآشوريون الذين وضعوا ما يشبه القواميس الكبيرة لتفسير الأحلام والتي تبدأ فقراتها هكذا « إذا حلم أحد ب... فإن... » وجاء أقدمها من حوالي ١٧٠٠ ق.م ولا شك أن مصادره الأولى سومرية، ومثال ذلك :

«إذا حلم أحد خلال نومه بأن المدينة كلها تسقط عليه، وبأنه يطلق صرخات ويسمعونه : فسيكون لهذا الرجل نحس^١ يلزمه طول حياته .

«إذا حلم انسان بأنه ياكل لحم كلب : استهلال، رغبة غير متحققة .

إذا تبول في جدول ماء : لن تزدهر غلته »

«بوتيرو ١٩٩٠ : ١٥٢-١٥٥» .

تصنّف الأحلام التي ظهرت في النصوص العراقية القديمة ومنها السومرية تصنيفاً يختلف عن تصنيف تفسير الأحلام وعلى الشكل التالي:

١ . أحلام تظهر بها الآلهة ارادتها والتي قد تحتاج الى تفسير أو لا تحتاج .

٢ . أحلام تعكس وضع الخالم العقلي وسلامته الروحية والجسدية .

٣ . أحلام تنبؤية

وقد أخضع المفسرون هذه الأحلام لطرقهم الإلهامية والاستنتاجية ولكننا بالتأكيد سنجد جهداً عظيماً في تراثهم هذا، وعلى علم السميولوجيا الذي يعتني بدرس وفحص هذه الاشارات والرموز ان يقوم بدور واضح في فحص هذا التراث واستنتاج العلاقات الخاصة بين المدلولات والدالات في شريحة نفسية وروحية مثل نصوص الأحلام ونصوص تفسير الأحلام السومرية منها بشكل خاص والعراقية القديمة بشكل عام لأنها تمثل أقدم المدونات السميولوجية ذات البعد الروحي والنفسي والديني في الوقت نفسه .

الفهارس

- ١- فهرس المراجع
- ٢- فهرس الجداول والمخططات
- ٣- فهرس الأشكال والصور
- ٤- فهرس المحتويات

١. فهرس المراجع

المراجع العربية

١. الأحمد ، د. سامي سعيد : العراق القديم - الجزء الأول العراق حتى العصر الأكدي . كلية الآداب - جامعة بغداد - بغداد ١٩٧٨
٢. الأحمد ، د. سامي سعيد : المعتقدات الدينية في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد . ١٩٨٨
٣. ابراهيم ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى - الجزء السادس - حضارة العراق القديمة المكتبة التاريخية ، دار المعارف ١٩٦١
بمصر ، القاهرة .
٤. ابراهيم د. نبيلة : الاسطورة ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية . الموسوعة الصغيرة ، بغداد . ١٩٧٩
٥. افشارد ، د. وجماعته : قاموس الآلهة الأساطير ، ترجمة محمد وحيد خياطة . مكتبة سومر . حلب - السلمانية . ١٩٨٧
٦. الياد ، مرسيا : اسطورة العود الأبدى ترجمة نهاد خياطة . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق . ١٩٨٧
٧. الياد ، مرسيا : المقدس والدنيوي - رمزية الطقس والاسطورة ترجمة نهاد خياطة . العربي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق . ١٩٨٧ ب
٨. الياد ، مرسيا : مظاهر الاسطورة ترجمة نهاد خياطة . دار كنعان للدراسات والنشر . دمشق . ١٩٩١
٩. الياد ، مرسيا : البحث عن الأصول ، تاريخ الأديان . ترجمة اسامة خليل مجلة اصول . فبراير ، القاهرة . ١٩٩٤
١٠. بارو ، اندريه : سومر . فنونها وحضاريها . تقديم اندريه مالرو . ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . وزارة الاعلام بغداد . ١٩٧٩

١١. باقـــــر ، طه : مقلعة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول . دار البيان . بغداد ، دار الثقافة ، بيروت . ١٩٧٣
١٢. باقـــــر ، طه : ملحمة كلكامش الطبعة الرابعة ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد . ١٩٨١
١٣. برهـــــيـــــه ، اميل : تاريخ الفلسفة - الفلسفة الهلنستية والرومانية ، ترجمة جورج طرابيش . دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . ١٩٨٢
١٤. بشـــــور ، د. وديع : الميثولوجيا السورية - اساطير آرام . الطبعة الثانية دار الفكر ، بيروت . ١٩٨٩
١٥. بوتـــــيرو ، جان : الديانة عند البابليين ، ، ترجمة د. وليد الجادر جامعة بغداد ، بغداد . ١٩٧٠
١٦. بوتـــــيرو ، جان : بلاد الرافدين - الكتابة ، العقل ، الالهة - ترجمة الأب البير أبونا . مراجعة د. وليد الجادر ، دائرة الشؤون والثقافة العامة ، بغداد . ١٩٩٠
١٧. بـــــيـــــبي ، جيوفري : البحث عن فلون . ترجمة أحمد عبيدلي ، فلون للنشر نيقوسيا . قبرص ١٩٨٢
١٨. آل تاجر ، علي محمد : الرؤية التشكيلية المعاصرة للملحمة الخليفة البابلية . (رسالة ماجستير) كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد . ١٩٩١
١٩. توينـــــي ، أرنولد : تاريخ البشرية الجزء الأول ترجمة د. نقولا زيادة الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت . ١٩٨١
٢٠. تـــــيـــــريني ، طيب : الفكر العربي في بواكيره وآفاقه الجزء الثاني دار دمشق ، دمشق ، بيروت . ١٩٨٢
٢١. حـــــبي ، سليم ملحم : منهل الشرائع دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . ب.ت
٢٢. حـــــنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت . دائرة الشؤون الثقافية العامة بغداد . ١٩٨٦

٢٣. الحوراني ، يوسف : البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي
الآسيوي القديم ، دار النهار للنشر ، بيروت . ١٩٧٨
٢٤. الحوراني ، يوسف : جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي ، دار
النهار ، بيروت . ١٩٩٤
٢٥. رشيد ، د. فوزي : نصوص إدارية من العصر السومري الحديث مجلة
سومر المجلد ٢٤ . دائرة الآثار العامة . بغداد . ١٩٦٨
٢٦. رشيد ، د. فوزي : قواعد اللغة السومرية ، وزارة الأعلام ، مديرية
الثقافية العامة ، بغداد . ١٩٧٢
٢٧. رشيد ، د. فوزي : خلق الانسان في الملاحم السومرية والبابلية .
مجلة آفاق عربية العدد ٩ السنة ٦ آيار ، بغداد . ١٩٨١
٢٨. رشيد ، د. فوزي : حضارة العراق الجزء الأول - الفصل الخامس
(المعتقدات الدينية) ، بغداد . ١٩٨٥
٢٩. رشيد ، د. فوزي : دراسات في الفلك عند العرب الجزء الأول -
(فضل البابليين في علم الفلك جامعة بغداد ،
مركز احياء التراث العلمي العربي . ١٩٨٧
٣٠. رو ، جورج : العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان
حسين ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام العراقية .
سلسلة الكتب المترجمة (٢٧) ، بغداد . ١٩٨٤
٣١. روثن ، ماركرت : علوم البابليين تعريب وايضاحات د. يوسف
حبي . دار الرشيد للنشر . بغداد . ١٩٨٠
٣٢. زايب - رت ، إلزه : رمز الراعي في بلاد الرافدين . ترجمة محمد وحيد
خياطة العربي للطباعة والنشر ، دمشق . ١٩٨٨
٣٣. زيدان ، عبد الكريم : الوجيز في أصول الفقه . مطبعة سلمان الأعظمي ،
بغداد . ١٩٦٤
٣٤. ساكنز ، هاري : عظمة بابل . ترجمة وتعليق أ. د. د. عامر
سليمان ، الموصل . ١٩٨٩

٣٥. السواح، فراس : مغامرة العقل الأولى الطبعة السادسة سومر للدراسات والنشر والتوزيع . نيقوسيا . قبرص . ١٩٨٦
٣٦. السواح، فراس : لغز عشتار . دار علاء الدين ، دمشق ١٩٩٣
٣٧. السواح، فراس : دين الإنسان . دار علاء الدين ، دمشق . ١٩٩٤
٣٨. سيدا ، د. عبد الباسط : من الوعي الاسطوري الى بدايات التفكير الفلسفي النظري . دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق . ١٩٩٥
٣٩. الشواف ، قاسم : ديوان الأساطير - سومر واكاد وأشور - الكتاب الأول . تقديم واشراف أدونيس . دار الساقى . لندن ١٩٩٦
٤٠. الشوك، علي : من روائع الشعر السومري منشورات الجمل . ألمانيا . ١٩٩٢
٤١. عبد الرحمن ، عبد المالك عبادة الاله شمش في حضارة وادي الرافدين رسالة ماجستير ، كلية الآداب . قسم الآثار . جامعة بغداد . ١٩٧٥
٤٢. عقراوي ، ثلماستيان : المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد . ١٩٧٨
٤٣. علي ، د. فاضل عبد الطوفان جامعة بغداد ، بغداد . الواحد : ١٩٧٥
٤٤. علي ، د. فاضل عبد من الواح سومر الى التوراة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد . الواحد : ١٩٨٩
٤٥. فالنكشتاين ، أ. : ترتيباً لأريدو مجلة سومر الجزء الثاني ، المجلد السابع . مديرية الآثار العامة ، بغداد . ١٩٥١
٤٦. فرانكفورت ، هـ. ما قبل الفلسفة ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، بيروت . وآخرون : ١٩٨٠

٤٧. فريزر، جيمس : أدونيس أو هموز - دراسة في الأساطير والأديان الشرقية . ترجمة جبرا إبراهيم جبرا . الطبعة الثانية . ب.ت
٤٨. كيرير ، صموئيل نوح : السومريون ترجمة د. فيصل الوائلي منشورات وكالة المطبوعات ، الكويت . ب.ت
٤٩. كيرير ، صموئيل نوح : من ألواح سومر ترجمة طه باقر . مراجعة د. احمد فخري . المثنى في بغداد ، الحائجي في القاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٥٧
٥٠. كيرير ، صموئيل نوح : الأساطير السومرية ترجمة يوسف داود عبدالقادر نشر جمعية المترجمين العراقيين . بغداد . ١٩٧١
٥١. كيرير ، صموئيل نوح : طقوس الجنس المقدس عند السومريين (انانا ودموزي . ترجمة نهاد خياطة . الغربي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق . ١٩٨٦
٥٢. الماجدي ، خزعل : سفر سومر دار عشتار للنشر والتوزيع ، بغداد ١٩٩٠
٥٣. الماجدي ، خزعل : عاد والسومريون مجلة ألف باء العدد ١٢٥٨ في ١٩٩٢ / ١١ / ٤ . بغداد
٥٤. الماجدي ، خزعل : حول رموز القرآن الكريم . جريدة الجمهورية العدد ٨٣٣٤ في ١٩٩٢ / ١١ / ٨ ب ١٩٩٢
٥٥. الماجدي ، خزعل : اقنعة عشتار التي لا تنتهي . مجلة عمان العدد (١٢) عمان . ١٩٩٥
٥٦. الماجدي ، خزعل : الطب وعلاقته بالسحر والاسطورة والدين في تراث وادي الرافدين رسالة دكتوراه باشراف الدكتور فوزي رشيد . معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا . بغداد . ١٩٩٦
٥٧. الماجدي ، خزعل : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ منشورات دار الشروق . عمان . ١٩٩٧

- ٥٨ . الماجدي ، خزعل : جذور الديانة المندائية . منشورات مكتبة المنصور ،
بغداد ١٩٩٧ ب
- ٥٩ . الماجدي ، خزعل : مثولوجيا الاردن القديم ، منشورات وزارة السياحة
والآثار في الاردن . عمان . ١٩٩٧ ج
- ٦٠ . مورتيكات ، انطوان : تموز ترجمة د. توفيق سليمان . دار المجلد
دمشق . ١٩٨٥
- ٦١ . النعيمي ، راجحة خضر : الأعياد في العراق القديم رسالة ماجستير قسم الآثار
كلية الآداب ، جامعة بغداد . ١٩٧٥
- ٦٢ . النعيمي ، راجحة خضر : أعياد رأس السنة البابلية مجلة سومر ج ١ ، ج ٢
الدائرة والآثار ، المجلد ٤٧ . ١٩٩٠
- ٦٣ . الورددي ، بهاء الدين : حول رموز القرآن الكريم الدار البيضاء .
١٩٨٣

المراجع الأجنبية

1. Bali , litt , : **Chiness and Sumerians .**
1913
2. Burrows, s.j : **problems of the Abzu . Orientalia**
1932 **Commentaril penriodici pontificri.**
Instituti Biblici Rome .
3. Dally . s : **Myths from mesopotamia . oxford**
1989
4. Dhorome , E and : **Les Religions . orietales ed . Mona 1 et**
1949 Dussaud , R **2 press Universitaires . paris.**
5. Dossin , G : **Le sumerion , Langue savante et re-**
1957 **ligieuse . Bullet de la calss des letters**
et des science morales et politiques , 5,
serie t . xl III Bruxelles .
6. Grayson , A : **Bobylonian Theogony ANET Third**
1969 **Edition .**
7. Hallow , W.W. : **The standard Bride Chicago .**
1964
8. Harris, R. : **The Naditu women Chicago**
1964
9. Heidel, Alaxander : **The Babylonian Gensis phoemix**
1963 **Book. Chicago**
10. Hinz, Walther : **The lost of world of Elam Translated**
1972 **by Jennifer Barnes . London**

11. Jacobson , Thorkild : **Toward the Image of Iammuz and other essays on Mesopotamian history and culture** Edited by William L. Moran , Harvard University Massachusetts.
1970
12. King , L.W. : **Babylonian Religion and mythology**
1899 London.
13. Kramer, S.N : **The Sumerians** Chicago
1963
14. Peoble , A: : **PBS Vol 1V / 1 pp 7 -70 .**
1914 **PBS Vol V/1 pis LXXXXVI , LXXXXVII**
15. Pritchard J.B: : **Ancient Near East Texts (ANET) 3rd**
1969 Edition, Princeton University press.
16. Reiner , E: : **The Etiological Myth of the seven sages**
1961 **Orientalia No 5. 30 .**
17. Roberts, J.J.M : : **The Earliest Semitic Pantheon - As-**
1972 **tudy of the Semitic Deities Attested in Mesopotamia before Ur III Baltimore .**
18. Tallqvist , Knut: : **Akkadische Götterpithika** **Studia**
1938 **Orientalia VII . Helsinki**
19. Thomson , G : : **Die ersten Philosophen** Berlin
1961
20. Thureau-Dangou : : **Revue d' Assyriologie No. 19.**
1922
21. Van Buren, E.D : : **Clay Figurines of Babylonia and As-**
1930 **syria** ed Yale University press .

22. Waddel, L.A : **Sumerian origins of Egyption civilza-
tion** Landon
1930
23. Walker , christopher : **Episodes in the history of Babbylonian ,
Astronomy , society of Mesopotamian
studies , Toronto .**
1982
24. Wooly. c. Leonard : **Excavation at Ur .** London .
1963
25. Wooly , C. leondard : **Ur of the chaldess .** New York .
1965

فهرس المخططات والجداول

- ١ . نظريات أصل السومريين من خارج وادي الرافدين .
- ٢ . مخطط مقترح للأصل الرافديني الشمالي (العراقي) ولكيفية تشكّل أجداد السومريين في الجنوب الرافديني .
- ٣ . مخطط يوضح انتشار الثقافة السومرية خارج وادي الرافدين ما بين (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م
- ٤ . انتشار الحضارة السومرية ومجراتها خارج وادي الرافدين قل ويعد ٣٠٠٠ ق.م
- ٥ ، ٦ . شجرة أنساب الآلهة السومرية .
- ٧ . تصنيف الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية .
- ٨ . ثيوغونيا إنكي ونخرساج في دلمون
- ٩ . العمق الفيزياوي والبايولوجي لشجرة الآلهة السومرية .
- ١٠ . هيكل المؤسسة الدينية السومرية وأصناف الكهنة السومريين .
- ١١ . أيام الاسبوع السومرية وكواكبها وآلهتها .

فهرس الصور والأشكال

١. الراية السومرية : (راية أور) أو (راية الحرب والسلام) في زمن أور الثالثة.
٢. العربة السومرية : نموذج برونزي ٢٦٠٠ ق.م/ تل أجرب.
٣. الحلبي السومرية : من الذهب/ أور.
٤. أميرة سومرية : تمثال نصفي .
٥. كبش أمام شجرة مزهرة (من الذهب واللازورد) من أور.
٦. رأس الثور الذهبي الذي يزين القيثارة السومرية .
٧. محارب سومري .
٨. مناظر اسطورية مرسومة على آلة موسيقية/ أور الثالثة .
٩. كتابة سومرية مسمارية .
١٠. مخلوقات خرافية وقبضة سكين وجدت في تل الأورك في مصر (قبل ٣٠٠٠ ق.م).
١١. إناتم الأول : ملك لكش ٢٥٥٠ ق.م .
١٢. الكأس النذري السومري من أوروك .
١٣. كوديا : أمير لكش .
١٤. أورنانشة : أميرة لكش .
١٥. أورنمو : ملك سومر (أور الثالثة) أما الإلهة ننگال زوجة الإله القمر في أور .
١٦. نئو : الأفعى الكونية (الأوربوس) .
١٧. آن - كي : جبل اسطوري سومري .
١٨. آن : الرموز (الجهات الثمانية ، دنكر) .
١٩. إنليل : الرموز (المثلثات ، الفأس) .
٢٠. إنكي : الرمز (الكأس الفؤار) .
٢١. الكون السومري : الكوزمولوجيا السومرية .
٢٢. آن : رموز آن (الألف الثالث والثاني ق.م) .

- ٢٣ . السلطنة : رموزها .
- ٢٤ . إنليل : رمزه نهاية الألف الثاني ق. م .
- ٢٥ . إنليل : تمثاله مطلي باللون الأحمر .
- ٢٦ . التشييد والبناء : رمز .
- ٢٧ . إياهو : رمز الحمامة السماوية .
- ٢٨ . إنكي : رموزه .
- ٢٩ . ننخرساج : رموزها .
- ٣٠ . ننخرساج : صورتها .
- ٣١ . كاتوم دوك : صورتها .
- ٣٢ . ننخرساج من هيئة إلهة العين .
- ٣٣ . نركال رمزه .
- ٣٤ . نانا : رمزه .
- ٣٥ . نانا : صورته .
- ٣٦ . ننگال تمثالها .
- ٣٧ . ننورتا : رموزه .
- ٣٨ . ننگرسو : رموزه .
- ٣٩ . باو : التاج الأزلي .
- ٤٠ . باو : رموزها
- ٤١ . باو وإشخارا : رمزاهما .
- ٤٢ . باو : إلهة الطب والزراعة .
- ٤٣ . أوتو : رمزه نهاية الألف الخامس ق. م .
- ٤٤ . أوتو : رمزه منذ العصر الأكدي وما بعده .
- ٤٥ . إنانا : رموزها الأربعة .
- ٤٦ . إنانا : قطيع ثيران وعجلان يخرجان من حظيرة يحيط بهما رمزا لإنانا .

- ٤٧ . إنانا : مع أسدها كإلهة حرب .
- ٤٨ . إنانا : رمز اسمها واسم (آن) .
- ٤٩ . إنانا : الشمس المجنحة والطيّب المجنح (رمز آشور) .
- ٥٠ . العالم الأسفل : رمزه .
- ٥١ . أرشكيكال : صورة .
- ٥٢ . أشخارا : رمزها .
- ٥٣ . إشكر (أدد) : رمزه .
- ٥٤ . ننگشزيدا : رمزها .
- ٥٥ . ننگشزيدا : يقود مع دموزي الأمير كوديا نحو آلهة متوجة .
- ٥٦ . أمدوكد (زو) : صورتها ورموزها .
- ٥٧ . الشياطين السومرية : هواوا، شيطان، مذبح العين الحاشدة ، رمز العين الحاسدة، رمز الشياطين السبعة (سيتو) .
- ٥٨ . الجن الطيبة : لاما الأنثى ، أدو الذكر، نيراح (نيراه) .
- ٥٩ . الكائنات الخرافية : الإنسان العقرب ، الإنسان السمكة ، الإنسان الثور ، الإنسان الكلب المجنح ، الإنسان الطير ، الماعز السمكة ، التنين (موش . خوش) .
- ٦٠ . إنكي : تتدفق المياه من كتفيه والسمك يصعد عليها .
- ٦١ . أبو : مع زوجته .
- ٦٢ . عناصر الفردوس الثوراتي في رقيم سرمري .
- ٦٣ . أشنان : رمزها .
- ٦٤ . دموزي : رمزه .
- ٦٥ . نسون : أم دموزي وكلكامس .
- ٦٦ . نانشة : رمزها .
- ٦٧ . نمنار : رمزها .
- ٦٨ . الفأس : ورمز العمل ورمز لإنليل .

- ٦٩ . إنانا : مع آن .
- ٧٠ . إنانا : تقديم الهدايا لها من قبل دموزي وأتباعه .
- ٧١ . إنانا : مع دموزي .
- ٧٢ . الزواج المقدس : كاهن وكاهنة يأخذان دور دموزي وإنانا .
- ٧٣ . الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا/ نقر .
- ٧٤ . الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا/ سوسة .
- ٧٥ . الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا .
- ٧٦ . إنانا : إلهة الجنس/ أور .
- ٧٧ . الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا .
- ٧٨ . الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا .
- ٧٩ . الزواج المقدس : رجل وامرأة فوق جذع شجرة والحاجان بهما الحية/ تبة كاورا .
- ٨٠ . إنانا : كإلهة محاربه .
- ٨١ . إنانا وإرشكيغال : محاطتان برموزهما على إناء مرمري .
- ٨٢ . الكاهن نسني والحارس أبيخ : ماري / النصف الأول من الألف الثالث ق .م .
- ٨٣ . كاهن سومري يسك إناء ويؤدي طقساً .
- ٨٤ . كاهن أو متعبد سومري قديم من عصر البعيد ربما - يمثل كورليل .
- ٨٥ . آلهة وكهنة وكاهنات من سومر/ معبد تل أسمر (أبو) .
- ٨٦ . معبد أوروك البكر : إعادة بناء .
- ٨٧ . رمز بوابة المعبد : حوالي ٤٧٥ ق .م .
- ٨٨ . معبد الطبقة السادسة في أريدو .
- ٨٩ . معبدان من تبة كاورا .
- ٩٠ . معبد إنانا في أوروك .
- ٩١ . المعبد المربع (أبو) في كل أسمر .
- ٩٢ . زقورة آن في أوروك .

- ٩٣ . المعبد البيضوي في خفاجي .
- ٩٤ . معابد إلهة القمر (سين) .
- ٩٥ . معبد الإلهة نني زازا في ماري .
- ٩٦ . معبد زقورة إنانا في أور .
- ٩٧ . الطحان إيدي ناروم وهو يصلي .
- ٩٨ . متعبد سومري وهو في حالة ركوع .
- ٩٩ . متعبدون ذاهبون الى معبد الإلهة إنانا .
- ١٠٠ . الموقد المقدس : وهو رمز الإلهين نسكو وننكشزيدا .
- ١٠١ . طقس سكب السوائل .
- ١٠٢ . إناء سكب السوائل .
- ١٠٣ . كاهنان بينهما الإناء المقدس .
- ١٠٤ . عين الإلهة الطاردة للشر .
- ١٠٥ . تمائيل لإلهة العين الطاردة للشر في معبد تل براك .

المحتويات

٧	مقدمة
٨	الفصل الأول : المعجزة السومرية
	(مدخل الى الحضارة السومرية والتاريخ السومري)
١١	القسم الأول : الحضارة السومرية
٢٧	القسم الثاني : التاريخ السومري
٢٨	١ . مرحلة الأصول (٣٥٠٠ - ٢) ق.م
٣٨	٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م
٤٣	٣ . مرحلة دول المدن السومرية (٣٠٠٠ - ٢٣٥٠) ق.م
٥٠	٤ . مرحلة الدول السومرية (٢٤٠٠ - ٢٣٧١) ق.م
٥٤	٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (٢١١٢ - ٢٠٠٤) ق.م
٥٧	الفصل الثاني : المثلوجيا السومرية
	(دراسة في الأساطير والآلهة السومرية).
٦٠	- تصنيف الأساطير السومرية
٦٥	القسم الأول : أ . أساطير الخليفة والنشوء
	(التكوين) (الكوزموغونيا)
٦٨	١ . المرحلة الكوزموغونية الأولى
٧٠	٢ . المرحلة الكوزموغونية الثانية
٧٢	٣ . المرحلة الكوزموغونية الثالثة
٧٥	٤ . المرحلة الكوزموغونية الرابعة
٧٦	الكوزمولوجيا السومرية (علم الكون السومري)
٧٩	ب . أساطير نشوء الآلهة (التيوغونيا)
٨٠	تصنيف الآلهة السومرية
٨٥	شجرة أنساب الآلهة السومرية

- ٨٥ أ. آلهة الهولي
- ٨٥ ب. آلهة العناصر الأربعة (ان، انليل، انكي، كي)
- ١٠٥ ١. سلالة انليل (الشجرة الأنليلية الهوائية النارية)
- ١٠٦ اسطورة انليل ونليل وولادة القمر
- ١١٠ أبناء انليل (آلهة الجيل الأول من الشجرة الانليلية)
- نانا، ننورتا، ننكرسو
- ١١٧ أبناء نانا (آلهة الجيل الثاني من الشجرة الأنليلية)
- أوتو، إنانا، ارشكيكال
- ١٢٨ الجيل الثالث من الشجرة الأنليلية
- ١٣٥ الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية
- ١٤٤ ٢. سلالة إنكي (الشجرة الانكية الأرضية المائية)
- ١٤٥ اسطورة إنكي وننخرساج في دلمون
- ١٥٢ ١. الالهان عديما الجنس
- ١٥٢ ٢. آلهة المياه
- ١٥٣ ٣. آلهة النبات
- ١٥٥ ٤. آلهة الحيوان
- ١٥٨ ٥. آلهة العمران
- ١٥٩ ٦. أسللوحي
- ١٥٩ ٧. إلهات الولادة السبع
- ١٦٠ ٨. لولو (الانسان)
- ١٦٢ العمق الفيزياوي والبايولوجي للمثولوجيا السومرية
- ١٦٤ ج. أساطير نشوء الإنسان (الإنثروبوغونيا)
- ١٦٤ ١. الانثروبوغونيا الطينية المائية
- ١٦٧ ٢. الانثروبوغونيا النباتية
- ١٦٨ ٣. الانثروبوغونيا الحيوانية
- ١٧٠ ٤. الانثروبوغونيا الإلهية

- ١٧١ ٥ . الانثروبوغونيا اللوغوسية
- ١٧٣ **القسم الثاني : أساطير تنظيم الكون**
- ١٧٣ أ . أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالآله انليل
- ١٧٣ ١ . اسطورة الفأس
- ١٧٥ ٢ . رحلة القمر الى نقر
- ١٧٦ ٣ . إيميش وإيتتين
- ١٧٨ ٤ . لاهار وأشتان
- ١٧٩ ب . أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالآله إنكي
- ١٧٩ ١ . تنظيم سومر
- ١٨٣ ٢ . ترتيلة أريدو
- ١٨٧ **القسم الثالث : أساطير تدمير الكون**
- ١٨٧ ١ . الطوفان (اسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى)
- ١٩٢ ٢ . التنين (اسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)
- ١٩٣ أ . التنين كور وأساطيره مع الآلهة
- ١٩٥ ب . التنين أساج ونورتا
- ١٩٨ **القسم الرابع : أساطير إنانا**
- ١٩٨ ١ . إنانا والآلهة (آن، انليل ، إنكي)
- ٢٠٣ ٢ . إنانا ودموزي
- ٢٠٤ - أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي
- ٢٠٤ المنافسة بين دموزي وإنكملدو
- ٢٠٦ إنانا تفاخر بأصلها وتهين دموزي
- ٢٠٦ إنانا تختار دموزي لالوهية البلاد
- ٢٠٨ إنانا تلتمس موافقة أبيها القمر
- ٢٠٨ إنانا تلتمس موافقة أمها ننگال
- ٢٠٩ اللقاء السري بين إنانا ودموزي
- ٢١١ أناشيد الزواج المقدس بين إنانا ودموزي

٢٢٥	- أساطير ومراثي دموزي
٢٢٥	- إنانا تختار دموزي بديلاً عنها
٢٢٦	فرار دموزي الأول
٢٢٦	حلم دموزي
٢٢٨	العثور على دموزي
٢٢٨	فرار دموزي الثاني والثالث والقبض عليه
٢٢٩	مراثي إنانا وتسليم دموزي إلى يدي الأبدية
٢٣١	إنانا والعجوز (بليلي) (بليلو)
٢٣٣	٣. إنانا وملوك سومر (كلكامش ، شولجي ، شوسين ، أيدن داجان ، إيشمي داجان).
٢٣٩	٤. إنانا والأنسان (أسطورة شوكاليتودا)
٢٤٢	٥. إنانا والعالم الأسفل
٢٤٩	الفصل الثالث : اللاهوت السومري (دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية السومرية)
٢٥١	١. الآلهة
٢٥٦	٢. القوة الإلهية
٢٦٢	٣. التعددية والتفريد والتوحيد
٢٦٣	٤. الأرواحية
٢٦٤	٥. التشبيهية
٢٦٥	٦. الإنسان
٢٦٧	٧. الفقه السومري
٢٧٠	٨. المؤسسة الدينية
٢٧٠	أ- النظام الكهنوتي
٢٨٠	ب- المعابد
٢٨٨	٩. الحكماء السبعة (أبكالو)
٢٩١	١٠. العود الأبدي

٢٩٤	١١ . جذور الهرمسية والغنوصية
٢٩٥	١٢ . الاسكاتولوجيا السومرية (عقائد الموت)
٣٠٧	الفصل الرابع : الطقوس السومرية
	(دراسة في الطقوس والشعائر الدينية السومرية).
٣١١	١ . الطقوس اليومية
٣١١	الوضوء والاغتسال
٣١١	الصلاة
٣١٣	الصوم
٣١٣	التراويل
٣١٥	التطهير
٣١٥	إحراق البخور
٣١٦	سكب السوائل
٣١٨	طقس فتح فم الإله وغسله
٣١٨	طقس إطعام الآلهة
٣١٩	طقس الفوهو (البديل)
٣٢٠	الأضاحي
٣٢٢	٢ . طقوس المناسبات
٣٢٢	طقوس الولادة
٣٢٣	طقس البناء
٣٢٤	طقوس الزواج
٣٢٥	طقوس الموت
٣٣٤	٣ . الطقوس الدورية (الأعياد)
٣٣٥	عيد إش إش
٣٣٦	عيد زاموء (زكمك)
٣٣٧	عيد الاكيتو
٣٣٩	عيد ايزنماخ

٣٤٠	٤ . الطقوس السرية (طقوس الأسرار)
٣٤١	١ . السحر
٣٤٢	شياطين السحر الأسود
٣٤٥	مضادات السحر الأسود
٣٤٦	علاقة السحر بالأسطورة
٣٤٧	٢ . العرافة
٣٤٩	٣ . التنجيم
٣٥٠	نصوص التنجيم السومرية
٣٥٢	الآلهة وأيام الأسبوع وإبراج السماء
٣٥٣	الزقورات كمراصد فلكية وتنجيمية
٣٥٤	٤ . تفسير الأحلام

الفهارس

٣٦١	١ . فهرس المراجع
٣٦٣	٢ . فهرس المخططات والجداول
٣٧٢	٣ . فهرس الأشكال والصور
٣٧٤	٤ . فهرس المحتويات
٣٧٩	

متون سومر

الكتاب الأول

التاريخ ♦ الميثولوجيا ♦ اللاهوت ♦ الطقوس

يقدم هذا الكتاب عرضاً وتحليلاً موسعاً لأربعة أركان أساسية من الحضارة السومرية التي هي أول حضارة بشرية في العصور التاريخية وهذه الأركان هي :

١ . التاريخ : حيث يتابع المؤلف الأصول الأولى للسومريين ويتقصى هجراتهم ويعرض لتطورهم التاريخي من القرية إلى المدينة إلى الدولة إلى الامبراطورية .

٢ . الميثولوجيا : حيث يصنف الآلهة والأساطير السومرية على أسس علمية جديدة ، ويعرضها ويحللها ويكشف ما تحمله في أعماقها من كنوز فكرية وروحانية كثيرة .

٣ . اللاهوت : حيث يقدم دراسة معمقة للأفكار والعقائد الدينية السومرية عبر (١٢) ثيمة رئيسية ، ويربطها بأساطيرها وطقوسها المناسبة .

٤ . الطقوس : حيث يقدم عرضاً للطقوس والشعائر اليومية والمناسبات والدورية ولشعائر الأسرار (السحر ، العرافة ، التنجم ، تفسير الأحلام)

إن هذا الكتاب يجعلنا أمام مشهد فريد لسومر وحضارتها ، حيث الأصول الروحية والمادية الأولى للإنسان .

(الناشر)

الكتبة
الشرقية

الطبعة الأولى: ١٩٧٧م - الطبعة الثانية: ١٩٧٧م - الطبعة الثالثة: ١٩٧٧م
مطبع: مطبع الشرق - ص.ب. ٧٧٧٤ - هاتف: ١٧٨١٨٨
تأسس في ١٩٧٥م - منشور في ١٩٧٥م - العام ١٩٩٨م
• المؤلف: د. عبد الله بن عبد الله